الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون تيارت

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر

موسومة بـــ:

الاستشراق الفرنسي في الجزائر

(1880_1930م)

من إعداد الطلبة:

– نقادي سارة

– نوار أمال

– يحي مُحَمَّد

بإشراف الأستاذة الدكتورة:

لزغم فوزية

أعضاء لجنة المناقشة:

د. حسنة كمال	جامعة ابن خلدون	رئيسا
أ.دة لزغم فوزية	جامعة ابن خلدون	مشرفا ومقررا
د. عنان عامر	جامعة ابن خلدون	مناقشا

السنة الجامعية: 1442- 1443هـ/ 2021- 2022م.

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

قال تعالى بعد بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ سورة البقرة الآية: 151، الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة ووفقنا وأعاننا على انجاز هذا العمل المتواضع، فنحمده حمدا طيبا مباركا كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وانطلاقا من قول من لم يشكر الناس لم يشكر الله فإن أولى الناس بالشكر أستاذتنا المشرفة الدكتورة لزغم فوزية التي شرفتنا بقبولها الإشراف على هذا العمل، حيث ساندتنا بنصائحها وتوجيهاتها ولم تبخل علينا بالمتابعة الجدية، فجزاها الله خير جزاء، ولها منا فائق التقدير والاحترام.

كما نتوجه بالشكر الى أعضاء اللجنة المناقشة شاكرين لهم عناء قراءة المذكرة وجهودهم القيمة في تقويمها وإثرائها.

نتقدم بالشكر أيضا الى كل عمال جامعة ابن خلدون، والى كل العاملين والعاملات بالمكتبات العمومية منها المكتبة مُحَّد مبارك الميلي بتيارت، والمكتبة بن علي السعيد ببلدية دحموني، ومكتبة جاك بارك ببلدية فرندة، والى كل العاملين في متحف المجاهد بولاية تيارت وتيسمسيلت.

كما نشكر كل أساتذتنا في جميع الأطوار التعليمية ونخص بالذكر قسم التاريخ بجامعة ابن خلدون

وكذلك نتوجه بالشكر إلى كل من قدم لنا يد المساعدة من قريب أو من بعيد ولو بالدعاء.

إهداء

أهدي ثمرة جهدي على تواضعه لكل من كانوا خير معين لي في إعداد هذا البحث:

إلى من شقى من أجل أن أرقى، وشجع من أجل أن أنجح، إليك يامن علمتني مكارم الأخلاق، وأن الحياة كفاح، والعلم سلاح أبي الغالي

-أطال الله في عمره-.

إلى الشمعة التي تنير دربي، إلى من كانت لي سندا بدعائها وحنانها، وكانت لي قدوة في حياتي، إليكِ يا أمي الحبيبة

-أطال الله في عمرها-.

إلى أخي وأخواتي -حفظهما الله- وكل العائلة الكريمة.

إلى من سرنا سويا ونحن نشق الطريق معا نحو النجاح والإبداع إلى من تكاثفنا يداً بيد، إلى من تشاركت معهم هذا العمل: يحي مُحَمَّد و نوار أمال.

إلى من عشت معهم أجمل اللحظات في الجامعة صديقاتي ورفيقات دربي

ســـــارة

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من وصانا بهما الله الوالدين الغاليين، وخاصة إلى نبع الحنان التي سهرت الليالي من أجلي، والتي ضّحت بكل ما لديها لتراني سعيدة، والتي بفضل دعائها تنور دربي.

ولا ننسى الأب الغالي الذي كان سندا لي، ولم يحرمني من أي شيء في هذه الحياة.

وإلى كل العائلة الكريمة، أشقائي وشقيقاتي كل باسمه، الذين كانوا لي سندا في هذه الدنيا، ولا أحصي لهم فضلا، وإلى كل الأصدقاء والأحباب من دون استثناء.

وإلى كل الأساتذة الكرام الذين رافقوني في مسيرتي الدراسية.

أمـــــال

إهداء

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، فما كان عملي ليتم إلا بتوفيقه سبحانه، عليه توكلت، وإليه أنيب.

أهدي عملي المتواضع إلى:

أبي مصدر الافتخار والاعتزاز، ناصحي ومرشدي في هذه الدنيا، فلا اقتباس ينصفه، ولا نص يكفي للحديث عنه، هو الفضل، هو الخير، هو الكل

-حفظه الله ورعاه وأطال في عمره-.

الى الغالية التي أرى الأمل من عينيها، ملاكي في الحياة ومعنى الحب، من كان دعائها سر نجاحي أمي، فاللهم لا تحني لها ظهرا فهي عيني وجنتي،

-حفظها الله وأنعم عليها بالصحة والعافية-.

الى منبع الدلال والحنان جدتي الكريمة، -حفظها الله وأطال في عمرها-.

الى مصدر قوتي ومن شاركوني أفضل لحظات حياتي أختي وإخواني والى رفيقات المشوار الجامعي اللواتي قاسمنني لحظاته رعاهم الله سارة وأمال.

محمد

قائمة المختصرات

➢ – المختصرات باللغة العربية	➢ – المختصرات باللغة الفرنسية
تر: ترجمة	**Ibid**: المرجع نفسه
ج: جزء	**№**: الرقم
ص: صفحة	**Op. cit**: المرجع السابق
ط: طبعة	**P**: الصفحة
ق: قرن	**T**: جزء
ق.م: قبل الميلاد	**V**: مجلد
ع: عدد	
مج: مجلد	
م: ميلادي	
هـ: هجري	

مـقـدمـة

مقدمة:

ظهر الاستشراق كنتاج فكري غربي يختص بدراسة تاريخ الشرق وحضاراتهم من خلال ما يتميز به من منارات علمية وأدبية وثقافية أرَّخ لها نخبة من العلماء والأدباء على مر العصور، فانكب الكثير من المستشرقين على دراسة النصوص التاريخية التي تزخر بها المكتبات العربية، خاصة وأنها تعتبر صورة ناطقة عما ميز فترات زمنية متعاقبة في شتى مناحي الحياة الأدبية والاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية، وترجمانا بليغا لأفكار ومبادئ حضارة إنسانية شامخة عرفت بعراقتها وأصالتها، وتعتبر رصيد الأمة العربية وذخيرتها ووسيلة لبقائها بين مختلف الحضارات والأمم.

وقد تفاقمت مطامع الدول الغربية على الأمة العربية والإسلامية وتزاحمت حولها نواياهم واختلفت مقاصدهم، فتعددت الغاية من الاستشراق فكانت إما سياسية بحتة، أو خدمة لأغراض اقتصادية وتجارية، ولعل من أكثر مدارس الاستشراق اهتماما بالعالم الإسلامي وحضارته هي المدرسة الاستشراقية الفرنسية، ويعود سبب ذلك للعلاقات الوثيقة التي تربط فرنسا بالعالم العربي الإسلامي، حيث كانت فرنسا حاضرة في معظم علاقات العرب بأوروبا، وهذا ما جعل فرنسا من أوائل الدول الأوروبية التي عنيت بالدراسات العربية والإسلامية بهدف الاستفادة منها.

وكان للجزائر نصيبها من الدراسات الاستشراقية الفرنسية في مختلف المجالات، حيث أن الاستشراق الفرنسي وطّد علاقته بالجزائر منذ أوائل القرن التاسع عشر ميلادي، وارتبط ارتباطا وثيقا بالحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830م، فبعد أن نجحت الحملة الفرنسية من احتلال مدينة الجزائر انطلق المستشرقون في البحث كل حسب مجال عمله، ويمكن القول أن الاستشراق الفرنسي في الجزائر مر بثلاث مراحل متباينة فالمرحلة الأولى كان يهدف فيها الى التعرف على الحياة العامة في المجتمع الجزائري العربي المسلم، حيث كان استكشافيا، لكن في المرحلة الثانية أصبح الاستشراق أكثر تنظيما وتخطيطا وأنتج أعمال ضخمة في كل الموضوعات والمجالات تقريبا تليها بعد ذلك المرحلة الثالثة والتي يمكن اعتبارها امتداد للمرحلة الثانية، وعلى هذا الأساس جاء موضوع بحثنا موسوما بـ

"**الاستشراق الفرنسي في الجزائر (1880– 1930م)**" فأما المجال الجغرافي للبحث فهو محدد بالجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي، أما المجال الزمني للبحث فهو منذ تأسيس المعاهد سنة 1880م الى الاحتفالات المئوية التي عرفتها الجزائر سنة 1930م أي بعد مرور مئة عام عن احتلال فرنسا للجزائر.

إن من أسباب اختيارنا لهذا الموضوع كثيرة تتقدمها أهمية الموضوع في كونه يتناول محطة هامة في تاريخ الجزائر، كان لها الأثر البالغ على الأرض وشعبها والتعرف على خبايا الاستعمار بعيدا عن مجال النهب والسلب والذي يتمثل في الاستشراق، وتسليط الضوء على نشاطات المستشرقين المتنوعة والتي شملت شتى المجالات، بالإضافة الى التعرف على الآثار الثقافية والاجتماعية والدينية التي خلفها المستشرقون الفرنسيون في الجزائر.

تعددت الدراسات حول موضوع الاستشراق في الجزائر، من أبرزها كتاب "الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه الخاصة في الجزائر" لمؤلفه طيب بن إبراهيم، وما كتبه مُحَّد قدور تاج في كتابه المعنون بـ "الاستشراق ماهيته وفلسفته ومناهجه"، بالإضافة الى العديد من المقالات المنشورة من طرف باحثين تطرقوا فيها الى دراسة الاستشراق الفرنسي بالجزائر بدون التخصص في دراسة مرحلة معينة مثل مقال لبركان بن يحي المعنون بـ "الاستشراق الفرنسي ونشاطاته في الجزائر الجانب الاجتماعي أنموذج"، أما موضوع الاستشراق الفرنسي محدد بفترة معينة خاصة في مرحلته الثانية فإنها دراسة بقيت مغيبة نوعا ما في الدراسات التاريخية وهو من الدوافع الأبرز لنا من أجل الخوض في هذا البحث.

وكل هذه الأسباب السابقة الذكر جعلتنا نطرح مجموعة من الأسئلة التي لا يمكن تجاوزها لأنها تعد أساسية للإلمام بجوانب هذه الدراسة وهي: بماذا يتميز الاستشراق الفرنسي عن غيره من بقية الدول الغربية؟ وماهي أهم مظاهره وخصائصه؟ وما مدى تأثير نشاطات الاستشراق الفرنسي على الحياة الثقافية والاجتماعية والدينية في الجزائر منذ 1880م الى 1930م؟ ومن هم أبرز المستشرقين الذين كان لهم دور في ترجمة ودراسة كل ما يتعلق بالجزائر؟ وهل اتسمت أعمالهم بالموضوعية أم أنها

حادت عن جادة الصواب وانحازت إلى التلفيق والتعصب؟ وهل نجحت المدرسة الاستشراقية الفرنسية بالجزائر في تأثير السلبي على الإنتاج الفكري والثقافي والديني للجزائريين؟ وإلى أي مدى ساهم المستشرقون الفرنسيون في حدمة المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر؟

ومن أجل الإلمام بجوانب الموضوع تم الاعتماد على عدة مناهج لمعالجته، فاتبعنا المنهج التاريخي الوصفي، حيث قمنا بوصف مميزات الاستشراق الفرنسي في الجزائر، بالإضافة إلى وصف النشاطات والدراسات التي قام بها المستشرقون الفرنسيون في الجزائر، كما لجأنا إلى المنهج التحليلي في سياق دراستنا متعددة الأبعاد لمجموعة من نماذج الكتابات التي ألفها المستشرقون في الفترة المراد دراستها وحول آرائهم فيما يتعلق بالجزائر، محاولين من وراء ذلك كله التوصل إلى استنتاجات وأفكار جديدة.

وقبل أن يخرج البحث بالصورة التي هو عليها، اعترضتنا صعوبات أهمها:

– قلة المادة العلمية حول الاستشراق الفرنسي في الجزائر خصوصا في مرحلته الثانية مما دفعنا الى الاعتماد على عدد معين من المصادر والمراجع في هذه الجزئية من البحث على عكس موضوع الاستشراق بصفة عامة الذي تتوفر حوله دراسات جمة ومتنوعة.

– واجهتنا صعوبة في ترجمة الكتب التي توفرت بين يدينا باللغة الأجنبية نظرا لعددها الكبير مما شكل لنا مشقة في الجهد والوقت والمال.

وقد اعتمدنا في إنجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر أهمها:

–"جماعة المسلمين" لأبي يعلى زواوي (ت:1952م) كان من المؤسسين الأوائل لجمعية العلماء المسلمين، عُرف بموقفه الصامد أمام الغزو الفكري للاستعمار الفرنسي، ألف العديد من الكتب تناول فيها مواضيع مختلفة من بينها قضايا شغلت الفكر الإسلامي في عصره: كقضايا المرأة، الإصلاح...وغيرها، ويعد هذا الكتاب من أهم مؤلفاته الذي فرغ منه سنة 1948م، وطبع بمطبعة

الإرادة بتونس، ويعتبر هذا الكتاب ذو قيمة علمية تاريخية، حيث صوَّر لنا الواقع الذي آلت اليه الجزائر، ودعا فيه الى الرجوع الصحيح للإسلام ومحاربة البدع والخرافات ونبذ الجمود والتقليد.

- "الكامل في التاريخ" لابن الأثير، جمع فيه أخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما، وقد أتى فيه بالحوادث والكائنات من أول زمان متتابعة يتلو بعضها بعضا الى آخر سنة (628هـ- 1230م) أي قبل وفاته بسنتين، يحتوي الكتاب على تسعة أجزاء والجزء العاشر هو عبارة عن فهرس عام، وقد أفادنا في جزئية المراحل التاريخية للاستشراق.

-"تاريخ حركة الاستشراق للدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين" لمؤلفه يوهان فوك وهو مستشرق ألماني، قدم في هذا الكتاب سردًا تاريخيا عن حركة الاستشراق منذ نشأتها كردة فعل كنيسة لاهوتية، مرورا بتشكلها كعلم وتخصص، ساعدنا الكتاب في تتبع الاستشراق وتاريخه.

-"الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين" لمؤلفه خير الدين زركلي (1863م-1976م) وهو قاموس يقع في ثمانية مجلدات، ويعتبر أهم كتاب عربي تم تأليفه في مجال التراجم في العصر الحديث، وقضى الزركلي في تأليفه قرابة ستين عاما، أفادنا كثيرا هذا الكتاب في التعريف بالمستشرقين الفرنسيين الوافدين الى الجزائر.

إضافة على المصادر باللغة العربية اعتمدنا كذلك على العديد من المصادر الأجنبية أهمها:
" Le Livre D'or de l'algérie" للمؤلف (Narcisse Faucon) أفادنا المجلد الأول للكتاب في تعريف المستشرق لويس رين والمناصب التي تقلدها.

"L'enseignement Des Filles en Afrique du Nord". لمؤلفه
(Zénaïde Tsourikoff)، أفادنا الكتاب في توظيف المعلومات التي تطرق إليها، في دور الاستشراق الفرنسي بالجزائر فيما يتعلق بالجانب الاجتماعي خاصة اهتمامهم بدراسة المرأة الجزائرية وتعليمها.

"Les monuments Arabes de Tlemcen". من تأليف الأخوين وليام وجورج مارسيه، اعتمدنا على الكتاب كنموذج من كتابات المستشرقين حول الجزائر، وقمنا بدراسته وتحليله، وهناك العديد من الكتب المتشابهة والتي ألفها المستشرقون، قمنا بدراستها في بحثنا هذا.

كما اعتمدنا على مجموعة من المراجع من أهمها:

-"المستشرقون" لنجيب العقيقي، يحتوي الكتاب على ثلاثة أجزاء، قمنا بالاعتماد على الجزء الأول منه، إذ احتوى على تعريف مفصل عن الاستشراق الفرنسي مع ذكر كل المستشرقين الفرنسيين، وهو ما جعلنا نستفيد منه كثيرا عند التعريف بالاستشراق الفرنسي، وكذلك عندما تطرقنا الى أهم المستشرقين الفرنسيين في الجزائر.

-اعتمدنا على كتب أبو القاسم سعد الله في كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي" بجزأيه السادس والثامن، تضمن دراسة وافية وشاملة حول الاستشراق الفرنسي بالجزائر ومراحله، وكتابه بعنوان "أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر" تضمن دراسة حول الاستشراق الفرنسي وتعلم اللغة العربية، بالإضافة الى ترجمة لأهم المستشرقين، وهو ما ساعدنا كثيرا في تتبع أهم ما قام به المستشرقين الفرنسيين لتعلم اللغة العربية.

-"أراء المستشرقين في القرآن الكريم" لأحمد نصري، وهو من المؤلفات التي تدخل ضمن نطاق علوم العقيدة مرتبطة بتخصصات أخرى، بالإضافة الى تقديمه لأهم ما قام به المستشرقون الفرنسيون في الجانب الديني، وهو ما أفادنا كثيرا أثناء دراسة هذا الجانب في بحثنا.

-"الاستشراق الفرنسي والأدب العربي" لأحمد درويش، تضمن الكتاب دراسة مستفيضة وشاملة للاستشراق الفرنسي، إذ ساعدنا في تتبع نشأة الاستشراق الفرنسي وخصائصه وتكمن أهمية الكتاب في اعتماد مؤلفه على وثائق ومعلومات جديدة تخص الاستشراق الفرنسي.

كما اعتمدنا بصفة كبيرة على دراسات التي نشرت في شكل مقالات أهمها ما كتبه:

– بركان بن يحي في مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، بعنوان" الاستشراق الفرنسي ونشاطاته في الجزائر الجانب الاجتماعي انموذج" تطرق فيه كل ما تعلق بالاستشراق الفرنسي ودوره في الجزائر خاصة الجانب الاجتماعي.

– هلايلي حنيفي في المجلة التاريخية المغاربية، بعنوان "المستشرقون الفرنسيون وإعادة بعث مخطوطات الجزائر وتنظيمها (1830-1962م)" تطرق فيه الى الاستشراق الفرنسي ومراحله بالجزائر، بالإضافة الى اهتمام المستشرقون الفرنسيون بجمع المخطوطات الجزائرية ودراستها.

إضافة على المراجع باللغة العربية اعتمدنا كذلك على المراجع باللغة الأجنبية أهمها:

"Les Arabisants et la France coloniale". لمؤلفه عليان مسعودي (Alian Messaoudi) أفادنا الكتاب في بحثنا في التعريف بالمستشرقين الفرنسيين القادمين إلى الجزائر وأهم دراستهم وأعمالهم.

"Histoire de l’Algérie à la période coloniale"تحت إشراف عبد الرحمن بوشان وآخرون تطرق الكتاب إلى التفصيل في تاريخ الجزائر منذ 1830م إلى غاية 1962م، أفادنا الكتاب في التعريف ببعض المستشرقين منهم وليام مارسيه، وإلى أهم الإجراءات والقوانين التي طبقتها فرنسا على الجزائريين.

"Orientalism" لإدوارد سعيد، كتبه باللغة الانجليزية وأصدره في نيويورك سنة 1979م، ويعتبر هذا الكتاب من بين المراجع التي أفادتنا في التعريف بالاستشراق.

كما واعتمدنا على مقالات منشورة في المجلات باللغة الأجنبية اهمها:

"Lucture critique de l’œuvre de Louis Rinn sur l’insurrection de1871 en Algérie" لصاحبه ستار عثماني ونشر مقال في مجلة العصور الجديدة العدد السابع في دراسة المستشرق لويس رين، ودراسة نموذج من مؤلفات لويس رين.

وقد قسمنا بحثنا إلى مدخل وأربعة فصول: المدخل بعنوان: "لمحة تاريخية عن الاستشراق" تضمن عنصرين الأول بعنوان: "ماهية الاستشراق" تطرقنا فيه إلى مفهوم الاستشراق، وأهداف، وسائل الاستشراق، أما العنصر الثاني فكان بعنوان: "المراحل التاريخية للاستشراق" تناولنا فيه مرحلة النشأة والتكوين، ثم تطرقنا إلى مرحلة الانطلاق ثم مرحلة التقدم.

وقد ورد الفصل الأول بعنوان "الاستشراق الفرنسي ودوره في الجزائر" تضمن مبحثين المبحث الأول بعنوان "السياق التاريخي للاستشراق الفرنسي" تطرقنا فيه إلى نشأة الاستشراق الفرنسي وخصائصه، ثم مظاهر نشاط الاستشراق الفرنسي، إضافة إلى الاستشراق والاستعمار، أما المبحث الثاني فكان بعنوان" نشاطات الاستشراق الفرنسي في الجزائر" تطرقنا في حيثياته إلى بداية الاستشراق الفرنسي في الجزائر، ثم المراحل التي مر بها الاستشراق الفرنسي في الجزائر، ثم تطرقنا إلى خصائص الاستشراق الفرنسي في الجزائر، إضافة إلى أبرز المستشرقين الأوائل في الجزائر.

وقد ورد الفصل الثاني بعنوان "مجالات اهتمام الاستشراق الفرنسي في الجزائر منذ 1880م" تضمن ثلاث مباحث المبحث الأول بعنوان "المستشرقون واهتماماتهم بالجانب الاجتماعي منذ 1880م" تطرقنا فيه إلى استهداف المستشرقون للمجتمع الجزائري، ثم استهداف المرأة والأسرة الجزائرية، بالإضافة إلى التفرقة بين العرب والأمازيغ، أما المبحث الثاني فكان بعنوان "المستشرقون واهتماماتهم بالجانب الثقافي منذ 1880م" تطرقنا فيه إلى المستشرقون وتعلم اللغة العربية ومحاربتها ثم الغزو الثقافي، إضافة إلى المستشرقون واهتماماتهم بالتراث الجزائري، أنا المبحث الثالث فكان بعنوان "المستشرقون واهتماماتهم بالجانب الديني منذ 1880م" تطرقنا فيه إلى المستشرقون ومحاربة الإسلام، ثم المستشرقون والقرآن الكريم إضافة الاستشراق والتنصير.

وقد ورد الفصل الثالث بعنوان "أهم المستشرقون الفرنسيون ومجالات اهتماماهم منذ 1880م" تضمن ثلاث مباحث: المبحث الأول بعنوان "أهم المستشرقون في المجال الاجتماعي منذ 1880م" تطرقنا فيه إلى المستشرق إدموند دوتي وروني باصيه ثم لويس رين، أما المبحث الثاني فكان بعنوان "أهم

المستشرقون في المجال الثقافي منذ 1880" تطرقنا فيه إلى المستشرق وليام مارسيه وليون جوتييه، ثم شارل فيرو، أما المبحث الثالث فكان بعنوان "أهم المستشرقون في المجال الديني منذ 1880م" تطرقنا فيه إلى المستشرق ألفرد بيل وليفي بروفنسال، ثم كازانوفا.

وقد ورد في الفصل الرابع بعنوان "أهم مؤلفات المستشرقون الفرنسيون في الجزائر منذ 1880م" تضمن ثلاث مباحث: المبحث الأول بعنوان "أهم مؤلفات المستشرقون في المجال الاجتماعي" تطرقنا فيه إلى دراسة كتاب "الصلحاء مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر" لمؤلفه ادموند دوتي، كما تطرقنا إلى دراسة كتاب "تاريخ إنتفاضة سنة 1871م في الجزائر" لمؤلفه لويس رين أما المبحث الثاني فكان بعنوان "أهم مؤلفات المستشرقون في المجال الثقافي" تطرقنا فيه إلى دراسة كتاب "المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان" لمؤلفيه وليام وجورج مارسيه، كما تطرقنا إلى دراسة كتاب "تاريخ جيجلي" لمؤلفه شارل فيرو، أما المبحث الثالث فكان بعنوان "أهم مؤلفات المستشرقون في المجال الديني" تطرقنا فيه إلى دراسة كتاب "الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم" لمؤلفه ألفرد بيل، كما تطرقنا إلى دراسة كتاب "الحضارة العربية في إسبانيا" لمؤلفه ليفي بروفنسال.

وختمنا بحثنا هذا بخاتمة تضمنت أهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها من خلال دراستنا لهذا الموضوع.

المدخل

لمحة تاريخية عن الاستشراق

أولا: ماهية الاستشراق

ثانيا: المراحل التاريخية للاستشراق

أدى ازدهار الحضارة الإسلامية بين العديد من الحضارات المختلفة في العالم الى اهتمام الباحثين والعلماء المعاصرين في الغرب، للبحث في أسباب التطور وقوة هذه الحضارة، وهذا ما أدى الى ظهور الحركة الاستشراقية التي اعتنت بعلوم المسلمين وتراثهم دراسة وتحليلا، ثم درسوا جوانب اخرى من حياتهم في معظم المجتمعات المسلمة، وبعد أن أخذوا من علمهم وقوة تطورهم بدأوا في إعداد العدة لغزوهم فكريا وعقديا وتاريخيا.

أولا: ماهية الاستشراق

اهتم العديد من المفكرين بموضوع الاستشراق على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم الفكرية، باعتباره مشكل فرض وجوده على النخبة في العالمين العربي والغربي، نظرا للجدل الكبير الذي أثير حول مفهوم الاستشراق من حيث الأسس التي اعتمد عليها الدارسون في تحديد مفهومه، وأهدافه ووسائله، وهذا ما سنتطرق اليه في العناصر القادمة بالتوضيح.

1- مفهوم الاستشراق:

ظهرت العديد من الآراء والدراسات لدى الباحثين حول مفهوم الاستشراق، وكل باحث أبدى رأيه وموقفه ودافع عنه، ومن أهمها نذكر ما يلي:

أ- الاستشراق لغة: هو كلمة مركبة من الشرق، ويرد تعريفها في المعاجم اللغوية على هذا الترتيب: شَرِقَ المكان شرقا أشرقت عليه الشمس أي طلعت وأضاءت على الأرض لقوله تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا[1]﴾، وأَشْرَقَ وجهه أي تلألأ حسنا وجمالا وأشرق القوم أي دخلوا في وقت الشروق لقوله تعالى: ﴿ فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ[2]﴾ وإشراق انبعاث نور من العالم غير محسوس الى الذهن تتم به المعرفة[3].

[1]- سورة الزمر، الآية: 29.

[2]- سورة الشعراء، الآية: 60.

[3]- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة. القاهرة: عالم الكتب، (ط1)، مج1، 2008م، ص: 1192.

وإضافة الى أنها كلمة مركبة من الشرق تحتوي على حروف زائدة (الهمزة والسين والتاء) "أ س ت" والتي تعني في اللغة العربية طلب شيء، فالاستشراق إذن طلب الشرق، فهو علم الشرق، أو علم العالم الشرقي[1]، هذا المصطلح الحديث استعمله المحدثون في ترجمة كلمة "Orientalisme" تعني اهتمام بالأشياء الشرقية، أي طلب دراسة ما في الشرق من آداب ولغات[2]. جاء في قاموس "LEXIS LA Rousse de la langue Française" معنى كلمة الاستشراق هي مجموعة المعارف المتعلقة بالشعوب الشرقية، لغاتهم وتاريخهم وما الى ذلك، وهذه الكلمة مشتقة من Orient التي تعني الشرق[3].

ب- الاستشراق اصطلاحا: لم يتفق الباحثون على تحديد مفهوم واحد للاستشراق، حيث دونت له العديد من التعاريف أهمها:

إن الاستشراق ميدان واسع، تطرق الى مجمل فروع المعرفة الإسلامية وعلوم المسلمين بدءا بالقرآن الكريم وعلومه والسنة النبوية، والفقه والعقيدة والمعاملات والظاهرات الاجتماعية في الزمن الذي مضى وفي الوقت الراهن، ويجب الإشارة الى أن الاستشراق في الجانب الذي يخدم البحوث العربية والإسلامية، هو اشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين بغض النظر عن وجهة المشتغل الجغرافية، وانتماءاته الدينية والثقافية والفكرية[4]، ويعرف إدوارد سعيد الاستشراق بقوله: "إن الاستشراق هو أسلوب فكري قائم على تمييز وجودي ومعرفي بين الشرق والغرب..."[5].

---

[1]- عبد الرحمن عميرة، الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق. بيروت: دار الجيل، (ط1)، 1999م، ص: 90.

[2]- أبو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب. لبنان: دار صادر، (ط1)، مج4، ص: 2244.

[3] - LEXIS LA Rousse De La Langue Française. Paris: librarie VUEV, 2002, p: 1294.

[4]- علي بن ابراهيم الحمد النملة، مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم. بيروت: بيسان للنشر والتوزيع وإعلام، (ط1)، 2011م، ص، ص: 122، 124.

[5] - Edward Said, Orientalism. New York, Vintage Books, 1979, p: 2.

ومنهم من يحدد الاستشراق بأنه أسلوب فكري غربي يقوم على أن هناك اختلافا جذريا في الوجود والمعرفة بين الشرق والغرب ، وأن الأول يتميز بالتفوق العنصري والثقافي على الثاني[1].

وكذلك أخذ مصطلح الاستشراق نصيب واسع من تعاريف الغربيون والقواميس الغربية إذ يعرفه المستشرق رودي بارت (Rudi Paret) أنه علم يختص بفقه لغة خاصة، وأقرب شيء إليه[2]، أما قاموس المصدر الكبير للغة الفرنسية فيحدد كلمة "Oriental" بأنها كل ما هو شرقي، وكلمة. "Orientalment" تعني شرقية، وفعل "Orientaliser" تعني يستشرق و"Orientalisme" تعني الاستشراق وهو مجموعة معارف المتعلقة بالشرق، و"Orientaliste" تعني المستشرق وهو الذي يختص بتعلم اللغات والحضارات الشرقية[3].

أما قاموس المصدر الصغير فتميز بتعريف الاستشراق على أنه كل التخصصات التي لها هدف دراسة الحضارات الشرقية[4].

جـ- مفهوم المستشرق اطلق هذا اللفظ على المفكرين المشتغلين بدراسة علوم الشرق وتاريخه وحضارته وأوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية[5]، والمستشرق بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يدرس العالم الشرقي، ولكن هذا لا يعني أن المستشرق لا يكون عربي مسلم، حيث أن هؤلاء

[1]- محمد قدور تاج، الاستشراق ماهية فلسفة ومناهجه. الجزائر: مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، (ط1)، 2014م، ص: 19.

[2]- صلاح بن سالم بن سعيد باعثمان، منهج المستشرقين في دراسة القضايا القرآنية، حولية كلية أصول الدين، الصادرة عن: جامعة الأزهر، كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنوفية، مملكة العربية السعودية: ع36، 2017م، ص: 12.

[3] - Grand la Rousse de la langue française. Paris, Librairie La Rousse, T: 5 (o-PSI), 1976, p- p: 3833- 3834.

[4] - Le Petit La Rousse, Illustré-Atlas-. Paris, Drapeux du monde, 2007, p: 763.

[5]- محمد السيد الجليند، الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1999م، ص: 10.

العرب المسلمين إذا ما درسوا الإسلام من منطلق استشراقي يتم اعتبارهم من المستشرقين ولو لم يكونوا غربيين[1].

2- أهداف الاستشراق:

وجه الغرب اهتماما كبيرا للتعرف على ما يزخر به الشرق من حضارات غنية بالعلوم والثقافات والأدب والأديان والشرائع، وأصبح باستطاعتنا أن نتلمس دوافع المستشرقين وأهدافهم من أعمالهم وما حققوه من أهداف[2]، حيث يجمع الدارسون على أن أهداف الاستشراق لا تخرج عن أربعة وهي: دينية، سياسية، اقتصادية، وعلمية.

أ- هدف ديني: يحدد المستشرق المعاصر رودي بارت هدف الاستشراق في وضوح وصراحة فيقول:" كان الهدف من هذه الجهود الاستشراقية في ذلك العصر وفي القرون التالية هو التبشير وهو إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام واجتذابهم الى الدين المسيحي"[3]، إن الهدف الديني للاستشراق كان يسير منذ البداية في ثلاثة اتجاهات تعمل معاً وتتمثل فيما يلي:

1- محاربة الإسلام والبحث عن نقاط ضعف فيه، والزعم بأنه دين مأخوذ من النصرانية واليهودية والإنقاص من قيمته.

2- حماية النصارى من خطره بحجب حقائقه عنهم، وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين.

3- التبشير و تنصير المسلمين[4].

---

[1]- علي بن ابراهيم الحمد نملة، مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم، المرجع السابق، ص- ص: 17- 16.

[2]- عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشر - الاستشراق - الاستعمار دراسة وتحليل وتوجيه. دمشق: دار القلم، (ط8)، 2000م، ص: 127.

[3]- مُحَمَّد عبد الله الشرقاوي، الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر دراسات تحليلية تقويمية. القاهرة: كلية دار العلوم، ص: 35.

[4]- محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، القاهرة: دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع، (ط2)، 1989م، ص: 86.

اتجهت أغلب الدراسات الاستشراقية الى الأمة الإسلامية فأخذت في خلق الافتراءات على العقيدة والشريعة لكي تضعف الروح الإسلامية عند المسلمين وتبث التفرقة بينهم وتسعى بكل قوة الى تنصيرهم[1]، بدافع الحقد والتعصب واتخذوا لذلك نهجا في التشكيك و المغالطة وتشويه الحقائق والافتراء والتزوير[2].

ب- هدف سياسي: هناك عدد هائل من المستشرقين في الكثير من بلدان العالم الذين أفنوا أعمارهم في دراسة وتحليل حضارة غريبة عنهم، وذلك بالتعاون مع الدوائر الاستعمارية التي تغدق عليهم بالأموال وتمدهم بكل الإمكانيات لتسهيل أبحاثهم ودراستهم من أجل تحقيق أهدافهم الخفية المتمثلة في السيطرة والاستغلال[3].

ظهرت تلك الأهداف السياسية واضحة جلية واتسع مدارها باتساع رقعة الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين 19م و20م ولجأت الدول الاستعمارية الى أن تُعلّم موظفيها في المستعمرات لغات تلك البلاد، وأن تدرّس لهم آدابها ودينها ليعرفوا كيف يدرسون هذه المستعمرات ويحكمونها وقد اتجهوا في هذه المرحلة الى العناية باللهجات العامية والعادات السائدة كما عنوا بالدين والشريعة، لتحقيق غاياتهم السياسية وهو جعل دول العالم الإسلامي تسير في أفلاكها[4]، اعتمد المستشرقون على إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق احياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام وإثارة الخلافات بين شعوبهم[5].

---

[1]- عبد المنعم فؤاد، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، الرياض: مكتبة العبيكان، (ط1)، 2001م، ص: 86.

[2]- عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، بيروت: مؤسسة الرسالة، (ط3)، 1979م، ص: 199.

[3]- مُحَمَّد فتح الله زيادي، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها. طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، (ط1)، 1983، ص: 90.

[4]- محمود حمدي زقروق، المرجع السابق، ص، ص: 89، 90.

[5]- صالح حمد حسن الأشرف، الاستشراق مفهومه وآثاره، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، المملكة العربية السعودية، سنة الجامعية: 1438هـ ، ص: 8.

ج- هدف اقتصادي: من بين أهداف الاستشراق كان هناك الهدف الاقتصادي حيث رغبت الدول الأوربية في تنشيط تجارتها مع دول الشرق الإسلامي وتسويق منتجاتها والبحث عن مواد الخام لصناعتها، فلزم الأمر القيام بالتعرف على الشرق وطبيعته وجغرافية بلاده، وتوظيف هذه المعرفة فيما يخدم الهدف الاقتصادي، وهكذا صارت الدراسات الاستشراقية وسيلة من وسائل كسب المال لكثير من المستشرقين[1].

د- هدف علمي: ويمكن أن نقسمه الى هدف علمي مشبوه وهدف علمي خالص، الأول: هو الهدف الذي يراد به هدم أواصر الترابط بين حضارة الإنسان وبين عقيدته من أجل ألا تتجدد هذه الحضارة ليخلو المجال لحضارة الغرب المادية وتحقيقا لهذا انتشرت الدراسات الغير علمية[2]، والتي قامت بـ:

1- دراسة المشرقيات من أجل استفادة الغرب من علوم الشرق وآدابه، فقد رأت أوروبا أنها لا تستطيع أن تتفوق على العرب إلا بالعلم الذي أقام عليه المسلمون حكمهم[3].

2- إنكار أن يكون القرآن الكريم كتابا منزلا من عند الله تعالى، والتشكيك في كون الرسول ﷺ نبيا مبعوثا من عند الله تعالى.

3- التشكيك بقيمة الفقه الإسلامي وذلك التشريع المتكامل، والتشكيك في اللغة العربية والتراث الإسلامي[4].

---

[1]- عبد الرحمن حنبكة الميداني، المرجع السابق، ص: 131.

[2]- مُحَمَّد فتح الله زيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، دار قتيبة للتوزيع، (ط1)، 1998م، ص: 34.

[3]- عبد المتعال مُحَمَّد الجبري، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري. القاهرة: مكتبة وهبة، (ط1)، 1995م، ص: 16.

[4]- عقيلة حسين، المرأة المسلمة والفكر الاستشراقي. بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، (ط1)، 2004م، ص: 48.

أما الثاني هدف علمي خالص: وهو هدف السامي والنزيه، وهذه الفئة قليلة جدا وهم موضوعيين في البحث والدراسة، يحبون أن يتصوروا الأجواء الإسلامية التاريخية كما يتصورون مجتمعاتهم، ناسين الظروف الطبيعية والنفسية والزمنية[1].

كان هؤلاء الفئة من المستشرقين أقل من غيرهم خطأ في فهم الإسلام وتراثه لأنهم لم يكونوا يتعمدون أن يدسوا أو يحرفوا ، إلا أنهم كانوا يتلقون شتما من سائر المستشرقين ويتهمونهم بالانحراف عن النهج العلمي، ومن هؤلاء من يؤدي به البحث الخالص لوجه الحق الى اعتناق الإسلام والدفاع عنه كما فعل المستشرق الفرنسي الفنان (دينيه) الذي عاش في الجزائر فأعجب بالإسلام وأعلن إسلامه وتسمى باسم "ناصر الدين دينيه"[2].

3 – وسائل الاستشراق: اتجه الاستشراق الى استعمال كل الوسائل التي من شأنها النيل من الإسلام وأهله، فلم يترك المستشرقين وسيلة لنشر ابحاثهم وآرائهم إلا وسلكوها ومنها:

أ– تأليف الكتب: شغل التأليف مكانا هاما في نشاط المستشرقين حيث توجهت أقلامهم للكتابة حول كل شيء يتعلق بالشرق لغة وأدبا وعقائد وفنونا وتراثا ففي مجال تأليف الكتب فقد بلغ عددها ما يقارب ستون ألف كتاب في الفترة ما بين 1900الى 1950م[3]، معتمدين في ذلك على إلمامهم البسيط باللغة العربية. مما أوقعهم في الكثير من الأخطاء المقصودة والغير المقصودة. ولم يؤلف المستشرقون دراسات وبحوث في مجال معين فقط بل كانت جهودهم كبيرة في تأليف المعاجم والقواميس اللغوية، وكان أول قاموس أنجز هو قاموس لاتيني – عربي في القرن 12م[4]، كما ألف بعض المستشرقون الموسوعة المعروفة "بدائرة المعارف الإسلامية" وأصدروها بعدة لغات رافقها موجزا لها بنفس اللغات التي صدرت بها الدائرة وقد وصف الباحثون هذه الموسوعة بأنها أخطر عمل يقوم به

[1]– مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم. دار الوراق للنشر والتوزيع، ص، ص: 31، 32.
[2]– عبد الرحمن حنبكة الميداني، المرجع السابق، ص، ص: 132، 133.
[3]– مُحَمَّد فتح الله الزيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، المرجع السابق، ص: 52.
[4]– مُحَمَّد قدور تاج، المرجع السابق، ص: 44.

المستشرقون للوصول الى تحقيق أهدافهم تجاه الإسلام ومصدر الخطورة في هذا العمل هو أن المستشرقين بذلوا كل قواهم وأقلامهم لإصدار هذه الدائرة، كما أنها – للأسف – أصبحت اليوم مرجعا لكثير من الباحثين المسلمين في دراستهم على ما فيها من خلط وتزييف[1].

ب– إصدار مجلات وصحف ودوريات: تم إصدار العديد من المجلات العلمية التي تحوي الكثير من البحوث حول الإسلام وحول الشرق عموما ومن أشهر تلك المجلات (مجلة الجمعية الآسيوية الملكية) بلندن، ومجلة (الجمعية الشرقية الأمريكية) ومجلة (جمعية الدراسات الشرقية) ومن أخطر المجلات ذات الطابع استشراقي الحاقد مجلة (العالم الإسلامي) التي أنشأها عميد التبشير العالمي "صمويل زويمر" سنة 1911م[2].

ج– عقد المؤتمرات والندوات: عقد المستشرقون العديد من المؤتمرات والندوات العلمية حول الاستشراق بحيث كانوا يحضرون في كل مكان من أجل هدف وحيد وهو تنسيق الجهود وتبادل المعارف حول الشرق. وقد أحصى بعض الباحثين عددها الى حوالي ثلاثين مؤتمرا منذ مؤتمر باريس عام 1873م، هذا عدا المؤتمرات والندوات الإقليمية.

د– اعتناء بالترجمة: لم يقتصر نشاط المستشرقين على التأليف بل تجاوزه الى الاهتمام بالترجمة وذلك لتعميم الثقافة الى شعوب الغرب الأوروبي التي لا تتقن العربية، بحيث قاموا بترجمة عدد كبير من الكتب الإسلامية الى اللغات المتعددة منها ألمانية، إنجليزية، إيطالية، روسية، فرنسية، إسبانية، ولاتينية وهولندية[3].

هـ– إنشاء الجامعات والمعاهد: اهتمت الجامعات الغربية والأمريكية بالدراسات الشرقية عبر معاهد متخصصة أو في مجالات التدريس الغربية "كالفلسفة والتاريخ والسياسة وعلم الاجتماع" وكان

[1]– عبد المنعم فؤاد، المرجع السابق، ص: 34.

[2]– محمد فتح الله الزيادي، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، المرجع السابق، ص، ص: 96، 97.

[3]– عقيلة حسين، المرجع السابق، ص، ص: 54، 56.

المسؤولون يهتمون بترقية الآثار الإسلامية (فلقي الفن الإسلامي والأثار الإسلامية في متحف القيصر فريدريش في برلين رعاية خاصة بإشراف ف.سار (F.sarre)[1]، بالإضافة الى اتحاد المستشرقون مع المبشرين والمستعمرين وأنشأوا جامعات نصرانية جسمًا وروحًا على أرض الإسلام مثل :"جامعة الأمريكية بالقاهرة" و"جامعة الأمريكية في بيروت" والمعلوم أن هذه الجامعات تجبر أبناء المسلمين الذين يلتحقون بها على دخول الكنيسة ومع ذلك هناك تنافس كبير على هاتين الجامعتين من المسلمين[2].

و- مجامع علمية: من بين ما قام به المستشرقون محاولة توثيق علاقاتهم بالجامعات العربية مما جعلهم يقومون بتسريب الفكر الاستشراقي الى هذه المؤسسات ويبقى الاستغراب لدى المسؤولين عن هذه المؤسسات الذين سمحوا للمستشرقين بالدخول بحيث يستدعون لإلقاء المحاضرات في الجامعات العربية والإسلامية ليتحدثوا عن الإسلام في دياره بروح بعيدة عن الإسلام[3].

ز- إنشاء مكتبات: قاموا باقتناء الكتب العربية وإعمار مكتباتهم بها، بالإضافة الى جمعهم للمخطوطات التي تحصلوا عليها عن طريق الاستلاء بقوة الاستعمار وذلك بغرض الاطلاع على تراث المسلمين[4].

ح- المجال الاجتماعي والخدمات الإنسانية: ركز المستشرقون في هذا الجانب على التنصير أو (التبشير)[5]، فقام المبشرون بإرساليات لتزاول أعمالا إنسانية في الظاهر كالمستشفيات، وإنشاء مدارس وملاجئ وغيرها.

---

[1]- محمد قدور تاج، المرجع السابق، ص: 43.

[2]- عبد المنعم فؤاد، المرجع السابق، ص: 35.

[3]- محمد فتح الله الزيادي، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، المرجع السابق، ص: 98.

[4]- عقيلة حسين، المرجع السابق، ص: 51.

[5]- محمد أمين حسن محمد بني عامر، المستشرقون والقرآن الكريم. الأردن: دار الأمل للنشر والتوزيع، (ط1)، 2004م، ص: 92.

ثانيا: المراحل التاريخية للاستشراق

إن تاريخ الاستشراق طويل ومراحله متعددة، ولقد اختلفت الآراء حول معرفة تاريخ معين أو فترة معينة حول بدايات الاستشراق، بحيث لم يكن هناك دليل قاطع حول بدايته الحقيقية، وعلى ضوء هذه الاختلافات فقد أكد العلماء والباحثين أن الاستشراق قد مر بثلاث مراحل متميزة: مرحلة النشأة والتكوين، مرحلة الانطلاق، مرحلة التقدم.

1- مرحلة النشأة والتكوين:

اتجهت أغلب الآراء إلى تحديد فترة زمنية لبداية الاستشراق، فهناك من أرجع بدايته إلى ما قبل الميلاد، ولاسيما انطلاقا من حملة الإسكندر المقدوني على الشرق، والتي انطلقت منذ عام (334 ق.م).[1] ورأى فريق آخر أن البداية الحقيقية للاستشراق كانت مع الحروب الصليبية حيث بدأ الاحتكاك السياسي والديني بين الإسلام والصليبية الغربية الغازية، واستحكم العداء بين المسلمين والغرب الصليبي أيام نور الدين زنكى وصلاح الدين الأيوبي والملك العادل، إثر الهزائم المتكررة التي ألحقها هؤلاء القادة العظام بالصلبيين وكل هذا دفع الغرب إلى الانتقام بكل الوسائل[2]، وأكبر رأي شهد اتفاقا هو أن الاستشراق بدأ في غزوة مؤتة[3]، بين المسلمين و الروم في سنة 8هـ/629م[4].

[1]- المحسن بن علي بن صالح سويسي، مؤتمرات المستشرقين العالمية (نشأتها- تكوينها- أهدافها)، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ج1، 1998م، ص: 3.

[2]-مُحَمَّد عبد الله الشرقاوي، المرجع السابق، ص: 26.

[3]- **غزوة مؤتة:** كانت في جمادى الأول من السنة الثامنة للهجرة أولى لرسول ﷺ، قيادة جيش المسلمين لزيد بن حارثة، بلغ تعداد المسلمين ثلاثة ألاف ضد هرقل في مئة ألف من الروم، ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، الرياض: بيت الأفكار الدولية، مج2، ص: 233.

[4]- ضياء الدين ساردار، الاستشراق (صورة الشرق والآدب والمعاريف الغربية)، تر: فخري صالح. الامارات العربية المتحدة: هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة،(ط1)، 2012، ص: 39.

وعلى ضوء ما سبق ذكره فإن مرحلة النشأة والتكوين تبدأ من بداية الاستشراق حتى بداية عصر النهضة الأوروبية، وساده اتجاه لاهوتي خرافي متطرف في جدله، ونرى في هذه المرحلة أن الاستشراق هو مظهر للصراع الديني والايديولوجي بين العالمين الأوروبي المسيحي والشرق الإسلامي[1].

وأهم ما ميزها هي إسناد مهمة التدريس في المدارس الأوروبية لأساتذة من العرب أو من الذين تعلموا في المدارس العربية، وكذلك إرسال بعثات من الطلاب الأوروبيين للدراسة في الأندلس، على أيدي العلماء العرب[2]، وذلك بسبب انتشار الإسلام وتطوره، وقيام الدولة الإسلامية في الأندلس، التي أسست نهضة وحضارة إسلامية لم تشهدها أوروبا من قبل[3]، حيث قال موكسيم رودنسون الفرنسي: "كان المسلمون خطرا على الغرب قبل أن يصبحوا مشكلة، كما كانوا في نفس الوقت عامل اهتزاز شديد في بنيان الوحدة الروحية للغرب"[4].

كما سعى الاستشراق في هذه المرحلة إلى تشويه الإسلام والنبي ﷺ[5]، حيث رأت الكنيسة أن الدين المسيحي أصبح معرضا للخطر بسبب ظهور دين جديد أكمل وأتم على ساحة الثقافة العالمية، فسعت إلى التعرف على هذا الدين الإسلامي وإهانته، ومعرفة البلدان الشرقية من أجل حصولها أولا على وسائل دفاع تواجه بها التقدم المستمر للثقافة الإسلامية وثانيا من أجل تعليم التبشير والدعوة الإسلامية وطرق تحويل مسلمين الجدد إلى الديانة النصرانية وتنصير مسلمي المشرق[6]، بحكم سابق يتمثل في أن الدين المعادي للمسيحية لا يمكن أن يكون فيه خير[7]. ذلك من منطلق تعصبهم الديني

[1]- أحمد عبد الرحيم السايح، الاستشراق ومنهج نقده. مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان، 2005م، ص: 444.

[2]- مُحَمَّد فاروق النبهان، الاستشراق تعريفه مدارسه وأثاره. الرباط: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 2012، ص: 17.

[3]- مُحَمَّد فتح الله الزيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، المرجع السابق، ص: 25.

[4]- مُحَمَّد عبد الله الشرقاوي، المرجع السابق، ص: 35- 36.

[5]- مُحَمَّد حسن الزماني، الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين، تر: مُحَمَّد نور الدين عبد المنعم. القاهرة: المركز القومي للترجمة، (ط1)، 2010م، ص: 86.

[6]- مُحَمَّد حسن الزماني، المرجع السابق، ص: 91.

[7]- مُحَمَّد عبد الله الشرقاوي، المرجع السابق، ص- ص: 35- 36.

الأعمى أو المصالح المادية والجاه والمكانة الاجتماعية أو سوء الفهم، وهذا السبب الذي حفزهم على دراسة الإسلام والبحث فيه.

تطرق المستشرق التبشيري ثيوفانيس إلى الإسلام والنبي ﷺ في كتابه "مُحَمَّد" حيث قال: "إن نبي الإسلام لم يكن نبيا من عند الله، بل إنه تعلم تعاليم الإسلام من علماء الشام المسيحين واليهود". بالإضافة إلى قيام الكنيسة بترجمة معاني القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، والهدف من ذلك هو تعريف رجال الدين المسيحيين بمعارفه وتعاليمه بهدف بيان المآخذ عليه، كما قام بطرس الذي هو أول رجل دين مسيحي يترجم معاني القرآن الكريم بتأليف كتب ضد الإسلام مثل كتاب "تاريخ المسلمين" وكتاب "تعاليم مُحَمَّد"[1]، وكانت أول ترجمة للقرآن الكريم في سنة 1143م، على يد راهب إنجليزي يدعى هرمان، ولكن هذه الترجمة لم تظهر إلى حيز الوجود نظرا لخوف الكنيسة من تأثيرها على الرأي العام المسيحي بما تعطيه من مفاهيم إسلامية ربما تساعد في انتشار الإسلام بين المسيحيين ولذلك ظلت هذه الترجمة حبيسة دير كلون (CLUNY) بجنوب فرنسا، ولم تظهر إلا في سنة 1543م[2].

وشهدت هذه المرحلة ظهور حروب صليبية، التي قام بها الغرب المسيحي على الشرق الإسلامي مستترا بقناع الدين[3]، حيث منذ قيامها بدأ يظهر العامل الديني في الفكر الاستشراقي، فاندفعوا بقوة وحماسة لمواجهة الشرق والإسلام وتعمقت مشاعر العداء بينهما[4].

حيث شوهت الحروب الصليبية الشرق العربي الإسلامي، في المخيلة الغربية بسبب المواجهات الدامية، فالأذى لم يكن بسبب هذه الحروب فقط في الميدان لكنها تحولت إلى انصدام أفكار وأراء

[1]- مُحَمَّد حسن الزماني، المرجع السابق، ص- ص: 85- 86.

[2]- مُحَمَّد فتح الله الزيادي، المرجع السابق، ص: 65.

[3]- عفاف صبرة، المستشرقون ومشكلات الحضارة. القاهرة: دار النهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع، 1985م، ص: 13.

[4]- صالح بن سالم بن سعيد باعثمان، المرجع السابق، ص: 16.

مكونة من دوافع جديدة للحكم على الآخر، لذلك وصِف في تلك المرحلة كل شيء يمت بصلة للإسلام بأنه كافر[1].

2- مرحلة الانطلاق:

وتمتد هذه المرحلة من عصر النهضة حتى نهاية القرن الثامن عشر ميلادي[2]، وتحول فيها الاستشراق إلى مشروع أوروبي ثقافي وسياسي ومادي ضخم وصلب، إداريا واقتصاديا وعسكريا[3]. وتداخلت صورة الشرق العربي الإسلامي في مخيلة الغربي بصورة معقدة ومتشابكة متداخل فيها السياسي بالاقتصادي، والثقافي بالديني والاستعماري بالحضاري، وغدا الشرق محط أنظار الغرب من أفراد ودول التي أخذت على عاتقها اكتشاف العالم الجديد وتمثلت صورة الشرق على أنه العالم الغريب والمثير والمدهش[4].

وبعد انهزام الغرب عسكريا في الحروب الصليبية، تيقنوا بعدم تغلبهم على المسلمين بالقوة الحربية فقرروا مهاجمتهم فكريا[5]. وبذلك نرى أن الاستشراق قد انتقل إلى مرحلة أخرى، حيث توجه فيها إلى دراسة الإسلام وما يتصل به، وكان الهدف من ذلك هو التمهيد للاستعمار في ذلك الوقت، وذلك من خلال قيام المستشرقين وعلماء الغرب إلى الغزو الفكري والتبشيري أو تحويل المسلمين عن الإسلام[6]. وتعد هذه المرحلة من أخطر المراحل، بل هي الحرب الحقيقية التي تهدف إلى هدم المنشآت

[1]- محمود خليف الحياني، الاستشراق والاستغراب (السلطة، المعرفة، السرد، التأويل، المرجعيات). دار غيداء للنشر والتوزيع، (ط1)، 2013م، ص- ص: 21- 22.

[2]- أحمد عبد الرحيم السايح، الاستشراق ومنهج نقده، المرجع السابق، ص: 444.

[3]- الطيب بن إبراهيم، الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر. منشورات المجلس الإسلامي الإصلاحي، ص: 56.

[4]- محمود خليف الحياني، المرجع السابق، ص: 23.

[5]- مُحَمَّد فتح الله الزيادي، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها، ص: 66.

[6]- أحمد عبد الرحيم السايح، الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، (ط 1)، 1996م، ص: 19.

المنشآت وتمزيق الجيوش وطمس المعالم، بذلك يضمنون الخضوع من غير أن يحتاجوا إلى أن يرفعوا سلاحا من خلال تقويض العقيدة الإسلامية[1].

كما خلفت الحروب الصليبية سرقة عدد من كتب المكتبات والنسخ المخطوطة من مكتبة الأندلس التي كانت تحتوي آنذاك على أربعة ملايين كتاب، وقاموا بحرق كل ما لا يفهموه، وبعد انتهاء الحروب الصليبية تمكن المسحيين من نقل الكثير من التراث الثقافي والعلمي والديني والحضاري للشرق إلى مكتبات ومراكز البحث في الغرب[2]. بحيث اتبعوا شتى الوسائل والطرق حتى وإن كانت غير أخلاقية في سبيل الحصول على مخطوطات الشرق ولاسيما الثمينة والنادرة فقد ذكر المستشرق جربر همساو قنصل السويد بطرابلس، أن القنصل الفرنسي روسو استعار مخطوطة تاريخ ابن خلدون التي كانت بكاملها في طرابلس لدى حاكمها، ثم رفض إعادتها[3].

وقد جاء مؤتمر فيينا الكنسي في عام 1312م، برئاسة البابا أكلمنتس الخامس، أن تؤسس في باريس وأكسفورد وبولون وصلمنكة أي في عواصم العلم في هذه البلدان دروس عربية وعبرانية وكلدانية وهي ما عرفت أخيرا بكراسي الدراسات الاستشراقية، ثم بدأوا بتأسيس المعاهد التي تكفلت بالدراسات العربية[4]، مثل مدرسة "بادوى" العربية، وأخذت الأديرة والمدارس العربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية وهي لغة العلم في جميع بلاد أوروبا يومئذ، واستمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب، وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون[5].

ومن ناحية أخرى ساندت البابوية الرومانية دراسة لغات الشرق من أجل مصلحة التبشير، وأصبح الغرب يستفيدون مما وصل إليهم أيديهم من مؤلفات إسلامية كثيرة. حيث قامت البابوات بمنع

---

[1]- أحمد عبد الرحيم السايح، الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، المرجع السابق، ص: 19.

[2]- مُحَمَّد حسن الزماني، المرجع السابق، ص: 98.

[3]- محسن بن علي بن صالح سويسي، المرجع السابق، ص- ص: 19- 20.

[4]- مُحَمَّد فتح الله الزيادي، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها، المرجع السابق، ص: 67.

[5]- إسماعيل علي مُحَمَّد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل مدخل علمي لدراسة الاستشراق. دار الكلمة للنشر والتوزيع، (ط3)، 2000م، ص: 14.

الكهنة والرهبان عدة مرات من دراسة العلوم الزمنية، وركزوا أبحاثهم على الدراسات اللغوية وما حققه المسلمون من فتوحات وتقدم في العلوم والفنون والآداب التي أبهرت العالم المسيحي فعكف على دراستها والإفادة منها[1].

وولّدت القوى الدافعة لعصر النهضة وروح الاستكشاف والريادة والإصلاح الديني مجتمعة موقفا جديدا تماما اتجاه ما ليس غربا[2]، واتجه الغرب اتجاها يقتصر على اقتباس المعارف والعلوم من المدرسة الإسلامية، وإنما أخذ يتطلع بدافع من التعصب لنقد تلك المعارف والعلوم، وخاصة فيما يتعلق بمناهج المدارس الإسلامية، وبما تقرره من نتائج ومسلمات[3].

3- مرحلة التقدم:

بدأت هذه المرحلة من القرن التاسع عشر الى وقتنا الحالي، وشهدت هذه المرحلة عدة تطورات في مفهوم الاستشراق وحركاته حيث عاد طابع العداء ليغلب على الغرب للشرق[4]. وتعتبر هذه المرحلة من أطول مراحل الاستشراق، وهي مرحلة الأوج والازدهار حيث كانت هذه المرحلة مصاحبة للثورة الصناعية التي عرفتها أوروبا والعالم، وأصبحت الدول الأوروبية بحاجة إلى خبرة المستشرقين لمعرفتهم من معلومات عن الشرق.

حيث بعدما أشربت أوروبا بثقافة العرب بدأت تنظر إلى الاستشراق بروح أوسع أفقا وأرحب تفكيرا، واهتم العلماء إلى فهم الإسلام ودراسته وليس إلى مواجهته فقط. وجاءت الطباعة لإصدار نفائس العرب فانتشرت العربية بين الأوساط العلمية التي أيقنت أن اللغة العربية وآدابها كانتا حقا من أقوى البواعث لنهضتهم الصاعدة. فأخذ العلماء والرهبان يتسابقون على دراستها ونشرها والتعليق عليها، واهتم الأباطرة الغرب بالمخطوطات العربية فلم يبذلوا جهدا في اقتناءها ثم طبعها على نفقتهم

[1]- أحمد عبد الرحيم السايح، الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، المرجع السابق، ص: 25.

[2]- ضياء الدين ساردار، المرجع السابق، ص-ص: 62- 64.

[3]- محمود فاروق النبهان، المرجع السابق، ص: 17.

[4]- أحمد عبد الرحيم السايح، الاستشراق ومنهج نقده، المرجع السابق، ص: 445.

وبإشراف علمائهم مما أدى إلى ازدهار الاستشراق، وأصبحت لغة الشرق ذات أهمية واشتهر العديد من العلماء بمؤلفات لا تزال معروفة الى الآن[1].

وسعى المستشرقين إلى تعديل المسار البحثي والسعي لإضفاء الموضوعية على الدراسات، والتخلي عن موروث القرون الوسطى وعصر النهضة، حيث تواصى به أكابر المستشرقين محافظة على العمل الاستشراقي، لأنهم شعروا أن طريقتهم السابقة لم تعد تفيدهم في الوصول إلى أهدافهم[2]، مما أدى إلى حدوث تحول خطير في اهتمام الغرب بالشرق، فبعد أن كان الاستشراق في أحضان الكنيسة دفعا ودعما وتخطيطا دخل الاستعمار الأوروبي بدل الكنيسة في رعاية جهود المستشرقين والتخطيط له وذلك لحاجة الاستعمار للدراسات الاستشراقية تمهيدا للاستعمار الأوروبي للعالم الشرقي[3].

وقد أصبح الاستشراق منذ بداية القرن التاسع عشر ميلادي له مؤسسات وتنظيمات ومنظمات تمثله بصفة رسمية وتشرف عليه وترعاه، أبرزها المعاهد والجمعيات والمجلات المختصة، ومنذ 1850م تطور الاستشراق ولم يعد يخضع للرغبات والهويات وأصبح لكل جامعة رئيسية في أوروبا منهج متكامل لفروع الدراسات الشرقية[4]، بالإضافة الى إصدارهم لمجلات مختلفة، في أماكن متفرقة من العالم وبلغات متعددة وفي مجالات متنوعة، بالإضافة إلى عقد مؤتمرات ابتداء من سنة 1783م سواء على صعيدها العالمي أو في اطارها القطري مثل مؤتمر المستشرقين الألمان الذي عقد سنة 1849م، وكذلك مؤتمر أكسفود الذي ضم 900 عالم يمثلون 25 دولة و85 جامعة و69 جمعية عالمية، كما شهدت أيضا توسعا كبيرا في حركة التأليف الاستشراقي، حيث قذفت المطابع بآلاف الكتب الاستشراقية في مختلف الميادين، وكان ذلك نتيجة فتح الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي لمجالات بحثية متنوعة لم تكن ميسرة لولاه، حيث أتاحت حركة الاستعمار الغربي فرصة للمستشرقين في الحصول

[1]- أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. القاهرة: دار الفكر العربي،1998م، ص- ص: 77-78.

[2]- محسن بن علي بن صالح سويسي، المرجع السابق، ص: 10.

[3]- مُحَمَّد فتح الله الزيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، ص: 28.

[4]- الطيب بن إبراهيم، المرجع السابق، ص- ص: 52- 53.

على جزء كبير ومهم من تراث العالم الإسلامي والتي تم نقلها إلى العالم الغربي[1]، وقد أكد الدكتور جورج مقدسي بأن القرن التاسع عشر ميلادي شهد ميلاد الدراسات الإسلامية في الغرب، وقد شهد هذا القرن نهضة كبيرة في الدراسات الاستشراقية، وقد ساعدت الحكومات الأوروبية الاستشراق طمعا في الحصول على خدمة الأخير لأغراضها الاستعمارية[2].

وكان لتأسيس الجمعيات العلمية بمثابة نقطة انطلاق كبرى للاستشراق وساعدت علماء أوروبا، فأسهمت جميعها إسهاما فعالا في البحث، والاكتشاف والتعرف على عالم الشرق، وأدت إلى تجمع القوى المتفرقة للدراسات الشرقية وازدياد نشاطها واشتداد التنافس بينها، وكانت هذه الجمعيات تتكاثر من عام إلى آخر، وقد بذلت هذه الجمعيات جهودا جبارة في دراسة الشرق ولغاته وكل ما يتعلق به، مما أدى إلى ازدهار هائل للاستشراق[3].

وتميزت هذه المرحلة بالارتباط الوثيق بين وزارات الخارجية والمستعمرات والمستشرقين حيث عملوا مستشارين لهذه الوزارات وسفراء وموفدين وغيرهم، وقد شهدت أيضا تطورا ملحوظا في الدعم المادي لحركة الاستشراق مما أثر في زيادة فعاليتها وتوسع حركة نشاطها[4].

إن الاستشراق ما هو إلا اتجاه فكري قام بدراسة حضارة الشرق عامة، وحضارة الإسلام والعرب خاصة، وقد امتاز بسماته التي تميزه عن غيره، وما المستشرقون سوى علماء قدِموا من الغرب، وقاموا بدراسات استشراقية على حضارات الشرق، ولغاته وتقاليده وآدابه وما غير ذلك، مستترين بقناع البحث العلمي بهدف محاربته وضرب حضارة الشرق.

والاستشراق بتاريخه الطويل قد ارتبط بالنزعة الصليبية التنصيرية التي خيمت على أذهان المستشرقين، وغطت على أفكارهم، لذا فقد ارتبط الاستشراق في جميع مراحله بالمؤسسات الكنيسية،

[1]- محمد فتح الله الزيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، المرجع السابق، ص- ص: 28- 29.
[2]- محمد عبد الله الشرقاوي، المرجع السابق، ص: 31.
[3]- أحمد سمايلوفيتش، المرجع السابق، ص- ص: 82-83.
[4]-محمد فتح الله الزيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، المرجع السابق، ص: 29.

وذلك من أجل محاربة الإسلام والقضاء عليه كما وارتبط بالنزعة الاستعمارية التي تهدف الى بث النفوذ الغربي على بلدان الإسلامية ونهب خيراته وثرواته، واستمر الاستشراق في التوسع حتى شمل كافة لغات الشرق، ومثَّل دورا خطيرا في حياة الأمة الإسلامية عبر قرون من الزمن.

الفصل الأول

الاستشراق الفرنسي ودوره في الجزائر.

المبحث الأول: السياق التاريخي للاستشراق الفرنسي.

المبحث الثاني: نشاط الاستشراق الفرنسي في الجزائر

إن تاريخ الاستشراق طويل ومراحله متعدّدة وأساليبه متنوّعة، ووسائله ترتبط بغاياته، وقد اهتمت الكثير من الدول الغربيّة، بدراسة حضارة الشرق، وتعدّ فرنسا هي السباقة في مضمار الاستشراق حيث كانت بدايات الاستشراق الفرنسي مع بداية صدور مجمع فيينا الكنسي(724هـ- 1312م)، في باريس والذي أسّس كراسي الأستاذة للّغات الشرقيّة، فاعتبرت المدرسة الفرنسية هي رائدة المدارس الأوروبية وأكثرها اهتماما بدراسة الشرق وساهمت في نقل الكثير من الثقافة العربيّة الى أوروبا، حيث ارتكزت دراستهم على المحور الديني والسياسي والاستعماري. وكانت الجزائر محل اهتمامات الاستشراق الفرنسي، خاصة بعد احتلالها سنة 1830م، ومنه أصبحت منطلق نشاط الاستشراق الفرنسي، فقد وقعت مخطوطاتها ووثائقها وآثارها بين أيديهم وتصرفوا بها تصرف المالك في ملكه، كما وقد عقد مؤتمره الرابع عشر للمستشرقين في مدينة الجزائر سنة 1905م.

ومرّ الاستشراق الفرنسي بالجزائر بمراحل دعَّمها الوجود الاستعماري، ومن هنا يظهر الارتباط بين الاستشراق والاستعمار الذي كان ارتباطا عضويّا، وذلك يعود إلى كون فرنسا كانت تراهن على مستشرقيها ودورهم، بقدر ما كانت تراهن على جيوشها لأن الاستشراق والاستعمار بوحدتهما ولّد سياسة فرنسية واحدة، وهذا ساعد على ظهور عدّة مؤسسات استشراقية فرنسية في الجزائر كالجمعيات والمدارس والمكتبات.

المبحث الأول: السياق التاريخي للاستشراق الفرنسي

الاستشراق كظاهرة فكرية ثقافية وحركة علمية، يتماشى مع المحاولة التي قامت بها أوروبا، في اطار البحث عن الذات الأوروبية، ويعد الاستشراق الفرنسي أحد ثمار الحركة الاستشراقية الأوروبية المعاصرة الذي عرف نشأة مبكرة، وتميز عن غيره من الاستشراق الأوروبي في مظاهر نشاطه والوسائل التي اعتمد عليها، من أجل تحقيق غاياته والحديث عن الاستشراق الفرنسي يقودنا الى الحديث عن الاستعمار نظرا لما لهما من صلة لأن الاستشراق والاستعمار لهما علاقة متينة.

أولا: نشأة الاستشراق الفرنسي

تعد المدرسة الاستشراقية الفرنسية من أهم المدارس الأوروبية التي قامت بجهود جبارة فيما يتعلق بالدراسات الشرقية، وذلك بسبب العلاقات القديمة التي كانت تربط فرنسا بالعالم العربي الإسلامي، سواء كانت علاقات في حالة ود أو توتر، لذلك وجب علينا البحث عن الأصول التاريخية للاستشراق الفرنسي وبداياته.

إن التواصل الحضاري والثقافي بين الشرق والغرب قديم جدا اتخذ عبر أدواره التاريخية المتعاقبة أشكالا كثيرة من الترابط أحيانا والاحتكاك أحيانا أخرى[1] بحيث بدأ الاحتكاك العربي الإسلامي بفرنسا في القرن 2هـ/8م عندما بدأ النشاط العربي العسكري بالتوغل في أوروبا انطلاقا من الأندلس[2] وكان من أبرز مظاهر الاحتكاك عندما وصلت جيوش المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقي[3] الى جنوب فرنسا عند جبال البرانس، إذ تصدت لهم جيوش الفرنجة بقيادة شارل مارتل (CHARLES MARTEL) في موقعة بوانييه التي سماها العرب بلاط الشهداء، اما المصادر الأوروبية فنسميها بموقعة تور أو تور بوانييه في رمضان سنة 114هـ/732م، وكانت تلك مناسبة كبرى مكنت الفرنسين من التعرف على المسلمين وتوطدت العلاقة في عهد الخليفة العباس هارون الرشيد حيث كانت هناك مرسلات وهدايا بينه وبين الامبراطور شارلومان[4](CHARLOMAGNE).

---

[1]- أحمد نصري، آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم -دراسة نقدية-. المملكة المغربية: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، (ط1)، 2009، ص: 13.

[2]- مُحَمَّد مُحَمَّد زيتون، المسلمون في المغرب والأندلس. دار الكتب، 1990م، ص- ص: 207- 206.

[3]- **عبد الرحمن الغافقي**: هو عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي، تولى الامارة باختيار المسلمين وإجماعهم، أحسن القيادة في الحكم والإدارة وميدان القتال واثبت كفاءته، أكرمه الله الشهادة في معركة بلاط الشهداء. ينظر: مُحَمَّد علي قطب، عبد الرحمن الغافقي شهيد بلاط الشهداء. دمشق: المكتب الإسلامي، (ط1)، 1981م، ص- ص: 5 - 9.

[4]- أحمد نصري، المرجع السابق، ص: 18.

إن النموذج العربي والاحساس بقيمته هو الذي دفع الفرنسيين في فترة ما بعد المواجهات الساخنة الى البحث عن منجزات الحضارية العربية والعكوف عليها والاستفادة منها[1]، وعليه يصبح لنا جليا أن الاستشراق الفرنسي كانت له مرحلتان مهمتان بعد ظهور الإسلام: الأولى بعد الحروب الصليبية والثانية بعد العصر النهضة[2].

1- مرحلة الاستشراق بعد الحروب الصلبية:

طلبت فرنسا الثقافة العربية في مدارس الأندلس وصقلية ثم أنشأت لها منذ القرن 12م مدرسة ريمس (REIMS) بأمر البابا سلفستر الثاني، ومدرسة شارتر (CHARTRES) فقد بلغت ذروتها في عهد برنار سنة 1117م وأخيه تيوريك سنة 1140م حيث سيطر ثلاثة من خريجيها على ميدان الفلسفة في أوروبا وهم: وليام الكوشي، وجلبر دي لابوره وجان السالربورى[3]. ويعتبر جربرت الراهب الفرنسي في عهد سلفستر الثاني وبطرس المحترم أول مترجم لمعاني القرآن الكريم باللغة اللاتينية، وجراردى كليمون مترجم عشرات الكتب العربية والإسلامية في الأندلس وإدلارد إف بان الراهب الفرنسي وعشرات المستشرقين وعلماء الدراسات الإسلامية المسيحين واليهود من الأوائل المستشرقين، وأمام هذا التطور الكبير للاستشراق التبشيري تأسست العديد من المراكز للدراسات الإسلامية مثل:

- تأسيس قسم الدراسات الإسلامية والعربية بأمر من البابا أنوست الرابع في جامعة باريس 22يونيو 1248م.
- تأسيس أول مدرسة لتعليم اللغتين العربية والعبرية لتخريج المبشرين في طليطلة عام 1250م.
- تأسيس المدرسة العربية في مدينة ريمس الفرنسية كما سبق الذكر.
- تأسيس مركز تعليم اللغات الشرقية عام 1258م بأمر من البابا هونريوس الرابع.

[1]- أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م، ص: 20.
[2]- مُحَمَّد حسن زماني، المرجع السابق، ص: 297.
[3]- نجيب العقيقي، المستشرقون. القاهرة: دار المعارف بمصر، (ط3)، ج1، 1964، ص: 151.

- تأسيس خمسة أقسام للغات الشرقية في خمس جامعات عربية كبيرة بأمر من البابا كليمانس الخامس 1311م.
- مركز التعليم والبحوث الإسلامية والعربية في جامعة السوربون (Sorbonne) في فرنسا[1]، والتي ألحق بها فيما بعد معهد الدراسات الإسلامية، وكانت جامعة السوربون –ومازالت– تؤدي دورا مهما في مضمار الدراسات العربية والإسلامية[2].

ولم تتوقف محاولاتهم الى هذا الحد فبعد تعلمهم لاستعمال الأرقام والكسور، وفن الزراعة والصناعة السماد والورق عن العرب، قاموا بتأسيس مدرسة للطب في مونبولييه ففي سنة 1220م أنشأها العرب القادمين من الأندلس، وقد رُمّمت وألحقت بها كليات الحقوق والهندسة وعلم الاقتصاد[3].

2– الاستشراق بعد عصر النهضة: بعد وفاة السلطان العثماني مُحَمَّد الفاتح في عام 1481م خلفه السلطان سليم الأول إلا أن فترة خلافته شهدت ضعف الحكومة حيث استغلت الحكومة الفرنسية هذا لصالحها وتقربت من الإمبراطورية العثمانية الإسلامية إذ اختار فرانس الأول (Froncois1) ملك فرنسا الذهاب الى الدولة العثمانية في عام 1534م وذلك من أجل التقرب من السلطان العثماني وتقوية العلاقات، ومنذ هذا الحين بدأت الاتفاقيات والعلاقات الحسنة بحيث كانت أولى خطوات فرنسا القيام بمهمة شراء المخطوطات الشرقية والإسلامية والعربية، حيث آلت المهمة الى وفد فرنسي برئاسة وليام بوستيل وكانت الغاية هي الاستفادة من المخطوطات في بحوثهم حول الشرق[4]

[1]– مُحَمَّد حسن زماني، المرجع السابق، ص: 298.

[2]– أنور محمود الزناتي، ليون جوتييه. دار البيضاء: المركز الثقافي للكتاب للنشر والتوزيع، (ط1)، 2020، ص: 14.

[3]– عبد المتعال مُحَمَّد الجبري، المرجع السابق، ص: 182.

[4]– مُحَمَّد حسن الزماني، المرجع السابق، ص: 299.

وفي هذا السياق، يعتبر يوهان فوك أن أوروبا تدين لرجل بوستيل بفضل قواعد اللغة العربية وما جاء به من مخطوطات لفرنسا وأوروبا عامة[1].

كان للملك فرانسوا الأول دورا هاما في زيادة اهتمام فرنسا بالدراسات الشرقية خصوصا العالم الإسلامي منها، فعلى عهده أنشأ كرسيا للغة العربية والعبرية في ريمس سنة 1519م، ولم يكتف الملك بريمس بل أنشأ معهد فرنسا كولاج دي فرانس (collége de France) سنة 1530م وأعد فيه كريسين للغة العبرية واليونانية[2].

ازدادت حركة البحث عن المخطوطات العربية وتصنيفها في فرنسا بشكل كبير جدا وشكلت إحدى الظواهر الثقافية المهمة في القرنين (ق17م و ق18م)، كانت تشترى من العاصمة العثمانية اسطنبول التي كانت مكتباتها العامة والخاصة تعج بالمخطوطات العربية، أما في القرن 18م فقد تعددت البعثات، ومنها بعثة بني دى لاكروا، وبعثة بول لوقا، وبعثة انطوان جالون التي عثر من خلالها على مخطوطات لألف ليلة وليلة وقام بترجمتها الى الفرنسية فأحدثت تأثيرا هائلا في الذوق الأدبي والفرنسي[3].

منذ الثورة الفرنسية 1789م أنشئت مؤسسة جديدة وهي مدرسة اللغات الشرقية، وكانت اللغات التي تدرس هي اللغة العربية الفصحى والعامية، ويمكننا أن نعتبر العقد الأخير من القرن 18م انطلاقة حقيقية للدراسات الشرقية الفرنسية، حيث بدأ الاهتمام بالمؤلفات الشرقية واضحا في المصنف الشهير (Description de L'Egypt)، وهو جهد ضخم للعلماء[4].

[1]- يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، تر: عمر لطفي العالم. بيروت: دار المدار الإسلامي، (ط2)،2001 م، ص: 48.

[2]- نجيب عقيقي، المرجع السابق، ص: 152.

[3]- أحمد درويش، المرجع السابق، ص- ص: 21- 22.

[4]- أنور محمود الزناتي، ليون جوتييه، المرجع السابق، ص، ص: 14، 15.

قسم مُحَمَّد العربي معريش المستشرقين الى جيل الرواد حيث كان البحث في طوره فردي ويليه جيل الطور الاجتماعي للبحث الاستشراقي الفرنسي حين بدأوا ينتظمون في جمعيات استشراقية ومؤسسات ومنها الجمعية الآسيوية الفرنسية ومجلتها التي تأسست عام 1822م، وبدأ الاستشراق بعد الوسيلة الفكرية الثقافية، والأمل المعول عليه في الهيمنة [1].

ثانيا: خصائص الاستشراق الفرنسي

للاستشراق الفرنسي سمات عديدة تميز بها عن غيره، إذ له خصائص معينة بسبب مكانته الرائدة في مجال الدراسات الاستشراقية، وهي كالتالي:

تأسس الاستشراق الفرنسي بناء على الخلفية التاريخية والقاعدة الثقافية في الذاكرة الجماعية الفرنسية، ومنها انطلق واتسم بتنوع دارساته ومجالاته وأفرز نماذج رائدة في عدة تخصصات أبرزها سلفستر دي ساسي وهو رائد المستشرقين ورائد استشراق السياسي الكولونيالي، وتركز دراسات المستشرقين الفرنسيين حول ثلاثة محاور: المحور الديني، والمحور السياسي والمحور الاستعماري كما احتضنت فرنسا أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم وظهرت فيها تسع ترجمات للقرآن الكريم، وتميز المستشرقون بتعصبهم ضد الإسلام و رسوله ﷺ إذ من النادر أن تقرأ لمستشرق فرنسي، شيئا طيبا عن حياة الرسول ﷺ لأنه لو وجد شيئا طيبا فإنه لسانه لا يطيعه في كتابتها، ولو قاله فإنه يتحفظ في قوله تحفظا بالغا[2].

اعتبرت فرنسا المهد الأول للاستشراق، ذلك لأن أوائل المستشرقين وعلماء الدراسات الإسلامية كانوا من فرنسا، وقاموا بدور كبير في هذا المضمار[3]، إذ كان للاستشراق الفرنسي مواقف ازدرائية من

[1]- مُحَمَّد العربي معريش، الاستشراق الفرنسي في المغرب والمشرق من خلال المجلة الأسيوية (1822- 1872). تونس: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 2009م، ص: 24.

[2]- نذير حمدان، الرسول في كتابات المستشرقين، جدة: دار المنارة، (ط2)، 1986م، ص: 37.

[3]- مُحَمَّد حسن زماني، الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربين، المرجع السابق، ص: 237.

الإسلام والشرق وتضاعفت[1]، لذلك اهتم بميادين الشرق وشمال افريقيا وغربها من الناحية السياسية فاضطرها إلى دراسة هذه الأصقاع دراسة علمية وافية تناولت سائر مناحي حياتها توطئةً لاستعمارها بالإضافة إلى العامل الديني والتبشيري والتنصيري الذي سعت فرنسا إلى تحقيقه في أزمنة موغلة في القدم وحتى الأن، كما يعد الاستشراق الفرنسي المرجع الأوروبي الأول عن الأبحاث والدراسات[2]، الخاصة بالطوارق والبربر والدراسات الإفريقية، وكان تركز مستعمراته في افريقيا عاملا مساعدا له في ذلك واهتمامه بهذا النوع من الدراسات لا يخلو من النوايا الاستعمارية، حيث كانت الغاية من الاستشراق الفرنسي التمهيد للاستعمار، فاستخدموا النظم العلمية والأدبية والفنية والأثرية ومجمل الدراسات التاريخية كوسيلة لتثبيت الاحتلال مثل 1830م، بالإضافة الى أن الاستشراق الفرنسي تميز بأن: أول أستاذ لكرسي اللغة العربية كان الفرنسي جيلوم بوستل (Guillaune Postel) سنة 1539م في كلية فرنسا (Collége de france) في باريس، ثم بدأت تدريجيا في معاهد والجامعات أوروبية اخرى[3]، وكان لجامعة السوربون أثر واضح في تنشيط الدراسات الشرقية في فرنسا.

لعبت فرنسا دورا بارزا في الدراسات الاستشراقية من تأسيس مدارس ريمس وشارتر لتدريس اللغة العربية وإلى إنشاء كراسي للغة العربية والعبرية في باريس، فتضاعفت اهتمامات المستشرقون الفرنسيون باللغة العربية وفقهها ونحوها وآدابها وبرزوا في هذا المضمار بروزا واضحا ما أنتجوا من مؤلفات تتناول هذه المجالات[4]، وكان المستشرقون عامة يتقنون اللغة العربية، فأهلهم هذا لأن يكتبوا ويؤلفوا دراسات عن لغات العرب وآدابهم ومنهم: شارل بيلا ويوهان فوك ودي ساسي... وغيرهم[5].

[1]- زكاري لوكمان، تاريخ الاستشراق وسياساته الصراع على تفسير الشرق الأوسط. القاهرة: دار الشروق، (ط1)، 2007م ص: 99.

[2]- بركان بن يحي، الاستشراق الفرنسي ونشاطاته في الجزائر الجانب الاجتماعي نموذجا، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، الصادرة عن: جامعة حمة لخضر بالوادي، الجزائر، مج4، ع3، 2016، ص: 129.

[3]- زكاري لوكمان، المرجع السابق، ص: 98.

[4]- ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية. بيروت: دار المدار الإسلامي، (ط1)، ج1، 2002م، ص: 110.

[5]- عبد الرؤوف خريوش، دور المستشرقين في نقل الثقافة العربية الى الغرب، ص: 2.

امتاز الاستشراق الفرنسي بالتخصص إذ أن معظم أفراده تخصص كل منهم في جانب معين من جوانب البحث والدراسة، وقام الاستشراق الفرنسي بفهرسة الكثير من الكنوز الشرقية من مخطوطات ووثائق سواء في فرنسا وغيرها من البلاد التي استعمرتها[1]، وإضافة على كل ذلك فإن للاستشراق الفرنسي أثر كبير في توجيه الاستشراق الألماني نحو منعرجات دينية وسياسية ويبرز ذلك من خلال تتلمذ الكثير من المستشرقين الألمان على يد مستشرقين فرنسين.

ضم الاستشراق الفرنسي بين صفوفه الكثير من ضباط القوات المسلحة الفرنسية وأتاح لهم عملهم في المستعمرات الفرنسية النبوغ في ميدان الدراسات الشرقية في مختلف جوانبها[2]، كما نشطت الحركة الاستشراقية الفرنسية مع مجيئ المستشرق الفرنسي الكبير سلفستر دي ساسي(Silvester de seas) في ق19م، حيث استطاع بقدراته العلمية الخارقة أن يعيد مجد فرنسا الاستشراقي ويحول أنظار المهتمين بالدراسات الشرقية من جديد إلى باريس[3].

أما بخصوص المدرسة الاستشراقية الفرنسية فتتميز بالوضوح في الافصاح والجلاء في التعبير والدقة في البحث، بالإضافة إلى تميزها بالشمولية والتعددية[4]، لأنها لم تترك مجال المعرفة الشرقية في إجراء بحث أو نقد أو رقابة، سواء كان ذلك من اللغة والأدب أو التاريخ، حيث حاولت المدرسة الشرقية الفرنسية فهم كل شيء عن الشرق، لأنها لم تترك أي مجال دون دراسته.

ثالثا: مظاهر نشاط الاستشراق الفرنسي

لعله من الصعب الإحاطة بجميع أوجه نشاط الاستشراق الفرنسي حيث تعددت مظاهره بتعدد نشاطات المستشرقين، لذلك سنحاول التركيز على أهم نشاطات الاستشراق الفرنسي واهتماماته:

[1]- أحمد درويش، المرجع السابق، ص، ص: 21– 22.

[2]- مُحَمَّد فتح الله زيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، المرجع السابق، ص: 85.

[3]- أحمد نصري، المرجع السابق، ص: 27.

[4]- أحمد سمايلوفيتش، المرجع السابق، ص: 222.

1- كراسي اللغات الشرقية: نظرا لاهتمام فرنسا باللغات الشرقية وبالدارسات العربية والإسلامية قامت بإنشاء عدة كراسي في الجامعات والمعاهد وأصبحت عمدة كل متعلم أوروبي يهتم بالدراسات العربية والإسلامية، وأضحت مقصد كل من أراد معرفة الشرق[1]، حيث أنشئت المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية في باريس سنة 1795م

(Ecole nationale des longues orientales vivantes,Paris)[2] وكانت اللغة التي تدرس فيها هي اللغة العربية الفصحى والعامية واللغات الشرقية الأخرى، وكانت هذه المدرسة ترمي الى تعليم القناصل ورجال الساسة والسلك الديبلوماسي اللغة العربية وبعض الآداب الشرقية قبل أن يمارسوا أعمالهم في بلاد الشرق، ثم توسعت في دروسها، ويعتبر النصف الأخير من القرن 18م الانطلاقة الحقيقية للدراسات الشرقية بفرنسا وذلك يرجع الى حادثتين هامتين عرفتهما فرنسا، الأول: يتمثل في الحملة النابليونية على مصر، والثاني: يتمثل في احتلال الجزائر عام 1830م وتونس عام 1881م[3].

استمرت فرنسا في تأسيس الجامعات و المعاهد في فرنسا وحتى خارجها ومن أبرزها:

- المدرسة الشرقية في القسطنطينية تم تأسيسها سنة 1802م.
- جامعة ليون تأسست سنة 1808م (Lyon) يتم التدريس فيها اللغة العربية والآثار المصرية والتمدن الإسلامي.
- المدرسة العلمية لدراسات العليا في باريس تم تأسيسها سنة 1868م (Ecole pratique des Hautes Etudes) فيها قسم العلوم الدينية والمتخصصة بدراسات الإسلام و أديان الجزيرة العربية.
- المعهد الكاثوليكي في باريس تأسس سنة 1875م (Institut cath de Paris) يتم التدريس فيه اللغات العربية.

[1]- أحمد نصري، المرجع السابق، ص- ص: 24- 25.
[2]- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص: 153.
[3]- أحمد نصري، المرجع السابق، ص: 26.

أما المدارس والمعاهد والجامعات التي انشأتها فرنسا في الشرق الأدنى وشمال إفريقيا نذكر منها:

- معهد مصر (Institut d'egypte) أسسه نابليون سنة 1798م.
- معهد الفرنسي للأثار الشرقية في القاهرة تأسس سنة 1880م.
-كلية بورجاد في تونس 1841م (Bourgade) ثم تحولت الى معهد الآداب العربية سنة 1937م.
- معهد قرطاجة (Instituted Carthage) في تونس تأسس سنة 1895م.
- معهد الدراسات العليا في تونس تأسس سنة 1945م.
- معهد الآداب العالية في الجزائر تأسس سنة1881م، ثم تحول الى جامعة (Université d'Alger)[1]

2-المكتبات الشرقية:

أ- مكتبة باريس الوطنية (Bibliothèque Nationals de Paris) تأسست سنة 1654م بباريس وهي تابعة لوزارة الثقافة الفرنسية تحتوي على أكثر من سبعة ألاف مخطوط عربي ونوادر من الآثار الإسلامية من نقود وأختام وخرائط وأسهم المسيحيون اللبنانيون في نقل بعض المخطوطات العربية الى فرنسا[2]، وتنشر المكتبة خلال فهارسها ماله قيمة فنية كالمخطوط وتقيم المعارض الأصناف المخطوطات في المناسبات العلمية، بالإضافة الى أنها غنية بالتحف والمنمنمات[3] وتحتوي على ما يقارب ستة ملايين من الكتب[4].

ب- مكتبات الجامعات والمعاهد:

- مكتبة جامعة ستراسبورغ: هي مكتبة عامة تقع في مدينة ستراسبوغ صنفت كمعلمة تاريخية تحتوي على فهرس للمخطوطات العربية.

---

[1]- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص- ص: 153- 155.

[2]- مُحَمَّد فاروق النبهان، المرجع السابق، ص: 23.

[3]- مُحَمَّد إبراهيم الفيومي، الاستشراق رسالة استعمار تطور الصراع الغربي مع الإسلام. القاهرة: دار الفكر العربي، 1993م، ص: 134.

[4]- عبد الله العياشي، المدرسة الاستشراقية الفرنسية وجهودها في دراسة وحفظ المخطوط العربي، مجلة الرفوف، الصادرة عن: جامعة أدرار، الجزائر، ع6، مارس2015، ص: 59.

– مكتبة المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية: أنشئت سنة 1669م من أجل تكوين مترجمين بعدة لغات، تحتوي على فهرس للمخطوطات الشرقية.

– مكتبة الجمعية الآسيوية في باريس: هي جمعية فرنسية تهتم بدراسة الشرق تأسست سنة 1822م، تحتوي على فهرس مخطوطات عربية.

جـ– مكتبات الخاصة: قام بعض الباحثين العرب بإنشاء مكتبات خاصة جمعوا فيها كل ما يتعلق بالدراسات الاستشراقية أهمها: مكتبة الكونت رشيد الدحداح في منزله بباريس وقد ضمنت 296 مخطوط و430 كتابا مطبوع.

د– مكتبات شمال إفريقيا: قام العديد من المستشرقين بإنشاء مكتبات خاصة بهم في بلدان شمال افريقيا جمعوا فيها الكتب القيمة واحتوت على فهارس مثل المكتبة روني باصيه التي أنشأها سنة 1833م التي احتوت على فهرس للمخطوطات العربية[1].

هـ– ميدان التأليف والنشر: قام المستشرقون بتصنيف عدة كتب في شتى العلوم بالإضافة الى الترجمة وتحقيق المخطوطات نذكر أهمها:

– اهتم الفرنسيين في بادئ الأمر بدراسة القرآن الكريم وترجمته وحوادث السيرة النبوية والحديث، ومن أهم ما قاموا به ترجمة القرآن الكريم الى اللغة الفرنسية حيث ظهرت أول ترجمة سنة 1647م على يد دي ريور وتلتها بعد 136سنة ترجمة سافا ري سنة 1783م وترجمة كازيمرسكي سنة 1840م[2] وتأليف كتاب "الحلاج الصوفي الشهيد في الإسلام" ألفه باللغة الفرنسية لويس ماسينيون[3].

– أما في سيرة النبي مُحَمَّد ﷺ، نشر المستشرقون الفرنسيون كتب كثيرة مثل: كتاب "مُحَمَّد وانتهاء العالم في عقيدة الإسلام الأصلية" لكازانوفا سنة 1910م وكتاب "أصل إسم مُحَمَّد" لكولين 1925م.

– وفيما يخص الحديث النبوي الشريف قاموا بنشر كتب الحديث النبوي الشريف ودرسوا أشهر

[1]– نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص– ص: 158– 159.

[2]– أحمد نصري، المرجع السابق، ص: 33.

[3]– مُحَمَّد علي اسماعيل، المرجع السابق، ص: 80.

الأعلام مثل: كتاب "ترجمة جامع الأحاديث البخاري" لوليام مارسيه أما عن النظم الإسلامية كتبوا عدة كتب أهمها كتاب "النظم في الإسلام" لجود فري ديمومبين.

-كما بحث الفرنسيون في حضارة الإسلام من حيث نشأتها وتطورها وانتشارها مثل كتاب "الحضارة العربية في إسبانيا" للمؤلف ليفي بروفنسال سنة 1938م وكتاب "حضارة العرب" لجوستاف لوبون.

- تناول الفرنسيون موضوع الفرق الإسلامية والمذاهب وظهرت لهم في ذلك كتب منها: كتاب "نصوص في مذهب الإسماعيلية" لجرويار سنة 1873م وكتاب "طابع الفرق في الإسلام" لجود فري سنة 1925م.

- للمستشرقين الفرنسيين مشاركة هامة في موضوع علم الكلام والصوفية من أولئك جوليسون في كتابه "أثر دراسة الفلاسفة العرب في تفسير علم الكلام" سنة 1926م[1].

- أما بالنسبة للغة العربية وآدابها فقد تم تأليف العديد من الكتب أبرزها كتاب "اللغة العربية وأدبها وجغرافيتها" لكاترمير وكتاب "فن النثر العربي" لسويليه 1970م، وكانت اللغة العربية هدفا لهجوم متعصبي المستشرقين، وبذلوا جهودا لإثبات ما زعموا أنه قصور فيها وعجز وتعقيد[2].

و- المطابع: بدأت الطباعة الشرقية باللغة العبرية في باريس 1519م وهناك من الباحثين من يرجع نشأة الاستشراق الى القرن 18م، متخذا من حملة نابليون على مصر نقطة انطلاق الحركة الاستشراقية، حيث اصطحب نابليون مطبعة وعددا من العلماء والباحثين[3].

ز- المجلات: لدى فرنسا مجلات خاصة بالاستشراق أو وثيقة صلة به تصدر في باريس والشرق الأدنى وشمال إفريقيا منذ عهد بعيد، ومن أشهرها:

- صحيفة العلماء (Le Journal des Savants) تأسست سنة 1665م صدرت عن جمعية العلماء الفرنسيين في باريس، كل ثلاثة أشهر وتخص العرب والإسلام بدراسات رصينة.

[1]- أحمد نصري، المرجع السابق، ص- ص: 33- 34.

[2]- جابر قميحة، أثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، مجلة دعوة الحق، مكة المكرمة، ع116، 1991م، ص: 26.

[3]- مُحَمَّد فاروق نبهان، المرجع السابق، ص: 23.

المجلة الآسيوية (Journal Asiatique, Paris) تأسست سنة 1822م تحت رعاية دوق أورليان.

– المجلة الإفريقية (Revue Africaine) تأسست سنة 1856م تصدرها الجمعية التاريخية الجزائرية في الجزائر.

– نشرة معهد مصر(Bulletin l'institut d'egypte) تأسست سنة 1859م.

– المجلة التاريخية (Revue Historique) تأسست سنة 1876م تصدر في باريس مرة كل ثلاثة أشهر.

– مجلة تاريخ الأديان (Revue de Histoire des Religion) تأسست سنة 1880م حولية تصدر في باريس.

– مجلة علوم الدينية (Revue de Sciensces Religieuses) حولية تصدر في باريس.

– نشرة المرسلات الإفريقية (Bulletin de correspondances Africaine) تأسست سنة 1881م وهي حولية.

– حوليات الجغرافيا (Annales de Géographie) تأسست سنة 1891م شهرية تصدر في باريس مع فهرس سنوي مفصل[1].

– مجلة الدراسات الإسلامية تأسست سنة 1927م بإشراف لويس ماسينيون.

– مجلة أربيكا 1954م.

من خلال هذا الجرد السريع لأسماء هذه المجلات والدوريات والنشرات يلاحظ تعدد اهتمامات المستشرقين الفرنسيين بالعالم الإسلامي[2].

حـ– المجموعات الشرقية: نهضت مجامع وإدارات الحكومة والهيئات الخاصة ونفر من العلماء بإصدار مجموعات علمية نفيسة ومن أشهرها على سبيل مثال:

– مجمع الكتابات والآداب سنة 1963م أصدرها مجموعة مؤرخي صليبية ونشرها دي مالان ودي

[1]– نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص– ص: 161– 162.

[2]– أحمد نصري، المرجع السابق، ص: 37.

مينار متنا وترجمة فرنسية في ستة عشر مجلدا بباريس (1870- 1894م).

- مجموعة الكتابات السامية: أوفد المجمع هاليفي في بعثة الى اليمن فوضع بما نقله عنها، نواة تلك المجموعة التي وقعت في خمسة أقسام ينطوي كل منها على أجزاء، القسم الأول: النصوص الفينيقية والثاني: الآرامية، والثالث: العبرية، والربع: الحميرية السبئية، والخامس جمع فيه ريكمانس الكتابات الصفوية.

- أوفد مجمع الكتابات والآداب بعثة أثرية برئاسة العلامة شفير الى تل رأس شمرة ما بين سنة (1929 - 1939م)، ثم استأنف نشاطها منذ عام 1947م عثرت على عدد من الوثائق تشتمل على أناشيد وفرائض دينية ونصوص أدبية ومراسلات سياسية.

- ومن المجموعات العامة وفيها وثائق عن الشرق:

دليل محفوظات الحرب التاريخية باريس سنة 1898م ودليل محفوظات المتعلقة بالبحرية باريس 1898م والمكتبة الجغرافية والتاريخية باريس سنة 1900م والدليل العالم العام للمخطوطات مكتبة الحرب باريس سنة 1911م والمدخل الى الدراسات التاريخية وهو تاريخ العام في عدة أجزاء خص الإسلام بصفحات موجزة[1].

رابعا: الاستشراق والاستعمار

هناك علاقة وثيقة بين الاستشراق والاستعمار، حيث بالرغم من اختلافهما في بعض النواحي، فالاستشراق يضم مجموعة من المثقفين والعلماء، وساحاته وميادينه هم عبارة عن مؤسسات ثقافية، والاستعمار هو عبارة عن قرارات سياسية تنفذ بالقوة العسكرية بمختلف الأسلحة وأدوات القمع[2]، إلا أن هناك عدة عوامل تربطهم ببعض:

[1]- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص- ص: 164 – 168.

[2]- الطيب بن ابراهيم، المرجع السابق، ص: 163.

فالاستشراق قد أدى دورا كبيرا في التهيئة والتمهيد لاستعمار العالم الإسلامي في القرن 19م، فبعد أن سيطر الغرب على الشرق الإسلامي عسكريا وسياسيا، عمد الاستشراق على إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين[1]، وتشكيكم في معتقداتهم وتراثهم، حتى يتم الاستعمار في النهاية الى إخضاع المسلمين إخضاعا تاما للحضارة والثقافة الغربية[2].

كلاهما أبناء وطن واحد ومجتمع واحد وثقافة واحدة، وتاريخ ومصير مشترك، ولا فرق بينهما إلا في الجانب الشكلي والوظيفي لعملهما، فهما ينبعان من منبع واحد ويسيران في اتجاه واحد، وهما مكملان لبعضهما البعض حيث كل طرف يقوم بخدمة الطرف الآخر، فالاستشراق اعتمد على الهجوم الثقافي وعملياته كانت هادئة تعتمد على التدرج والتهيئ كإبراز السلبيات الثقافية داخل ثقافات شعبية، وإيهام القارئ بأن التراث الإسلامي هو تلك الخرافات الشعبية، وذلك كله بديلا عن الاستعمار في هجوماته المسلحة وعملياته للشعوب المفاجئة والسريعة.

كما استخدموا مختلف وسائل الكذب والافتراء والتزوير للحقائق، وذلك من أجل أن يشعروا أحفاد المسلمين بالشعور بالنقص والتخلف، ويكونوا طوعا بين أيدي الغزاة، وكذلك العمل على بث الكراهية ضد المسلمين، خاصة تلك الشعوب التي تراهم مثال رائع عن العدل والمعرفة المتقدمة والمتنامية المتكاثرة، وعملوا كذلك على خداع الشعوب الإسلامية، وذلك بربط كل صورة من صور التقدم الحضاري والمدني بخطة لهدم الإسلام، والعمل على خداع الشعوب الأخرى التي كانت بينهم وبين المسلمين مشاركات وطنية داخل بلادها، بغية إيجاد طوابير التي تجند لحرب المسلمين داخل بلادهم[3].

[1]- محمد الشرقاوي، المرجع السابق، ص: 64.

[2]- محمود حمدي زقزوق، المرجع السابق، ص: 59.

[3]- عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، المرجع السابق، ص- ص: 41- 42.

تعاون الاستشراق والاستعمار في دراسة الأوضاع الاجتماعية ومحاولة تفكيك روابطها، مثل استخدامه لأسلوب "فرق تسد"، والتي لقيت نجاحا كبيرا في تطبيقها، وكذلك محاولة تفتيت وحدة الشعب من خلال التفرقة بين العرب والبربر[1].

حيث كان الاستشراق من أهم الوسائل التي مهدت للاستعمار، فالمد الاستعماري في العالم الإسلامي له دور كبير في تحديد طبيعة النظرة الأوروبية إلى الشرق وخصوصا بعد منتصف القرن 19م، حيث استفاد الاستعمار من التراث الاستشراقي، ومن ناحية أخرى كان للسيطرة الغربية على الشرق دورا في تعزيز موقف الاستشراق[2]، والاستعمار في حقيقة الأمر هو امتداد للحروب الصليبية، فبعد هزيمتهم لم يشعروا باليأس وقرروا العودة إلى احتلال بلاد العرب والمسلمين، ووجدوا أنفسهم في حاجة إلى معرفة وفهم عادات وتقاليد هذه الشعوب[3]، فاستعانوا بالمستشرقين من أجل دراسة هذه البلاد في كل شؤونها، ومن أجل أن يتعرفوا على مواطن القوة فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغتنموها[4]، وذلك كتعويض للهزائم الصليبية وكان الاستشراق من الطلائع الاستعمارية لغزو المسلمين والسيطرة علي بلادهم[5].

ولم تكن علاقة الاستشراق مجرد إضفاء على التبرير العقلي على المبدأ الاستعماري، بل كان الأمر أبعد من ذلك وأعمق، فالتبرير الاستشراقي للسيادة الاستعمارية قد تم قبل حدوث السيطرة الاستعمارية على الشرق، وليس بعد حدوثها، وكان التراث الاستشراقي بمثابة دليل للاستعمار في

[1]- مازن صلاح حامد مطبقاني، المغرب العربي بين الاستعمار والاستشراق. الجزائر: دار بني مزغنة المحمدية، 2015م، ص- ص: 34- 36.

[2]- محمود حمدي زقزوق، المرجع السابق، ص: 53.

[3]- مُحَمَّد جعيجع، دور الاستشراق الفرنسي في استعمار فرنسا للجزائر، مجلة المعيار، الصادرة عن: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، كلية أصول الدين، الجزائر، مج5، ع10، 2005م، ص: 15.

[4]- عبد الله الشرقاوي، المرجع السابق، ص: 64.

[5]- عبد القهار داوود عبد الله العاني، الاستشراق والدراسات الإسلامية. عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع، (ط1)، 2001م، ص: 29.

شعاب الشرق وأوديته من أجل فرض السيطرة على الشرق وإخضاع شعوبه وإذلالها[1]، واستغلال الحكومات الاستعمارية للمستشرقين وذلك بتقديم مجموعة من خدمات لهم، بحيث نجد جمهور من المستشرقين يتطلعون لهذه المهمة، إذ شكلوا كتائب استطلاعية لفلول الاستعمار الغربي، وكاسحات للعقبات الايديولوجية والفكرية، في طريق السيطرة الغربية وتذويب الحواجز النفسية بين الغازي والمغزو، إثر إدراك بعض قادة الغرب لهذا الدور الإيجابي للاستشراق والمستشرقين لخدمة الاستعمار.

وقد صرح الوزير السابق "اللورد بلفور" قائلا: "إن المستشرقين والمبشرين هم من ساعد جميع الحكومات المستعمرة، وعضدها في كثير من الأمور المهمة ولولاهم لتعذر على تلك الحكومات، أن تذلل كثير من العقبات، ولذلك فإننا في حاجة إلى لجنة دائمة تعمل لما فيه صالح لهؤلاء"[2]، وهنا تظهر غاية الاستعمار من الاستشراق، حيث كان الاستعمار سندا قويا، وحصنا منيعا، وسلاحا حادا للاستشراق ينفذ به أهدافه فانطوى المستشرقين تحت لواء حكوماتهم الاستعمارية، واعتمدت عليهم هذه الحكومات في بسط نفوذها على البلاد الإسلامية الشرقية، ليصبح للمستشرقين أدوات تمهيد للاستعمار، والعمل على تحطيم المسلمين، وإلغاء مفهوم الجهاد، وقد كان الاستشراق في القرن التاسع عشر أحد الوجوه البارزة للاستعمار[3].

هكذا نشأت رابطة رسمية وثيقة بين الاستشراق والاستعمار، وإنساق في هذا التيار عدد من المستشرقين ارتضوا لأنفسهم أن يكون علمهم وسيلة لإذلال المسلمين وإضعاف قيمة الإسلام، ويرى المستشرقون المنصفون أن هذا مخالفا لقيمهم ويشعرهم بالخجل والمرارة، حيث يقول المستشرق المعاصر ستفان فيلد (stephan wild):"...والأقبح من ذلك أنه توجد جماعة يسمون أنفسهم

[1]- محمود حمدي زقزوق، المرجع السابق، ص: 59.

[2]- مُحَمَّد جعيجع، المرجع السابق، ص: 16.

[3]- مُحَمَّد أمين حسن مُحَمَّد بني عامر، المرجع السابق، ص- ص:35- 36.

مستشرقون سخروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين، وهذا واقع مؤلم لابد أن يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة"[1].

وقد نجح المستعمرون في توظيف المؤسسة الاستشراقية الغربية في خدمة أغراضهم وتحقيق أهدافهم، وتمكين سلطانهم في بلاد المسلمين، وقد نشأ رابط رسمي بين هاتين المؤسستين مؤسسة الاستعمار ومؤسسة الاستشراق[2]، وعملت الدول الاستعمارية على إنشاء عدة مؤسسات في البلاد الإسلامية التي خضعت لنفوذها، ولخدمة الاستشراق ظاهريا ومن بينها: المعهد الشرقي بدير الدومينيكان والمعهد الفرنسي، ودار السلام، وهكذا في كل الأقطار الإسلامية[3].

المبحث الثاني: نشاط الاستشراق الفرنسي في الجزائر

عرفت الجزائر منذ 1830م أي مع الدخول الفرنسي للجزائر، حركة استشراقية فرنسية لم يعرف مثلها أي بلد عربي، حيث كانت الجزائر موضوعا خصبا لدراسات المستشرقين في مختلف المجالات المعرفية، وتميز الاستشراق الفرنسي في الجزائر بعدة مراحل منذ 1830م الى غاية الاستقلال وفيها كان للمستشرقين الفرنسين دور فعال في تأسيس مدارس ودراسة شاملة وكاملة للجزائر وشعبها، هذا ما جعل الاستشراق الفرنسي بالجزائر يتميز بخصائص تختلف على استشراق في بلدان أخرى.

أولا: بداية الاستشراق الفرنسي في الجزائر

إن كان الاستشراق في ظاهره يعني الاهتمام بدراسة الشرق من قبل الغرب، فإن سياسة التوسع الاستعمارية التي دأبت فرنسا في العمل من أجلها، والتي كانت مجالا للتنافس بينها وبين الدول

[1]–محمود حمدي زقزوق، المرجع السابق، ص: 54.

[2]– مُحَمَّد الشرقاوي، المرجع السابق، ص :16.

[3]– مُحَمَّد أمين حسن مُحَمَّد بني عامر، المرجع السابق، ص: 67.

الأوروبية الأخرى، لم يكن أمام التوسع الاستعماري إلا أن يدخل ضمن مجالات واهتمامات واستراتيجيات الاستشراق لتخدم مصالحه[1].

لقد ارتبط الاستشراق الفرنسي ارتباطا عضويا بالحركة الاستعمارية الفرنسية، بحيث راهنت الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية على مستشرقيها ودورهم، بقدر ما كانت تراهن على جيوشها، والاستشراق والاستعمار الفرنسيان تحديدًا، تتمثل وحدتهما في أنهما وليدا سياسة فرنسية واحدة كما قال المستشرق الفرنسي المعاصر جاك بارك (1910- 1995م):" فالاستشراق هو الجناح الفكري للتوسع السياسي، وغياب أحدهما عن الآخر هو بداية تصدع في جدارهما ،وهو ضعف لهما ومؤشر لبداية زوالهما "[2]، وبما أن الجزائر تحتل موقعا جغرافيا واقتصاديا هاما في الشمال الإفريقي وتعتبر من أكبر الأقاليم امتدادا جغرافيا، مما بوأها إلى أن تكون صلة وصل بين أقاليم المشرق والمغرب العربيين وبينهما وبين أوروبا، كل ذلك وأكثر جعل أنظار الفرنسيين تصبو إليها منذ القرن الخامس عشر ميلادي، حيث شنوا عددا كبيرا من الهجمات حتى تحقق لهم اهتمام مآربهم سنة 1830م[3]، وتجدر الإشارة إلى أن المستشرقين الفرنسيين كان لهم اهتمام سابق بالجزائر، كما وسبق أن ذكرنا إلا أنه ظهر جليا سنة 1830م، وكان زعيمهم المستشرق "سلفستر دي ساسي" الذي اعتبره بعضهم هو "أبو الاستشراق ومنشئ علم الاستشراق في أوروبا"، ولم يزر دي ساسي الجزائر أبدا، ولكن (البيان) الذي وزعه الفرنسيين بالعربية عشية الحملة على الأعيان في الجزائر كان من إنشائه أو تحت إشرافه، وبعد الاحتلال شجع دي ساسي على إنشاء الدراسات العربية في الجزائر بإشراف تلاميذه[4].

[1]- الطيب ولد العروسي، مُحَمَّد بن أبي شنب ومعضلة الاستشراق. بحث منشور في كتاب (الدكتور مُحَمَّد بن شنب والاستشراق) سلسلة محاضرات الملتقى الدولي، الناشر: ميلود بلحنيش، الجزائر: منشورات مديرية الثقافة بالمدية، 2015م، ص: 204.

[2]- أحمد مسعود سيد علي، الاستشراق الأنثوبولوجي الفرنسي بالجزائر وارتباطه بالتنصير، مجلة قضايا تاريخية، الصادرة عن: مخبر الدراسات التاريخية المعاصرة بالمدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، مج1، ع2، 2016م، ص: 106.

[3]- رشيد بن قسيمة، المدرسة الاستشراقية الفرنسية وجهودها في جمع المخطوطات العربية وتحقيقها وترجمتها إبان فترة احتلال الجزائر، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، بوسعادة : مج10، ع2، 2021م، ص: 204.

[4]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، (ط1)، ج6، 1998م، ص- ص: 9 - 10.

كانت الجزائر موضوعا خصبا لدراسات المستشرقين في مختلف المجالات المعرفية، كالتاريخ والأنثروبولوجيا والاجتماعيات واللغات والأدب...الخ، فبعدما تمكنت الجيوش الفرنسية من الاستيلاء على أهم المدن الجزائرية، بدأت آلية الإدارة تتحرك في كل اتجاه وتكوَّن "المكتب العربي" في المدن والقرى وأصبح الذين يتولونه من المستعربين العسكريين ومعهم مترجمون أيضا وبدأ اهتمام المكاتب العربية بالسكان يزداد، للتعرف على عاداتهم ولهجاتهم وتراثهم وأنسابهم وطرق معيشتهم[1].

لقد واكبتهم في الحياة المدنية حركة أخرى موازية ومكملة تمثلت في جمع المخطوطات وإنشاء المكتبة العامة بالجزائر على يد أدريان بيربروجر[2]، وقد أجرى هو وغيره حفريات عديدة معظمها تهدف إلى ايجاد آثار الكنيسة وبقايا الرومان، كما وقام الفنانون برسم رسومات في الجزائر، منطلقين من رغبتهم في معرفة حياة الشرق التي قرأوا عنها في ألف ليلة وليلة[3].

إن الاستشراق الفرنسي نحو الجزائر، يحمل في ظاهره أهداف علمية معلنة، لكن في طياته يحمل أهداف خفية تعمل على فهم الشعوب، وتوطين الاستعمار وفي ذلك اتجه إلى دراسة ما جاء من رحلات وبعثات إلى شمال إفريقيا، وخاصة منها إلى الجزائر في ق18م، التي أصبحت فيما بعد مادة أولية في الدراسات الاستشراقية، حيث شرعوا في حركة جمع وترجمة وتأليف اعتبرت هي الأولى من نوعها في مسيرة الاستشراق في الجزائر[4].

[1]- عبد المجيد حنون، الجزائر والاستشراق، مجلة التواصل الأدبي، الصادرة عن: جامعة باجي المختار عنابة، مج10، ع2، 2021م، ص: 18.

[2]- **أدريان بيربروجر**: فرنسي من أصل ألماني، ولد بباريس في 1801م، وتوفي سنة 1869م بالجزائر، التي جاء اليها بعد نجاح حملة الاحتلال، كان رئيس تحرير المرشد الجزائري، كان يرافق الجيش الاستعماري الى المدن الهامة بهدف الاستحواذ على المخطوطات وأنشأ بها مكتبة الجزائر، للمزيد ينظر: كمال بن صحراوي، معجم المقاومة الجزائرية منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى منتصف القرن 19م. الجزائر: منشورات ألفا للوثائق، (ط1)، 2020م، ص: 53.

[3]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص: 11.

[4]- عبد المجيد حنون، المرجع السابق، ص: 18.

حرصت السلطات الاستعمارية الفرنسية على تجنيد وتوظيف هؤلاء المستشرقين في المناصب الإدارية الحساسة، للاستفادة من خبرتهم واستغلالها في بسط نفوذها الاستعماري، كما عملوا واجتهدوا في تسويق القيم الحضارية الأوروبية بمختلف صورها وأنماطها وأفكارها الإباحية، وسط مجتمع جزائري محافظ، كما عمدت السلطات الفرنسية على التظاهر بمظهر جنس متحضر أتى إلى الجزائر من أجل إخراج المجتمع الجزائري من التخلف والرجعية الذي ضرب عليه من جزاء السلطة العثمانية، على حسب ادعائه[1].

لم يتوقف النشاط الاستشراقي الفرنسي باتجاهه الاستعماري عند هذا الحد بل نجده يتجاوزه إلى تكوين البعثات العلمية الاستكشافية وإرسالها إلى البلدان المجاورة كتونس والمغرب الأقصى والسنيغال... وغيرها لاستكشافها علميا.

ويرى بعض الباحثين رغم كل هذا أن السلطات الفرنسية لم تقم بتدعيم جهود المستشرقين في الجزائر كالترجمات والأعمال العلمية المتصلة بالتراث العربي الإسلامي باستثناء تمويلها لمشروع اكتشاف الجزائر العلمي، إلا أن الحقيقة التاريخية هي عكس هذا الحكم، فالمعروف أن الادارة الاستعمارية منذ أن وطئت قدمها أرض الجزائر أولت اهتماما خاصا للغة العربية والدين الإسلامي والتراث الجزائري، وصرفت أموال طائلة لفهم خصوصيات المجتمع الجزائري، إذ أن أهم ما سيلاحظه الدارس لحركة الاستشراق الفرنسي في الجزائر هو أن العديد من المستشرقين كانوا موظفين في الادارة الاستعمارية أو من المؤيدين للوجود الاستعماري في الجزائر و أن جُل كتاباتهم ومواقفهم تنصّب في إطار خدمة هذا الوجود[2].

[1]- مُحَّد خالدي، المستشرقين وأثرهم الفكري والفني في الجزائر. مجلة الأثر، الصادرة عن: كلية الآداب واللغات بالجامعة قاصدي مرباح بورقلة، الجزائر ع13، 2012م، ص 273.

[2]- ابراهيم لونيسي، بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي. الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2013م، ص- ص: 135 - 136.

يمكننا القول أن انطلاقة الاستشراق الفرنسي في الجزائر كانت عامة في بادئ الأمر ولعل الميزة الوحيدة لها كونها تستعمل العامية الجزائرية كأداة اتصال وليس الفصحى أو اللهجات العربية المشرقية، ومما يدل على عدم وجود لهجة جزائرية في مدرسة اللغات الشرقية قبل الاحتلال. كانت عبر مراحل وهي:

ثانيا: مراحل الاستشراق الفرنسي في الجزائر: مر الاستشراق الفرنسي بثلاث مراحل وهي:

1- المرحلة الأولى (1830 -1879 م): تميزت هذه المرحلة بجهاز ترجمة قوي على يد العسكريين الفرنسيين في معظم الأحيان، وهناك مترجمون وإداريون وآخرون قضاة وقد نتج عن أعمال هؤلاء الكثير من النصوص والعرائض والوثائق التاريخية، وشغل المستشرقون في اللجان العلمية والجمعيات المتخصصة ونشروا أبحاثهم للتعريف بالشعب الجزائري المحتل في مختلف عصوره ومظاهره[1]، الأمر الذي يوضح انتقال الإدارة الفرنسية في الجزائر من وضع تعليمي إلى وضع آخر يوحي بثبات الوجود الفرنسي، وسعيه إلى ترسيخ ذلك الثبات بواسطة تأسيس مؤسسات تعليمية عليا تُكَوِن الكفاءات اللازمة لذلك[2]، وتميزت هذه المرحلة بـــ:

أ- حلقات اللغة العربية (كراسي): كان عددها ستة، بدأت في ديسمبر 1832م وانتهت سنة 1879م، قد وُجِهت أساسا لتعليم اللغة العربية للفرنسيين من العسكريين والمدنيين وهي:

- الحلقة الأولى: بدأت في العاصمة على يد جوني فرعون[3]، وهو سوري/مصري الأصل ،وبرينييه وهوداس.

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص: 12.

[2]- عبد المجيد حنون، المرجع السابق، ص: 19.

[3]- **جوني فرعون:** ولد بالقاهرة وأبوه سوري الأصل، عمل مترجما في الجيش الفرنسي أثناء الحملة على مصر، ثم التحق بمدرسة اللغات الشرقية بباريس نتولى مهنة التدريس، وعند انطلاق الحملة الفرنسية على الجزائر انضم اليها وفي سنة 1831م، أصبح مترجما وكاتبا للإدارة الفرنسية للمزيد ينظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر. بيروت: دار الغرب الاسلامي، (ط1)، ج 4، 1996م، ص: 25.

- حلقة قسنطينة: تولاها فينيار، وشاربونو، وريشبي، ومارتن،كذلك موتيلانسكي، وكور.
- حلقة وهران: قام بإدارتها هادمان،كومباريل، وهوداس، أيضا ماشويل.
- حلقة كوليج الجزائر (متوسطة): أشرف عليها قورقوس 1846م.
- حلقة الكوليج الإمبريالي بالعاصمة: قد تولاها الدكتور بيرون 1857م.
- حلقة مدرسة الآداب: سيرها هوداس 1863م[1].

ب- الجمعيات الاستشراقية: لقد تعددت الجمعيات وقدمت خدمات كبيرة للبحث، رغم انتمائها للإدارة الاستعمارية، وأهدافها المصادرة للتطور الطبيعي للشعب الجزائري، ومن أهمها:

- الجمعية الآسيوية: تأسست في باريس سنة 1822م، قام بتسييرها دوق أورليان[2]، وقد شارك في المجلة الآسيوية عدد قليل من المستشرقين الفرنسيين الذين استقروا بالجزائر، منهم بنجامين فانسان وشاربونو.
- الجمعية الشرقية: تأسست في باريس سنة 1841م، وأصدرت مجلة "الشرق" واهتمت بكل ما يهم حاضر ومستقبل بلدان الشرق، وكذلك الجزائر.
- الجمعية الجغرافية: تأسست في باريس سنة 1821م، واهتمت مبكرا بالجزائر والمغرب العربي والاستكشافات، وهي التي نَشر فيها الباحث "دافيزاك" ترجمة لرحلة الأغواطي في وصف المناطق الصحراوية الجزائرية[3].

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص: 15.
[2]- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص: 161.
[3]- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص- ص: 90 – 91.

- جمعية قسنطينة الأثرية: تأسست في ديسمبر سنة 1852م، ومن مؤسسيها "المستشرق شاربونو"[1]، اهتمت باكتشاف آثار الجزائر القديمة، وكانت الجمعية مؤلفة من عسكريين ومدنيين، كما لاحظ الكاتب فيهم الجنرالات وعقداء في الجيش.

- الجمعية التاريخية الجزائرية : تأسست يوم 17 افريل 1856م، في العاصمة بمبادرة من الحاكم العام المارشال راندون الذي أصبح الرئيس الشرفي للجمعية، كان الهدف من انشائها هو دراسة كل المعلومات المتصلة بتاريخ إفريقية ولا سيما المعلومات التي تهم الجزائر، وكانت لها مجلة عرفت بـ "المجلة الإفريقية".

- جمعية البحث العلمي: تأسست في عنابة سنة 1863م، وسميت بعدها "أكاديمية هيبون"، وقد أصدرت مجلة بإسم "نشرة أكاديمية هيبون"، يظهر عليها الطابع الآثري والديني.

جـ- اللجان العلمية: ونذكر أهمها:

- لجنة الاستكشاف العلمي للجزائر: تأسست سنة 1837م،كان فيها مختلف المتخصصين، فكانت الخطة هي أن يذهب هؤلاء العلماء الى الجزائر في مدة محدودة ويكتبوا حصيلة بحوثهم، بحيث تنشر هذه البحوث على نفقة الدولة الفرنسية إذا دعمتها اللجنة.

- لجنة الاحتفال المئوي بالاحتلال: حيث تولى أساتذة جامعة الجزائر، التأليف والبحث فكانت مهامها، إنشاء الإذاعة الجزائرية وإقامة النصب التذكارية، وإنشاء قاعة للفنون الجميلة وإنشاء المدارس والورشات الخاصة بالفنون التقليدية، بالإضافة الى نشر الأعمال والبحوث[2].

[1]- **شيربونو**(CHERBONNEAOU) 1813- 1882م: تعلم العربية على يد دي ساسي، فلما أتقنها أرسل أستاذا لها في مدرسة بقسنطينة "الجزائر"، لم يكتف بتدريسها بل عمد إلى تنظيم مدارسها وإحياء الأدب العربي فيها للمزيد ينظر: مراد يحي: معجم أسماء المستشرقين، ص- ص: 734- 735.

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص- ص: 80- 96.

2- المرحلة الثانية (1879 -1930م): وهي المرحلة التي أرست دعائم الاستشراق الفرنسي، من خلال مراجعة شاملة للتعليم العالي في فرنسا والاقتداء بالتعليم العالي الألماني[1] ومن أهم ما ميزها:

- مدرسة الآداب: أنشأت سنة (1880م) بالجزائر العاصمة، حيث اهتمت بالتراجم والنصوص العربية، و" رينيه باصيه" هو من تولى تدريس العربية فيها.

- إعادة تنظيم كلية فرنسا: أعيد تنظيم هذه الكلية العريقة وإنشاء كراسي مختلفة للغات الشعوب المحتلة، وقد كان الاستشراق الفرنسي بالجزائر هو المعني بهذا، لأن من تولوا هذه الكراسي كانوا من مدرسة الجزائر[2].

- الدراسات البربرية: تضاعفت الدراسات البربرية، لغة ومجتمعا، سببها انشاء عدة كراسي لها في مدرسة اللغات الشرقية بباريس، وفي المعهد الذي أنشأه الماريشال ليوطي في الرباط، بعنوان المعهد العالي للدراسات المغربية سنة 1906م، فنشطت الدراسات البربرية كثيرا في عهد روني باصيه وتلامذته[3].

- المؤتمر الرابع عشر: انعقد في الجزائر كأول بلد عربي يستضيفه في عام 1905م، وهو المؤتمر الرابع عشر، وثاني مؤتمرات القرن 20م، حضر المؤتمر أكثر من 600 مشارك، ومنهم من كانوا ذو أصل جزائري لكن لم يكن لهم دور فعال في المؤتمر[4].

- مجلة العالم الإسلامي: صدرت سنة 1906م، كانت في بدايتها فصلية، ثم تحولت الى "مجلة الدراسات الإسلامية"، برئاسة "ألفريد دو شاتليه"، فاهتمت بأخبار العالم الإسلامي[5].

---

[1]- عبد المجيد حنون، المرجع السابق، ص: 22.

[2]- رشيد بن قسيمة، المرجع السابق، ص: 206.

[3]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص- ص: 31- 32.

[4]- المحسن بن علي بن صالح سويسي، المرجع السابق، ص: 295.

[5]- رشيد بن قسيمة، المرجع السابق، ص: 207.

إن هذه المرحلة اتسمت بالامتداد الزمني وبضخامة الإنتاج الاستشراقي من حيث الكم وتنوع ميادينه، وبتوفير الوسائل من المؤسسات التعليمية، وهيئات علمية، وكذا وسائل الطباعة والنشر، والمكتبات ... وغيرها، بالإضافة الى أن الاستشراق في هذه المرحلة كان له طابع الاحترافية، فنقل من الممارسة العملية التداولية إلى الممارسة الجماعية الأكاديمية.

3- المرحلة الثالثة (1930-~~1962~~ م): تتسم هذه المرحلة بفترة قصيرة، قياسا بسابقتيها إلا أنها تتميز عنهما بالاحترافية والنوعية، فقد تميزت بالتوسع في انشاء المعاهد، ومراكز البحث التي كانت تقوم بوظائف متعددة، ومن أهم خطوات هذه المرحلة[1] هي:

أ- إنشاء المعاهد المتخصصة: إن الهدف من إنشاء المعاهد المتخصصة ومراكز البحث لم يكن لفائدة الجزائريين بل لفائدة فرنسا اهتمت بمجال البحث والتطبيق في مختلف التخصصات التي تحتاجها الدولة الفرنسية ومن بينها:

- معهد البحوث الصحراوية: ظهر هذا المعهد عندما اهتمت السلطات بدراسة الصحراء ظاهريا وباطنيا، وكان رئيسه هو السيد "مير"، واشترك في الدراسات فيه أطباء ومستشرقون وضباط ومستكشفون.

- معهد الدراسات الشرقية: تأسس بإشراف جورج مارسيه الذي عمل طويلا في التعليم والتأليف، وأعضاء المعهد كانوا من المستشرقين الفرنسيين المعروفين والعاملين في كلية الآداب، ومجال هذا المعهد هو العالم العربي والإسلامي الذي ينتمي إليه المغرب العربي تاريخيا ولغويا وعرقيا.

وهناك معاهد ومراكز بحث أخرى كانت متصلة بالجامعة أيضا، ولكنها كانت متحررة في نشاطها العلمي، نذكر منها معهد الدراسات القانونية، والمعهد الحضري، ومعهد الجيولوجيا التطبيقية وجمعية العلوم الفيزيائية والكيميائية، يضاف إلى ذلك جمعية البحوث البترولية[1].

[1]- عبد المجيد حنون، المرجع السابق، ص- ص: 28- 29.

ب- تحويل المدارس الشرعية الى ثانويات: كان ذلك في مرسوم جويلية 1895م، لهدف استكمال فرنسة التعليم والقضاء على اللغة العربية، وذلك بتحويل المدارس الشرعية الثلاث (الجزائر، قسنطينة، تلمسان)، الى ثانويات مزدوجة[2].

وعلى العموم فقد صار الاستشراق الفرنسي في الجزائر، خلال هذه المرحلة احترافيا وأكاديميا من خلال الجامعة ومراكز البحث والمجلات المتخصصة والملتقيات العلمية، حيث أسهم المستشرقون بفعالية في المؤسسات الاستشراقية العالمية، مثل "الموسوعة الإسلامية"، و"مؤتمرات المستشرقين"، وأصبح الكثير منهم أعلاما في الجامعات الفرنسية ومدارسها العليا وأسهموا بفاعلية في تكوين طلبة عرب ودربوهم على المنهج العلمي الرصين في دراسة اللغة العربية وآدابها وتاريخيا، غير أن الحرب ع2، وما ترتب عنها من حرب باردة وتغيرات عقلية وعلمية، أصابت الاستشراق بهزة عنيفة، زادت عمقا الثورات التحريرية، وعلى رأسها الثورة الجزائرية التي أرغمت الاستشراق في الجزائر على الانكماش، داخل أسوار الجامعة، ثم الشروع في الفرار من الجزائر قبيل الاستقلال[3].

ثالثا: خصائص الاستشراق الفرنسي في الجزائر:

إن الانطلاقة الحقيقة للاستشراق الفرنسي بدأت بحركة الاستعمار وتوسعه في الجزائر، وهو ما جعل الاستشراق فيها يتميز بخصائص ينفرد بها[4]، عن غيره في دول عربية أخرى، ومن أهم هذه الخصائص نذكر ما يلي:

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص- ص: 100- 101.

[2]- رشيد بن قسيمة، المرجع السابق، ص: 207.

[3]- عبد المجيد حنون، المرجع السابق، ص- ص: 32- 33.

[4]- يوسف جغلولي وجمال تالي، الاستشراق في الجزائر بين الأطروحات والوسائل (دراسة نقدية لبعض الأعمال الاستشراقية الفرنسية)، مجلة الحقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، الصادرة عن: جامعة زيان عاشور بالجلفة، مج2، ع6، 2017م، ص: 526.

أعطى الاحتلال الفرنسي للجزائر دفعا قويا جدا لحركة الاستشراق بمحتواه الاستعماري، إذ وقعت جل المخطوطات والوثائق الجزائرية وآثارها المختلفة بين أيدي مستشرقيها[1]، وتميز هذا الاستشراق في البداية، أنه كان على يد العسكريين ثم بدأ يصبح أكثر انتظاما وتخطيطا[2]، كما استحدث المستشرقون في الجزائر بما يسمى بـ "المكاتب العربية"، كان الهدف منها اخضاع الجزائريين والتعرف على مختلف جوانب حياتهم وأسندت ادارتها الى النقيب "لامورسيار" (LAMORICIERE) 1833- 1834م، لأنه كان يحسن التكلم باللغة العربية[3].

وكان هناك ارتباط بين الاستشراق والاستعمار في الجزائر، فكلما توسع الاستعمار وتثبت أقدامه وأحكم سيطرته على الشعوب الإسلامية، كلما زاد اعتماده على الاستشراق كمؤسسة تابعة له تسانده وتدعمه، وأيضا شكلت الحركة الاستشراقية الفنية الرومانسية، القناة الاعلامية الاستعمارية التي من خلالها يتم الإشهار عن جغرافية الجزائر بخصائصها الطبيعية[4].

وركز المستشرقون بشكل خاص، على الاهتمام بالمرأة الجزائرية المسلمة[5]، وقد اهتم هؤلاء المستشرقون، بتدريس وتعلم اللهجة الجزائرية أكثر من اهتمامهم باللغة العربية، لينجحوا في مهمتهم[6]، وسعى المستشرقين للقضاء على اللغة العربية الموحدة –لغة القرآن الكريم– فكانت اللغة التي يتخصص فيها الجزائري عندما يدخل مدرسة فرنسية، هي العامية وليس الفصحى، لأن الفصحى كانت في نظر الفرنسيين لغة أجنبية على الجزائريين[7].

[1]– ابراهيم لونيسي، المرجع السابق، ص: 134.

[2]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص: 12.

[3]– صالح فركوس، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر(1830– 1925م). الجزائر: مديرية النشر لجامعة قالمة، 2010م، ص: 70.

[4]– احميدة عميراوي، آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري (1830– 1954م). الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في حركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، 2007م، ص، ص: 124، 130.

[5]– يوسف جغلولي، المرجع السابق، ص: 530.

[6]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، ج8، 1998م، ص: 14.

[7]– أبو القاسم سعد الله، في الجدل الثقافي. الجزائر: عالم المعرفة، 2011م، ص: 143.

رابعا: أبرز المستشرقين الأوائل في الجزائر

بعض أسماء المستشرقين الذين كان لهم دور بارز في الدراسة والتأليف والنشر، نذكرهم على سبيل المثال لا الحصر، وهم:

1- سلفستر دي ساسي (1758- 1838م):

لقب سلفستر دي ساسي[1] (SILVESTRE DE SACY) لقب بالبارون[2]، ولد بباريس في 21 سبتمبر 1758م،كان أبوه كاتب عدل وقد توفي سنة 1765م، فقامت أمه برعايته وتثقيفه، وقد أظهر دي ساسي منذ نعومة أظافره ميلا الى الدراسة وكانت ميوله الأولى، تكشف عن الاهتمام بالشؤون الدينية فتعلم اللغة العبرية، وكانت هذه الخطوة بداية رحلة دي ساسي في عالم الاستشراق والاستعراب[3]، ثم بدأ يعد مجموعة لأدباء العرب، فحبب اليه العربية وأخذ يدرسها مع اللغة العبرية والفارسية والتركية، وقد أتقن من اللغات الأوروبية: اللاتينية، والألمانية، الإسبانية، والإيطالية، والإنجليزية[4]، عينه الملك لويس 16 أمينا للمال، لكنه استقال في سنة 1792م، وعند إنشاء مدرسة عامة لتدريس اللغات الشرقية الحية في باريس، عين سلفستر مدرسا للغة العربية، مما زاد تعمقه باللغة العربية وبالدين الإسلامي ومذاهبه، ثم أصبح أستاذ في الكوليج دي فرانس سنة 1799م[5]، وعندما احتل الفرنسيون الجزائر في عام 1830م،كان ساسي هو من ترجم "الإعلان العام" للجزائريين، وكان وزير الخارجية يستشيره بانتظام في جميع الشؤون الدبلوماسية، وأحيانا كان وزير الحربية يستشيره

[1]- ينظر صورة سلفستر دي ساسي في الملحق رقم: 01.

[2]- نذير حمدان، مستشرقون سياسيون جامعيون مجمعيون. المملكة السعودية: مكتبة الصديق للنشر والتوزيع، (ط1)، 1988م، ص: 60.

[3]- محمود مقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا. الكويت: عالم المعرفة، 1992م، ص: 191.

[4]- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص: 179.

[5]- عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين. بيروت: دار العلم للملايين، (ط3)، 1993م، ص: 335.

كذلك[1]،كما يجدر الذكر الى أن دي ساسي لم يزر الجزائر، ولكنه شجع على إنشاء كرسي اللغة العربية فيها[2].

ومن أهم مؤلفاته أنه قام بوصف دقيق للظواهر النحوية واللغوية، وعرض قواعد نحوية بوضوح ودقة، وحقق كتاب "مقامات الحريري" وطبعها لأول مرة من حسابه الخاص في المطبعة الإمبراطورية، كما ترجم كتاب "الافادة والاعتبار بما في مصر من الآثار"، وقدم تعليقات في غاية الأهمية، أيضا حقق كتاب "كليلة ودمنة" 1816م، وترجم كتاب "روضة الصفاء" 1837م[3].

2- أوغست شاربونو (1813- 1882م):

ولد أوغست شاربونو[4] (CHERBNNEAU-AU) سنة 1813م، تابع دراسته في مدرسة اللغات الشرقية بباريس، واشتغل وظيفة مفتش المدارس العربية الفرنسية الثلاث، وبعد أن فرغ كرسي العربية المغربية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس، بوفاة البارون دي سان، رجع شيربونو الى هذه المدرسة كأستاذ للعربية المغربية (العامية)[5]، تعلم اللغة العربية على يد دي ساسي وكوسن دي بروفنسال، فلما أتقنها أرسل أستاذا لها في مدرسة قسنطينة بالجزائر، ولم يكتف بتدريسها، بل عمد الى تنظيم مدارسها وإحياء الأدب العربي فيها، وتصنيف الكتب المدرسية، منها: معجم فرنسي- عربي، على لغة أهلها، كما اهتم بتحقيق ونشر آداب العرب في السودان، خصوصا في أحمد بابا من بلدة تومبكتو، واهتم بالملوك الأغالبة وتاريخ حياة عبد الله جد الفاطميين، وبتاريخ أسرة ملوك بني

[1]- سعيد ادوارد، الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق)، تر: مُحَمَّد عناني. القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، (ط1)، 2006م، ص: 213.

[2]- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج4، المرجع السابق، ص: 23.

[3]- عبد الرحمن البدوي, المرجع السابق، ص- ص:337 - 339.

[4]- ينظر صورة أوغست شاربونو في الملحق رقم 02.

[5]- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، المرجع السابق، ص: 34.

حفص في تونس[1]، وحينها استدعته الحكومة لتدريس العربية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس، في سنواته الأخيرة من حياته.

ومن أهم ما أضافه للبحث العلمي، أنه نشر مقالات متعددة عن شعراء العرب وكتاباتهم وقصة عنترة (1845م)،كما نقل عدة مؤلفات قديمة، الى الفرنسية من بينها "رحل وتواريخ"، قصص مثل رحلة "العبدري"[2]، وتاريخ "ابن حماد"، وكان مغرما بتاريخ المغرب والجزائر[3]، وأيضا قد ترجم مجموعة قصص منتخبة من كتاب العرب المسلمين (الجزائر 1847م).

3- أوكتاف هوداس (1840 - 1912م):

أوكتاف هوداس[4] (OCTAVE HOUDAS) مستشرق ولد في لوتارفيل سنة 1840، وقد حل بجزائر سنة 1863م، عند حصوله على كرسي العربية في الكوليج "العربي – الفرنسي"، وبقي في الجزائر الى سنة 1884م، حيث عمل أيضا أستاذا في ليسيه العاصمة، وتولى كرسي العربية بوهران وكرسي العربية بمدينة الجزائر، ثم بدأ تعليم العربية في مدرسة الآداب العليا عند إنشائها سنة 1880م[5]، ثم أصبح مفتش عام للتعليم، وصنف عدة كتب لتدريس العربية ثم انصرف الى دراسة تاريخ المغرب الأقصى والتاريخ الحديث للمغرب، كما استدعي أستاذا للعامية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس وعضوا في مجلس المعارف العامة[6].

قد تميز أوكتاف بالبحث العلمي، حيث كان له كتب مدرسية لتعليم اللغة العبرية، وترجم 64 سورة الأخيرة من القرآن الكريم في الجزائر سنة 1864م وقد ترجم "تحفة الأحكام في نكث العقود

[1]- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص: 198.

[2]- **العبدري**: مُحَمَّد بن علي، قام برحلة الى مكة 1289م، ألف كتاب "الرحلة المغربية"، وفيه وصف جيد لأحوال البلاد التي زارها في القرن 13م، ينظر: الموسوعة العربية الميسرة . بيروت : المكتبة العصرية، (ط3)، مج1، 2009م، ص – ص: 16 - 22.

[3]- نذير حمدان، المرجع السابق، ص: 80.

[4]- ينظر صورة أوكتاف هوداس في الملحق رقم: 03.

[5]- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، المرجع السابق، ص: 40.

[6]- مراد يحي، المرجع السابق، ص: 1084.

والأحكام"، لابن عاصم الأندلسي، وله رسالة في تسيير طباعة النصوص العربية، وكذا موجز عن كتاب ترجمان المغرب لأبي القاسم الزياني متنا وترجمه فرنسيا، وأيضا تاريخ المغرب الحديث[1].

بالإضافة الى أنه اعتنى بتاريخ السودان بمعاناة الواسع فنشر وترجم العديد من الكتب منها: ترجمة كتاب "تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس"، أيضا ترجم كتاب "تاريخ السودان" الذي مؤلفه هو عبد الرحمن بن عبد الله، حيث قام بوضع النص العربي مع ترجمة فرنسية بالاشتراك مع بنو[2]، وترجم كذلك كتاب "تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان "قام بترجمته فرنسيا مع نشر النص العربي.

4- لويس ماسينيون (1883- 1962م):

لويس ماسينيون[3] (LOUIS MASSIGNON) مستشرق فرنسي، وهو من بين أبرز المستشرقين[4]، قد تحصل على ليسانس الآداب سنة 1902م، ودبلوم الدراسات العليا في بحث عن المغرب بعد زيارته سنة 1904م، واشترك في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر في الجزائر عام 1905م، وتحصل على دبلوم اللغة العربية من المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية، فصحى وعامية سنة 1906م، كما التحق بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة فاعتنى بالآثار الإسلامية، وكذا قصد بغداد ثم القاهرة سنة 1909م، وحضر عدة دروس في الأزهر، كما انتدبته الجامعة المصرية أستاذا لتاريخ الفلسفة سنة 1912م، فدّرس تاريخ المصطلحات الفلسفية باللغة العربية، ثم توجه الى الجزائر سنة 1914م، وبعدها عاد الى باريس فعين معيدا في كرسي الاجتماع الإسلامي في معهد فرنسا سنة 1919م، وأستاذ كرسي سنة 1926م، بعدها أصبح مديرا للدراسات في المدرسة العملية العليا حتى

[1]- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص: 218.

[2]- خير الدين الزركلي، الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. بيروت: دار العلم للملايين، (ط7)، ج2، 1986م، ص: 32.

[3]- ينظر صورة لويس ماسينيون في الملحق رقم:04.

[4]- عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق، ص، ص: 217، 529.

تقاعده سنة 1954م، وحصل على الدكتواره من السوربون سنة 1922م، وتولى تحرير مجلة العالم السلامي سنة 1919م، ومجلة الدراسات الإسلامية التي حلت محلها سنة 1927م[1].

من أهم أعماله أنه أصدر كتابا كبيرا يكاد أن يكون ملحقا لرسالته، لأنه يتضمن خصوصا النصوص العربية غير المنشورة التي استعان بها واستند اليها، وهو كتاب "مجموع نصوص غير منشورة تتعلق بتاريخ التصوف في بلاد الإسلام" باريس 1929م، كما تولى تحرير مجلة "العالم الإسلامي" في سنة 1919م، حيث كان يوالي الكتابة فيها منذ سنة 1908م، وأصبح مديرا لها في سنة 1927م، ثم تحولت الى مجلة "الدراسات الإسلامية"، وكان مديرا لها بحيث استمر يتابع اصدارها كل عام حتى وفاته.

واعتنى عناية خاصة بالحلاج، فلم ينقطع لحظة واحدة عن النشر، ففي سنة 1931م، ونشر "ديوان الحلاج"، وأخرج هو وباول كراوس كتاب "أخبار الحلاج" مع ترجمة فرنسية، كما كتب دراسة عن "أسانيد" أخبار الحلاج سنة 1946م، وبحثا عن "حياة الحلاج بعد وفاته" في السنة نفسها، كما له دراسة عن "المنحى الشخصي لحياة الحلاج" فقد نشر له في مجلة "الله حي" وتتبع "أسطورة منصور الحلاج في بلاد الأتراك"، وأصدر سنة 1948 م "مراجع جديدة عن الحلاج"[2].

أيضا كان له مشاركة هامة في موضوع علم الكلام والصوفية أصدر كتاب "آلام الحلاج ومذهب الحلاجية" سنة 1909م[3]، وقد وجه اهتمامه للتنقيب والتعليم والتصنيف في الإسلام، عبر آثار ونظم اجتماعية، وخصوصا التصوف ذلك التصوف الذي جعل منه بعد الإلحاد متصوفا يدرك معاني جميع الأديان في الاستيعاب والاستنباط، ولا ننسى أنه حاز على أوسمة عديدة ورفيعة، أيضا تعلم على يده

[1]- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص: 288.

[2]- عبد الحميد صالح حمدان، طبقات المستشرقين، مكتبة مدبولي، ص- ص: 192 – 193.

[3]- أحمد نصري، المرجع السابق، ص: 34.

الكثير من الطلاب، حيث أخذوا عنه العلم والحلم، وله 650 أثر بين مصنف ومحقق ومترجم وبين مقال ومحاضرة وتقرير ونقد، ومقدمة وسيرة ومنها جغرافية المغرب[1].

قد أنتهت مسيرة حياة ماسينيون العلمية، حيث توفي في 31 أكتوبر 1962م[2].

يعتبر الاستشراق الفرنسي مرجعية الدول الأوروبية، كونه يعد من أخطر أنواع الاستشراق نظرا لما له من مخططات تحمل في طيّاتها بوادر الغزو الثقافي، وتظهر بشكل كبير وواضح في جوانب الفكرية للمجتمعات العربية خاصة في الجزائر، ومرّ من خلاله الاستشراق الفرنسي بثلاث مراحل دعمت الوجود الفرنسي، وساعدت على مد جذوره فيها وهذا ما مكنه من المكوث في الجزائر لفترة أطول، وقد ضمت الحملة الفرنسية على الجزائر عددا من المترجمين والباحثين والكتاب المهتمين بحياة الشرق، ومثّل انعقاد مؤتمر المستشرقين الرابع عشر الانطلاقة الحقيقية للاستشراق في الجزائر حيث عمدت الإدارة الفرنسية بمستشرقيها الى معرفة الحياة العربية الإسلامية بمختلف نواحيها في المجتمع الجزائري، وكانت اهتمامات المستشرقين موجهة على الأغلب حسب توجيهات الإدارة الاستعمارية وحاجة الدولة الفرنسية، ويمكن القول أن الاستشراق في الجزائر أثناء بدايته كان يهدف الى تعرف على الحياة العامة في المجتمع الجزائري وهي مرحلة استكشافية، ثم توسع وأصبح أكثر تنظيما وتخطيطا وأنتج، أعمالا ضخمة في كل الموضوعات والمجالات تقريبا.

[1]- مراد يحي، المرجع السابق، ص- ص: 1013- 1014.

[2]- عبد الحميد صالح حمدان، المرجع السابق، ص: 193.

الفصل الثاني

مجالات اهتمام الاستشراق الفرنسي في الجزائر منذ 1880م.

المبحث الأول: المستشرقون واهتماماتهم بالجانب الاجتماعي منذ 1880م.

المبحث الثاني: المستشرقون واهتماماتهم بالجانب الثقافي منذ 1880م.

المبحث الثالث: المستشرقون واهتماماتهم بالجانب الديني منذ 1880م.

يعتبر الاستشراق من الأساليب الاستعمارية التي اعتمد عليها العالم الغربي الى جانب الأساليب المسلحة، فتعددت الدراسات الاستشراقية واختلفت باختلاف مدارسها وتوجهاتها وقد اعتبرت المدرسة الاستشراقية الفرنسية من أولى المدارس التي اهتمت بدراسة مختلف المجالات في مستعمراتها وقد برز اهتمامها أكثر بدراسة مجالات الحياة في الجزائر بعد احتلالها، فسخرت لها كل الوسائل والإمكانيات من أجل ذلك خصوصا بعد سنة 1880م، وركزت على ثلاث جوانب مهمة للقضاء على كل ما يميز الجزائر على غيرها من البلدان ويعتبران من مقوماتها حيث استهدفت فرنسا الجانب الاجتماعي وذلك لما له أهمية قصوى فهو كيان بحد ذاته يتميز بخصال وصفات وعادات وتقاليد ينفرد بها، لذلك قام المستشرقون بالتركيز على هذا الجانب فدرسوا المجتمع الجزائري وتاريخه واستهدفوا المرأة والأسرة الجزائرية بالإضافة الى اعتمادهم على سياسية فرق تسد بين العرب والأمازيغ، وأما الجانب الثقافي فركز المستشرقون الفرنسيون على تعلم اللغة العربية ومحاربتها، والغزو الثقافي وكثفوا من دراساتهم فيما يتعلق بالتراث الجزائري. أما المجال الديني فحارب المستشرقون الإسلام والقرآن الكريم وذلك بتعريفه والتشكيك فيه وقاموا بالتنصير ونشر المسيحية في أوساط المجتمع الجزائري.

المبحث الأول: المستشرقون واهتماماتهم بالجانب الاجتماعي منذ 1880م

لقد بذل المستشرقون الفرنسيون جهودا كبيرة في دراسة المجتمع الجزائري، والتعرف على مختلف مكوناته، ومنذ أن وطأت أقدامهم أرض الجزائر، معتمدين على منهج استشراقي متكامل أخذوه في المعاهد الفرنسية ثم كلية الآداب بالجزائر، ولم يترك المستشرقون مجالا إلا ودرسوه في الجانب الاجتماعي حيث استهدفوا المجتمع الجزائري من خلال التشكيك في تاريخهم وقاموا بغزوهم بعادات وممارسات غربية تعتبر دخيلة على المجتمع الجزائري المحافظ، ولم يتجاوزا مسألة التفرقة بين العرب والأمازيغ فاعتمدوا على سياسة فرق تسد، وهو ما سنتطرق اليه بالذكر في هذا المبحث.

أولا: استهداف المستشرقون للمجتمع الجزائري

كانت هوية الشعب الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي، تتميز بخصوصيات يطبعها الانسجام والتكامل ولكن بفضل الاحتلال الفرنسي الجزائري وانتهاجه للسياسة الاستعمارية في جانبها الاجتماعي، ثم استهدف هوية الشعب الجزائري ومقومات الشخصية الجزائرية[1]، من اجل تحطيمها وتشويهها، والقضاء عليها ومن أهم مظاهر هذه السياسية نذكر ما يلي:

1- التشكيك في التاريخ الجزائري: ظهرت في المرحلة الثانية للاستشراق دراسات عن المدن والمجتمع "الأهلي" في عهوده المختلفة، فكتب ماسكري أطروحته عن السكان الحضريين في الأوراس وجرجرة وميزاب وطريقة تشكيل المدن في هذه المناطق، ونشر موتيلانسكي دراسة عن مدينة القرارة، وملاحظات عن سوف وغدامس، وقام جولي بدراسة اجتماعية عن منطقة التيطري.

وبدأت تتعدد الدراسات حول المجتمع الجزائري فكان كل متصرف إداري يجمع التقارير والإحصاءات والملاحظات والانطباعات أثناء عهده في الخدمة، فإذا تقاعد نشر كتابا عن المنطقة أو البلدة التي عمل فيها متأثرين نحو الاستشراق و النظريات الاجتماعية[2].

عمد المستشرقون الى تجاهل الوجود التاريخي للشعب الجزائري، واعتبار الجزائر منطقة فراغ حضاري، تفتقر الى وجود شعب متماسك، كما أنهم تجاهلوا تجاهلا يكاد أن يكون مطلقا وجود مجتمع جزائري واضح المعالم والخصائص، فتعرضوا الى عديد من الموضوعات بالدراسة والتحليل ماعدا هذا الموضوع الذي لم يسلموا بتاتا بوجوده، وكانوا يطلقون عبارة " المجتمع الجزائري" على المعمرين

[1]- أحمد وادي، السياسة الاستعمارية الفرنسية وانعكاساتها على ثقافة المجتمع والأمن الهوياتي في الجزائر، مجلة النافذ للدراسات السياسية، الصادرة عن: جامعة محمد خيضر بسكرة، مج2 ، ع1، 2018م، ص: 291.

[2]- أبو قاسم سعد الله، ج6، المرجع السابق، ص- ص: 57 – 58.

باعتبارهم البديل الشرعي للشعب الجزائري، ويطلقون اسم "الأهليون" على الشعب وهو تعبير يشعر الجزائريين بالذلة والتصغير[1].

اهتم المستشرقون في كتاباتهم بالفترة التي تسبق دخول الإسلام الى الجزائر، وخاصة فترة العهد الروماني، وهذا حتى يرسخوا في أذهان الجزائريين بأنهم كانوا مسيحيين وعليهم الرجوع الى دينهم وهو ما قاله الجنرال دوماس (Dumas):"كلما تعمقنا في الحفر وجدنا تحت القشرة الإسلامية التي تغطي البربري رحيقا مسيحيا، حينها ندرك بأن القبائلي الذي كان في القديم مسيحيا لم يتحول كليا الى دينه الجديد"[2].

2- قانون الألقاب: كان الاستعمار الفرنسي منفردا في ممارساته التطبيقية على المجتمع الجزائري حيث عمل على تعزيز وجوده في المجتمع من خلال العديد من السياسات والممارسات من أجل فرنسة الشعب الجزائري[3].

كانت الألقاب في المجتمع الجزائري قبل الاحتلال الفرنسي ثلاثية التركيب (الابن الأب الجد) وفي بعض الأحيان خماسية تضم المهنة والمنطقة السكنية، وأغلبها تحمل دلالات دينية تشير الى الانتماء العربي الإسلامي للمجتمع الجزائري، أو ذات دلالات تاريخية تشير الفترات التاريخية التي مر بها المجتمع الجزائري والى الشعوب التي تواصل معها، لم يغفل المستشرقون عن هذه الألقاب فقاموا بإصدار قانون الحالة المدنية للأهالي الجزائريين في 1882م والذي يقضي باستبدال الألقاب الثلاثية للجزائريين بألقاب مشينة ومذلة، كان الهدف منها تفكيك نظام القبيلة في المجتمع الجزائري وقطع صلة بين

[1]- ابراهم لونيس، المرجع السابق، ص: 160.

[2]- حنيفي هلايلي، المستشرقون الفرنسيون واعادة بعث المخطوطات الجزائر وتنظيمها (1830-1962)، المجلة التاريخية المغاربية، تونس، ع154 – 155، 2014م، ص: 302.

[3]- الطيب بن براهيم، المرجع السابق، ص: 252.

الشعب الجزائري وماضيه الحضاري العربي الإسلامي، بإبرازه كفرد معزول عن الجماعة، وأصبحوا يخاطبون الشخص بلقبه وليس باسمه[1].

لم يكتف المستشرقون بتغيير ألقاب الشعب الجزائري، بل قاموا بتغيير أسماء المواقع والشوارع إذ وضعوا أسماء فرنسية على مئات من المواقع والأماكن ابتداءا من أكبر المدن الرئيسية الى أصغر القرى النائية، ولم يكتف الاستعمار بفرض أسماء فرنسية على المدن والقرى والمواقع، بل عمم ذلك على كل شيء فالأحياء والمقاهي والأسواق والمستشفيات والمدارس! كل هذا كان بتجنيد أكبر المستشرقين والمفكرين الفرنسيين[2].

هذا القانون لم يأت من فراغ وليس صنيع سياسيين وحدهم، بقدر ما هو وليد الدراسات التي قام بها المستشرقون والباحثون الفرنسيون في مختلف المجالات على المجتمع الجزائري آنذاك، توصلوا فيها أن قوة المجتمع الجزائري تكمن في دينه وأرضه وانتمائه القبلي، وعليه جاء هذا القانون لطمس الهوية الشخصية الوطنية، وقد كانت هذه الألقاب تحمل أسماء الحيوانات وصفات لها، وأخرى لأطراف الإنسان وأعضاءه وأسماء للأشجار وغيرها[3]...

3- غزو أفكار غربية: قام المستشرقون بإدخال العديد من الأفكار الغربية، والآفات الاجتماعية التي كانت منتشرة في فرنسا والبلدان الغير إسلامية الى الجزائر، وذلك بغية تفكيك المجتمع الجزائري، حيث نجد مفدي زكريا في إلياذته يصور لنا الأثر الواضح الذي تركه الاحتلال داخل المجتمع الجزائري وهذا لعب فيه المستشرقون دورا مهما خصوصا في المرحلة الثانية من الاستشراق الفرنسي في الجزائر. يقول مفدي في أبيات إلياذته:

وشـــاع الشـــذوذ وذاع الحشـــيش واصـــبح للموبقـــات وســـيله
وتفـــرق آنافنـــا القـــاذورات فلـــم تجـــد في صـــرفها أي حيلـــة

[1]- يوسف جغلولي وجمال تالي، المرجع السابق، ص: 531.
[2]- الطيب بن براهيم، المرجع السابق، ص: 253.
[3]- يوسف جغلولي وجمال تالي، المرجع السابق، ص: 531.

ويقول كذلك:

ومســـــتهترون أضـــــاعوا الثنايـــــا وشـــــــاع تنكـــــــرهم للســـــــجايا
وقـــالوا: التقـــدم خلـــع العـــذار وهتـــك العفـــاف، ونشـــر الخطايـــا
وجـــدلُ الشـــعور ولبـــس الحلـــيّ وحمـــل القـــلائد مثـــل الصبايـــا
ويتفخـــــرون بشـــــرب الخمـــــور وفي الكـــــأس ترســـــب كـــــل الـــــبلايا
تخنـــث هـــذا الزمـــان ودبـــت خنـــافيس "هيـــبي" تشـــيع الرذيلـــة
ونافـــــسَ آدم حـــــوّاءه دلالا وغنجًـــــا، وذبـــــح فضـــــيله[1].

صور لنا مفدي زكريا الجانب الاجتماعي بعد أن قام المستشرقون بإدخال مظاهر غربية في المجتمع الجزائري منها ظاهرة التخنث و الانحلال وظاهرة التنصير وشرب الخمر وإتيان الفواحش بعدما كان المجتمع الجزائري من قبل مجتمعا محافظا غيورا على دينه وإسلامه[2].

ثانيا: استهداف المرأة الجزائرية والأسرة الجزائرية

امتدادا للهجوم الاستشراقي على نظام الأسرة في الإسلام ركزت الأعمال الاستشراقية على دراسة وضع المرأة المسلمة دخل الأسرة وخارجها، فاتهموا المرأة المسلمة بأنها أسيرة الرجل، ولا تتمتع بأدنى الحقوق والحريات، دائما مرتبطة بالرجل ليست لها شخصية منفصلة عنه، واتهموها في عقلها بأنها في وضع عقلي متخلف فهي جاهلة غير متعلمة، وهي عضو عاطل داخل المجتمع المسلم[3].

لقد علم المستشرقون والمبشرون والغرب عامة، ما للمرأة المسلمة من تأثير على الأسرة على وجه الخصوص، وعلى المجتمع الإسلامي على وجه العموم، لذلك وجهوا شطرا كبيرا من أعمالهم ودراساتهم

[1]- زكرياء مفدي، إلياذة الجزائر. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، (ط2)، 1987م، ص، ص: 90، 98.
[2]- بركان بن يحيى، المرجع السابق، ص: 132.
[3]- محمد خليفة حسن أحمد، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية. القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (ط1)، 1997م، ص: 63.

إليها. وجدوا أن المرأة المسلمة ملتزمة بآداب الإسلام بعيدة عن الاختلاط في مجتمعات الرجال[1] وهنا ركز النقد الاستشراقي على ضرورة المساواة بين الرجل والمرأة وطالبوها للقيام بثورة والتمرد على وضعها داخل المجتمع المسلم والمطالبة بحقوقها الضائعة، من أجل التشبه بالمرأة الغربية[2]، ظهرت الدعوة الى ما يسمى(حقوق المرأة) أو ما يسمى(تحرير المرأة)[3] زاعمون أن الإسلام هضم حق المرأة وأسقط منزلتها وجعلها متاعا في يد الرجل[4].

انطلاقا من هذه الصورة عن المرأة التي قدمها المستشرقون جاءت المحاولات لإنقاذها، وبدأت بقناعة أنه لا يمكن تغيير أي مجتمع إلا بتغيير حال المرأة فيه، والدخول الى عقلها وعاطفتها وذوقها، ولا يكفي وصف الرجال المستشرقين لوضع المرأة العربية المسلمة بل لابد من إرسال النساء الأوروبيات إليها والاطلاع على أحوالها ومعرفة رغبتها ونمط تفكيرها، ومحاولة اخراجها من وضعها المتردي وهناك من النساء الأوروبيات من حملت القلم لوصف تلك الحال وفيهن من حملن الصليب ليعطي بركاته للمرأة المسلمة، ومنهن من فتحت ورشة لاستقبال المئات مسلمات بعد اقتناع أمهاتهن بأن لا خوف عليهن من الأذى ولا من التنصير أو التبرج، وهكذا بدأوا في المرحلة الأولى من عملية التعرف والاتصال، وتكسير الحواجز بين المتحررات (المتقدمات) القادمات من أوروبا وبين (المتخلفات) القابعات في الجزائر[5].

قام المستشرق الفرنسي تسوريكوف (Zenaide Tsourikof) بدراسة حول المرأة الجزائرية وتعليمها في المدارس الفرنسية وذلك في كتاب" تعليم البنات في إفريقيا الشمالية" حيث قال أن: "حالة المرأة في المدينة ليست نفس حالة المرأة الريفية أو المرأة البدوية، وكذلك تختلف حالة المرأة حسب إذا كانت تنتمي الى طبقة غنية أو متوسطة أو فقيرة، وعليه يمكننا محاولة تحديد ما يميز وضع

[1]- فاطمة هدى نجا، المستشرقون والمرأة المسلمة. لبنان: دار الإيمان، ص: 37.

[2]- مُحَمَّد خليفة حسن أحمد، المرجع السابق، ص: 63.

[3]- سعد آل حميد، أثر المستشرقين على أبناء المسلمين، قسم الثقافة الإسلامية، ص: 84.

[4]- عفاف صبرة، المرجع السابق، ص: 84.

[5]- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، ج6، المرجع السابق، ص- ص: 337- 338.

المرأة في بلاد المغرب العربي، إذ أن هذا الموضوع يعتبر حجر الأساس، باعتبار أن مكانة المرأة هي العلامة الكاشفة عن حالة الشعب ودرجة حضارته، إن المرأة المغاربية خادمة محكوم عليها بأقسى الأعمال، أما السمة الثانية هي عدم مشاركة المرأة في الحياة العامة"[1].

بالإضافة الى الكتابات عن المرأة الجزائرية، مثلما كتبت السيدة بروس، والسيدة روجرز وغيرهما، تركز وصف هؤلاء على المرأة الحضرية، ثم اتسعت الاهتمامات وأصبح كل من الريف والبادية وجهة أمام الرحالة والإداريين والكتاب، فوصفوا المرأة في جبال الزواوة والهضاب العليا وفي الصحراء، وظهرت عدة عناوين مثل "المرأة العربية" لدوماس، و"المرأة البربرية" لرين[2].

بعد أن قام المستشرقين بدراسة الإسلام قاموا بتحريف بعض الآيات القرآنية فيما يتعلق بموضوع المرأة من أجل اقناعها بالتحرر، خاصة فيما يتعلق بموضوع الحجاب، حيث زعموا أن مرأة يجوز لها أن تظهر بعض أعضائها متوسعين في تفسير قول الله تعالى: ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ متجاهلين لما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ [3]﴾ وزعموا أن بقاء المرأة في بيتها، وحظر مخالطتها للرجال هو تشريع خاص بنساء النبي ﷺ، أما نساء المسلمين عامة منهيات عن خلوة بالأجنبي فقط[4].

ومن وسائل المستشرقين في جذب المرأة الجزائرية بأفكارهم المغلوطة وهي فتح ورشات لتقديم دروس في الطرز والنسيج، التي تحولت الى دروس في الترقية الاجتماعية والدمج الحضاري، نذكر على سبيل مثال وليس للحصر ورشات السيدة لوسي (الليكس) والسيدة ابن عابن، وسيدات كثيرات في العاصمة وفي زواوة وميزاب وبسكرة و وهران وغيرها...، هذه الورشات كانت وراء بداية التوتر داخل

[1]-Zénaide Tsourikoff , L'enseignement des filles en Afrique du Nord .Paris : Editions A. Pedone , 1935 , p - p: 19 – 22.

[2]- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص: 339.

[3]- سورة النور: الآية: 31.

[4]- سعد آل حميد، المرجع السابق، ص: 89.

الأسرة الجزائرية بين الأم والبنت، والبنت والأب، وكم من فضيحة وقعت ولكن قبرت في وقتها وكم من ضحايا، لأن المرأة الجزائرية لم تقم بتحرير نفسها بنفسها وانما الأخريات هن اللائي رمين بحبال النجاة إليها، لذلك بقيت تابعة لا متبوعة وفاقدة لروح المبادرة فيما يتعلق بمصيرها[1].

استوعب الجزائريون لخطورة ما يقوم به الاستشراق فيما يتعلق بالمرأة الجزائرية، خصوصا بعد انتشار الكتابات والأشعار التي تحفزها للانسلاخ عن دينها وقيمها ومبادئها، فقاموا بكتابة الأشعار للرد على هاته المحاولات التي تدعي بأن المرأة الجزائرية جاهلة ومتخلفة وفي هذا الصدد كتب الشاعر مُحَّد العيد آل خليفة في قصيدته" يخلد الإسلام" يقول فيها:

علمـــوا البنـــت مـــا بـــه تحصـــن النفـــ ـــــس لينكـــــف عـــــن أذاهـــــا اللئـــــام
علموهـــا كيـــف النظـــام وكيـــف الســـ ـــــعي في بيتهـــــا وكيـــــف القيـــــام
علموهـــــا كيـــــف الرعايـــــة للطفـــــ ـــــل وكيـــــف التلقـــــين والإلهـــــام
علموهـــــا كيـــــف التـــــودد للـــــزو ج وكيـــــف التقـــــدير والإعظـــــام
علموهـــــا كيـــــف الوقايـــــة ممـــــا هاجمتهـــــــــــا بشـــــــــــره الايام
علمـــــوا المـــــرأة الحقـــــائق في الديـــــ ـــــن فقـــــد طوحـــــت بهـــــا الاوهـــــام[2]

يخاطب الشاعر –العلماء– داعيا إياهم الى تشجيع تعليم المرأة وتلقينها جملة من الأسس التربوية والأخلاقية التي ستساعدها في المستقبل على تكوين أسرة ناجحة تصونها من الزلل والانحراف[3].

إن هناك نساء كثيرات في حياة الجزائر وزعمائها خلال الاحتلال، فمن أولاد سيدي الشيخ ومن زواوة والأوراس ومعسكر ومن صحراء، لقد كانت المرأة حاضرة في المدن وأرياف، ولم تكن تنتظر النجدة من الأخوات البيض حاملات الصليب، ولا أفكار سان سيمون لتحريرها وإنقاذها، لقد نفتها

[1]– أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص: 338.

[2]– مُحَّد آل خليفة العيد، ديوان. (عين المليلة) الجزائر: دار الهدى، 2010م، ص– ص: 166– 167.

[3]– يمينة بشي عجناك، صورة المرأة في الخطاب الشعري الجزائري الحديث (من الاحتلال الى الاستقلال). الأردن: دار الغيداء للنشر والتوزيع، 2017م، ص: 100.

فرنسا وحدها أو مع الرجال وعانت في المحتشدات التي اقامتها فرنسا، وطالبت بالحرية التي كانت تحوم فوق رأسها، وبكت زوجها وأبنائها يوم وصلها خبر استشهادهم في المعارك، هل كذا تكون الحرية؟

هذه فاطمة نسومر التي قاومت حتى ألقي عليها القبض وتوفيت في سجنها، وهذه عيشوش التي كانت تدبر شؤون الحكم في تقرت، وتلك زينب التي كانت تدبر زاوية الهامل أثناء حياة أبيها وبعده[1].

دافع الإسلام عن المرأة المسلمة وسما بها الى مستوى رفيع لم تصل الى ما له أية شرعية أخرى من شرائع العالم، فقد رأينا كيف كانت تعامل المرأة قبل الإسلام معاملة مهينة والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ[2] ﴾.

ثالثا: التفرقة بن العرب والأمازيغ

اهتم الفرنسيون في بداية احتلال الجزائر بدراسة اللغة العربية ولهجاتها نظرا لحاجتهم الى فهم الشعب الجزائري وتوفير وسيلة الاتصال به، لكن سرعان ما اتجهت أنظارهم ودراساتهم الى حقل جديد من المعرفة تمثلت في "الدراسة البربرية ولهجاتها" وقد جاءت نتيجة لما سمي بالسياسة الفرنسية البربرية، وقد بدأت مع بحوث العقيد كاريت في الأربعينيات من القرن 19م، ثم توسع فيها وعمقها الدكتور وارنييه في الستينات من القرن 20م ثم وأصلها وكشف عندها كميل صابتيه خلال الثمانينات والتسعينات من القرن 20م[3].

ظهرت في كتابات المستشرقين أطروحات تلغي تاريخ البربر من المشرق في نشر الحضارة الإسلامية في الأندلس ووسيط فرنسا نفسها، فتارة تجعلهم الدراسات التاريخية وعلماء الأثار مسيحيي الديانة

[1]- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص: 343.

[2]- سورة النحل، الآيات: 58- 59.

[3]- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، المرجع السابق، ص: 30.

والإسلام غريب عنهم وأنهم في عاداتهم وتقاليدهم أقرب الى مسيحية منه الى الإسلام بحكم اتصالهم بالحضارة الرومانية[1]، حيث كتب المستشرق روني باصيه (René Basset) حول تاريخ البربر وأكد أن تاريخ المسيحية بين البربر في غرب الجزائر يعود الى بداية القرن الخامس ميلادي نظرا لوجود مقابر لأمراء مثل ميفانيا وماسوناس، كما واستمرت المسيحية لفترة طويلة حيث لاتزال المنطقة تحتوي على عدد معين من الكنائس المدمرة مثل الأوراس[2].

إن مصطلح القبائل أو البربر يطلق على جميع سكان شمال إفريقيا الأصلين من غير العرب، ويمثل البربر جميع الأجناس الأصلية للجزائر المتقاطعة مع اللبيين والقرطاجيين وأن القبائل بشكل عام هم من سكان الجبال مثل: جبال جرجرة والبابور، فالبربري تميز بصفاته الفريدة مثله مثل عربي كشجاعته في ساحة المعركة، وحيويته واجتهاده، وفضوله في بعض الأحيان وغير ذلك[3].

تعددت الكتابات والتأليف حول البربر لصياغة أطروحات تفرق بين مكونات الشعب الجزائري وتوالت الدراسات للهجات البربرية الصحراوية حيث قامت الحكومة بنشر القاموس الذي تركه الراهب شارل دي فوكو، حول لهجة الهقار (القاموس الهقاري- الفرنسي).

ثم تضاعفت الدراسات البربرية، لغة ومجتمعا، وذلك بإنشاء عدة كراسي لها في مدرسة اللغات الشرقية بباريس وفي المعهد الذي أنشأه الماريشال ليوطي في الرباط "المعهد العالي للدراسات المغربية" واتسعت دائرة البحث في لهجات البربر عبر مساحة شاسعة في منطقة المغرب العربي حيث مهد تقرير جيسلان (Geslin) الذي استقر في الأغواط من أوائل الخمسينات من القرن 20م وكتب

[1]- يوسف جغلولي وجمال تالي، المرجع السابق، ص: 528.

[2] - René Basset, Recherches sur la Religion des Berbères. Revue de l'histoire des religions, Paris, №: 28, 1910 ,P, P: 38, 39 .

[3]-Maistre Jules, Mœurs et coutumes kabyles, MontPellier. imprimerie de la manufacture de la charité, 1905, P, P: 1, 2.

خمسة عشر كراسا عن اللهجات مع النصوص، الى الاهتمام بالصحراء والجنوب وتوالى الرحالات اليها مثل: رحلة هنري وغيره[1].

ومن خلال هذه الدراسات لاحظ المستشرقون أن اللسان البربري محدود المعرفة إذ لا توجد حروف وحركات تعبر عن منطوقة لأجل هذا بينما أراد المستشرقون تدوين بعض آثار هذا اللسان اضطروا الى الاستنجاد بالحروف العربية، بالإضافة الى أنهم لاحظوا أن لسان توارق يختلف قليلا عن لسان بربر القبائل[2].

استخدم الفرنسيون سياسة فرق تسد ضد الجزائريين بكل مهارة، وتطور استعمالها مع الزمن فكان لكل ظرف وكل عهد سلاحه البتار، فمنذ أوائل الأربعينات من القرن 19م أخذ الفرنسيون "يكشفوا" سلاحا آخر وهو أن في الجزائر عنصرا بربريا ليس ككل البربر فأجروا بحوثا انتهت في نظرهم الى أن هذا العنصر من الجنس يختلف عن الجنس العرب، وبعد أن كانوا يعاملون كل السكان على أنهم عرب مسلمون وشرقيون، وبدأوا يعاملونهم معاملة مختلفة وأخذوا يضعون لهؤلاء وأولئك خصائص وميزات تجعل البعض أقرب الى المسيحية و الى الفرنسيين في العرق والسلوك والنظام الاجتماعي من السكان الأخرين[3].

اعتمد المستشرقون على دراسات روني باصيه خلال سنوات 1897– 1902م التي لاتزال مفيدة جدا[4]، إذ لما تمكن الاحتلال الفرنسي في فرض سيطرته على المغرب العربي (الجزائر 1830م، تونس1881م، مغرب الأقصى 1912م) واجهته مقاومة شرسة أدرك سرها في الوحدة التي تجعل القطر متماسك ومن هنا انطلقت سياسة التفريق[5]، فراحوا يبحثون عن الفروق في المقابر والمتاحف

[1]– أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، المرجع السابق، ص– ص: 31– 36.

[2]– مُحَمَّد العربي معريش، المرجع السابق، ص: 272.

[3]– أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع السابق، ص: 304.

[4]– أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، المرجع السابق، ص: 32.

[5]– عمر بن قينة، المشكلة الثقافية في الجزائر التفاعلات والنتائج. الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع، (ط1)، 2000م، ص: 104.

وفي لون البشرة والأعراف ونظام الحياة اليومية، وكانوا يدخلون البربري والعربي في المخبر الفرنسي ويأخذون عينات من الدم هذا وذاك ويحللونه بمهارتهم "العلمية" باستعمال تقنيات متعددة ثم يعلنون نتيجة باهرة –في نظرهم– وهي أن هناك أكثر من شعب يسكن الجزائر، وأن هناك اختلافا بين عناصر هذه "الشعوب"، وأن الإسلام بينهم ليس على درجة واحدة من التمكن والرسوخ، وأن هناك العرب والمعربين وغير المعربين بتاتا، وقد بدأت الإدارة الفرنسية تستغل هذه الفروق منذ حوالي سنة 1890م وأخذت توظيفها سياسيا، ومن أمثلة ذلك ما قاله المستشرقون: منهم أرنست ميرسيه قال إن الفتح العربي كان عملا عسكريا فقط؟ وأنه لم يعمر طويلا وأنه ترك البربر أحرار في حكم أنفسهم وقد ظهر كتابه سنة 1875م ومنذ حوالي 1898م تقريبا انحصر التميز الذي كان بين كل البربر والعرب[1].

تجدر الإشارة الى أن المستشرقين الفرنسيين في المرحلة الثانية للاستشراق الفرنسي بالجزائر استعانوا بالجزائريين الذين يعرفون البربرية، مثل ما قام به المستشرق باصيه وماسكري حين وظفا منهم في مدرسة الآداب اثنين ليكونا الى جانبهما وهوما بلقاسم بن سديرة والهاشمي بن الونيس، ورغم أن بن سديرة كان يعرف البربرية إلا أنهم وظفاه للدارجة، بينما وظفا ابن الونيس للهجات البربرية، وقد وضع ابن سديرة قاموسا لتعليم اللهجة وحين توفي هذا الأخير سنة 1901م ظهر اسم "عمر سعيد بوليفة" ليكون المعاون الرئيسي لباصيه في اللهجات البربرية وخاصة القبائلية، وقد ظهر اسمه في عالم النشر سنة 1904م حين أصدر مجموعة شعرية قبائلية وكان بوليفة عندئذ مكلفا بتدريس القبائلية في مدرسة الآداب[2].

[1]– أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي المرجع السابق، ج6، ص، ص: 305، 320.

[2]– أبو قاسم سعد الله، نفسه، ص: 54.

المبحث الثاني : المستشرقون و اهتماماتهم بالجانب الثقافي

إن الثقافة هي حقل الاستشراق، التي انتهجها وانشغل بها المستشرقون عامة، والجزائر بتنوعها الثقافي جعلها محط أنظار الاستشراق الفرنسي خاصة بعد التواطد مع الاستعمار الفرنسي، فعملوا جاهدين على فهم الثقافة الجزائرية من خلال الاطلاع على المخطوطات التي أعطتهم لمحة عن كل تفاصيل المتعلقة بالجزائر ، واهتمامهم بالأخص باللغة العربية وتعلمها من أجل جعلها وسيلة لفهم الجزائريين والاتصال بهم ،ومن اجل التعرف على تاريخهم وافكارهم وتسهيل نشر الثقافة الفرنسية.

أولا: مستشرقون وتعلم اللغة العربية ومحاربتها

لقد قام الفرنسيون منذ الوهلة الأولى لاحتلالهم الجزائر إلى محاربة كل ما هو عربي إسلامي في الجزائر من سلوكات دينية وأخلاقية ولغوية وغيرها، وذلك سعيا لإحلال النظم الفرنسية محل النظم الإسلامية القائمة[1]، وزاد نشاطهم و اهتمامهم باللغة العربية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي، وهي فترة طويلة نسبيا، صنفوا خلالها كثيرا من البحوث العلمية والكتب التعليمية[2]. حيث تضمنت الحملة الفرنسية عددا من المترجمين والكتاب والفنانين المهتمين بحياة الشرق، ومن هنا قام المستشرقون بأعمال كثيرة في عدة مجالات مختلفة، فتعلموا اللغة العربية من أجل التضييق على الجزائريين، ويقول أحد المستشرقين الفرنسيين: "لقد كان على السادة أن يستعملوا اللغة العربية في الإدارة لفهم السكان المحليين"[3].

ويقول المستشرق فيرون: "إن الفرنسيين قد فهموا مدى أهمية اللغة العربية، وأنها واسعة الانتشار بين الأهالي ورغم عدم مبالاة الفرنسيين باللغات الأجنبية، فقد اضطروا إلى دراسة اللغة العربية الدارجة كما أن البعض قد درس المكتوبة أيضا أي الفصحى"[4]، فدرسوها بقواعدها ومنهم من أتقنها

[1]- إبراهيم لونيسي، المرجع السابق، ص: 117.

[2]- إسماعيل أحمد عمايرة، بحوث في الاستشراق واللغة. عمان: دار البشير، (ط1)، 1996م، ص: 294.

[3]- جغلولي يوسف وجمال تالي، المرجع السابق، ص: 528.

[4]- مُحَمَّد جعيجع، المرجع السابق، ص: 32.

إتقانا جيدا ومنهم من لم يتقنتها[1]، ويقول هنري اوسيل: "إن الدارس للغة العربية يجد تركيبات مختلفة عما يجده في الفرنسية أو في اللاتينية أو في اللغات الأوروبية فهو يتعلم الكتابة من اليمين إلى الشمال، ثم هو يكتشف نظاما لغويا أصيلا داخل الكلمة لا يعتمد على الإضافات في بداية الكلمة أو في نهايتها"[2].

يرى المستشرقون أن اللغة العربية أكثر تجانسا من اللغة الفرنسية فهي قبل كل شيء أكثر صرامة في مبادئها[3]، فبرغم من الصعوبات التي واجهتهم إلا أنهم لم ييأسوا و عمدوا إلى تعلمها بهدف محاربتها فقاموا بمحاولتين: الأولى هي إهمال تدريس اللغة العربية في المدارس القديمة، وذلك بقطع مصادر الوقف عنها، والثانية هي الاكتفاء بتدريس اللغة العربية الدارجة لضباط الجيش والراغبين في العمل الإداري من الفرنسيين، وقد تولى الفرنسيون أنفسهم تدريس اللغة الدارجة، وقد شاركهم في ذلك عدد آخر من المستشرقين الذين انتشروا في غرب البلاد وشرقها، مثل شيربونو في قسنطينة، وماشويل في وهران، وصدرت عن هؤلاء مجموعة من الكتب التعليمية بالدارجة والفرنسية[4]، وكان هوداس هو من تولى التعليم والحديث بالعامية الجزائرية منذ بداية سنة 1880م[5] وكثفوا جهودهم وجل أبحاثهم ودراساتهم أيضا على تعلم اللغة العربية الفصحى.

وتعلم اللغة العربية لم تكن لصالح الشخصية والهوية الجزائرية بل لصالح غاية سياسية استعمارية فرنسية[6]، فحاربوها عن طريق القضاء على مراكز الثقافة العربية التقليدية والتي تمثلت في المدارس والزوايا والجوامع لأنها كانت عنصرا أساسيا في المقاومة الوطنية والحضارية والثقافية ضد الوجود

[1]- عقيلة حسين، المرجع السابق، ص: 106.

[2]- أنور الجندي، الموسوعة الإسلامية العربية -الفصحى لغة القرآن-. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ج10، 1982م، ص: 92.

[3]- L.J. Bresnier, cours pratique et thèorique de langue arabe. Alger: typographie et lithographie adolphe jourdan, deuxième èdition,1915, p: 14.

[4]- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، المرجع السابق، ص: 14.

[5]- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص: 56.

[6]- الطيب بن ابراهيم، المرجع السابق، ص: 295.

الاستعماري[1]، بالإضافة إلى فتح المدارس الفرنسية أمام الجزائريين من أجل تعليمهم اللغة الفرنسية[2]، كما أسسوا مدارس فرنسية حتى في البادية وألزمت الناس ببعث أولادهم إلى تلك المدارس إجباريا وقررت لذلك عقوبات على الذين لم يلتحقوا بهذه المدارس، فالأولاد الذين كانوا يقرأون العربية تركوها فصاروا يقرأون اللغة الفرنسية منذ نحو ثلثي قرن، وقد صار المعلمون في تلك المدارس ينهون عن اللغة العربية بأنها تتعب الأولاد وتشوشهم وتكلفهم ما لا يطيقون وأن لابد من الاقتصار على اللغة الفرنسية وأن من خالف ذلك أو نازع يعاقب بالأنديجينة[3].

وقام الفرنسيون بالتضييق على تعليم الأهالي، مثل اصدارهم لقانون 1904م الذي يهدف إلى غلق الأبواب بوجه الجزائريين حتى لا يتعلموا لغتهم وتاريخ بلادهم وأمتهم وحتى لا تكون لهم ثقافة تؤدي إلى نهضتهم وتحررهم، حيث طالب هذا القانون بأن يقتصر التعليم في الجزائر[4]، بترك المسلمين يحفظون القرآن الكريم وحده في الكتاتيب بدون دراسة للعلوم المساعدة على فهمه وتفسيره[5]، وكذلك وكذلك القرار الصادر في1893/10/18م القاضي بوجوب الحصول على رخصة لفتح مدرسة ما، وكذلك قانون 1904م الذي يقضي منع الجزائريين من فتح أية مدرسة لتعليم اللغة العربية والقرآن الكريم[6]. وكذا مرسوم جويلية 1895م وذلك بتحويل المدارس الشرعية الثلاثة (الجزائر، قسنطينة، تلمسان)، إلى ثانويات مزدوجة، بهدف استكمال فرنسة التعليم والقضاء على اللغة العربية.

إضافة إلى توسع اهتمامهم وذلك عن طريق إنشاء مدارس جديدة لتعليم اللغة العربية للمستشرقين، مثل مدرسة الآداب التي أنشأت سنة 1880م برئاسة "روني باصيه" (Renè Passe) بعد تحويلها إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة الجزائر سنة 1909م وأصبح باصيه

[1]- عبد المالك خلف التميمي، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي، الكويت: عالم المعرفة، 1983م، ص: 77.
[2]- جغلولي يوسف تالي جمال، المرجع السابق، ص 528.
[3]- أبو يعلى الزواوي، جماعة المسلمين. مطبعة الارادة، 1947م، ص- ص: 50- 51.
[4]- عبد المالك خلف التميمي، المرجع السابق، ص80.
[5]- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج08، المرجع السابق، ص: 14.
[6]- بركان بن يحي، المرجع السابق، ص: 131.

عميدا لها حتى وفاته، وقد اهتمت بالتاريخ الجزائري واللهجات الشعبية الدارجة[1]، هذا ما أدى إلى ظهور جيل من المستشرقين المحترفين الذين تكونوا في مدرسة الآداب بالجزائر، أو تخرجوا من مدرسة اللغات الشرقية بباريس، وساعدهم في ذلك مجموعة من مترجمون ومجموعة من الجزائريون الذين تلقوا تكوينا في المدارس الشرقية، أمثال بلقاسم بن سديرة، ومُحَّد بن شنب، وحليم بن سماية، والسعيد بوليفة وغيرهم.

كما اهتم الاستشراق الفرنسي بدراسة اللهجات العربية العامة، في الجزائر بهدف التواصل مع اللغة المنطوقة دون المكتوبة (الفصحى)[2]، وقد اتبعهم في ذلك بعض الجزائريين غفلة منهم ربما، فأخذوا يقدمون المادة العلمية لهؤلاء المستشرقين، لمساعدتهم في ذلك ومنهم أبي شنب وأبو بكر عبد السلام بن القاضي، شعيب التلمساني وابن فخار التلمساني أيضا ...وغيرهم[3].

وانطلقت الدراسات الاستشراقية للهجات المحلية في وقت مبكر، حددها روني باصيه بسنة 1890م، وأخذ كل مستشرق يدرس لهجة أو أكثر في المدن والأرياف، من خلال الإحتكاك بالأهالي أو عن طريق تلامذتهم، والهدف من دراستها هي محاولة تدمير اللغة العربية وإحلال اللغة الفرنسية وتعليمها للمجتمع الجزائري فألفو في هذا الصدد عدة قواميس ثنائية اللغة (فرنسي ــعربي)، ومن هؤلاء أبراهام دانينوس، وجان جوزيف مارسيل سنة 1937م بباريس بعنوان "مفردات عربية وفرنسية"، وألف جوني فرعون أول كتاب في النحو بالعامية الجزائرية سنة 1932م، وعنوانه "النحو الابتدائي للعربية الدارجة الموجهة للفرنسيين"، ثم قام فيما بعد بتبسيطه وتلخيصه لتعميم الفائدة وسماه:"موجز النحو العربي البسيط"، ووضع برينيه دراسة حول لهجة وسط الجزائر سنة 1931م، "موجز العربية الدارجة في مدينة الجزائر"، ووضع كوسين دو بارسوفال كتاب "نحو العربية الدارجة"

[1]- رشيد بن قسيمة، المرجع السابق، ص: 207.

[2]- جمال الدين بابا، الاستشراق الفرنسي والتكلمات اللهجية الجزائرية_قراءة تحليلية_، مجلة الإنسان والمجتمع، الصادرة عن: جامعة أبي بكر بلقايد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تلمسان: مج7، ع13، 2017م، ص: 195.

[3]- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص: 56.

سنة 1938م[1]، وقاموس مارسلي بيوسي (M. Beaussier) سنة 1887م، والذي جمع فيها مختلف الألفاظ المستعملة في العامية، وليس العامية الجزائرية فقط وحتى التونسية والمغربية[2].

وبالرغم من إدراك المستشرقين لأهمية اللغة العربية إلا أنهم اتهموها أنها لغة قديمة وميتة، ولم تعد تصلح لتطور المجتمع ومواكبة العصر، وزعم بعض المستشرقين أن اللغة العربية ليست لغة علم وفن، لأنها لغة طلاسيم وأساطير، مرت عليها حقب الدهر الطويلة، وقضي عليها الزمن وجعلها أمثولة للذكريات والأقاصيص النادرة[3]، وأنها لا تقارن بالفرنسية فهي لغة غير مكتملة، ولم تعد تلبي احتياجات الحضارة الحديثة، وأداة سيئة وصعبة للغاية لنقل اللغة الفرنسية ولا ترتقي إلى مستوى اللغات الأوروبية، ولا يمكن تعلمها فهي تعد لغة أجنبية لمعظم البلدان الأوروبية[4]، لكن بالرغم من كل هذا فقد تمسك الأهالي والشعب الجزائري بلغتهم العريقة ونفروا من التعليم الفرنسي وتجنبوا شتى الوسائل التي استخدمتها فرنسا لإقناعهم كتوزيع المكافآت حتى ولو كانت مدفوعة من جيوب الإدارة الاستعمارية[5]، واعتبروا أن اللغة العربية هي لغة القرآن لا بديل لها.

ومن أهم المستشرقين الذين تولوا مهمة تدريس اللغة العربية نجد:

هوداس: (1840 - 1919م) انتدبته إدارة حكومته الاستعمارية بعد أن تخرج في اللغات الشرقية من معهد الدراسات الشرقية بباريس، انتدبته مديرا لمدرسة وهران حيث درس اللغة العربية واللهجات المحلية، ثم عمل مفتشا عاما للتعليم، وصف خلال فترة إقامته مجموعة من المصنفات والأبحاث والكتابات عن الإسلام ومظاهره وتبسيط اللغة العربية للمستوطنين والضباط والإداريين بالحكومة الاستعمارية منها "تيسير العربية على الفرنسيين".

---

[1]- حاج بنيرد، جهود المستشرقين الفرنسيين في دراسة اللهجات الجزائرية مقاربة إثنوغرافية، مجلة دراسات الاستشراقية، ع22، 2020م، ص: 103.

[2]- جمال الدين بابا، المرجع السابق، ص: 195.

[3]-منذر معاليقي، الاستشراق في الميزان. بيروت: المكتب الإسلامي، (ط1)، 1997م، ص: 42.

[4]- zènaide tsourikoff , op. cit, p: 13 .

[5]- إبراهيم لونيسي، المرجع السابق، ص: 92.

جاك بيرك: 1910 - 1995م: ولد بالجزائر تابع دراساته وتعليم اللغة العربية بالجزائر، سافر إلى فرنسا لاستكمال دراساته، ثم عاد إلى الجزائر لإتقان اللغة العربية، كما عين مراقبا مدنيا[1]، ومن أثاره تاريخ المغرب الاجتماعي "مجلة الجزائرية سنة 1948م" وتاريخ مدرسة فاس "مجلة تاريخ القانون الفرنسي والأجنبي سنة 1949م"...الخ[2].

ثانيا: الغزو الثقافي

عند فشل محاولات المستشرقين المتكررة في هزيمة المسلمين والإسلام عسكريا وتكبدوا خسائر فادحة في الأرواح والأموال، جعلهم يفكرون في وسائل أخرى غير المواجهة العسكرية العنيفة لغزوهم ألا وهي غزوهم ثقافيا[3]، حيث أصبحوا يدعون إلى معرفة العدو ثقافيا حتى يحسنوا كيفية التعامل معه، بمعرفة مداخله الثقافية وأسسه الحضارية، وقد قويت حركة الغزو الثقافية عندما ارتبطت بالاستعمار حيث شكلا معا وجهين لعملة واحدة وكمل أحدهما الآخر على نحو ما[4].

اعتبر جيش العدو نفسه قادما للانتقام والتخريب والنهب وقطع الأشجار وإتلاف الوثائق والكتب، وعمد الغزو الثقافي الى طمس معالم البلاد العربية والإسلامية، ومن أثار هذا الطمس تبديل أسماء الشوارع والأبواب والمؤسسات بإعطائها أسماء رومانية وأوروبية ومسيحية[5]، وعمد أيضا إلى عدة عدة جرائم أخرى كدعوة الشعب إلى الحملة الفرنسية والإدماج في الوطن الفرنسي، وبناء مدارس فرنسية في أطوارها المختلفة لتكون الإدارة فعالة في تغيير الطابع العمراني والثقافي للشعب الجزائري،

[1]- محمد جعيجع، المرجع السابق، ص- ص: 34- 37.

[2]- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص: 336.

[3]- عبد اللطيف محمد سيد أحمد، الغزو الفكري والثقافي للأمة الإسلامية التحدي والاستجابة، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، الصادرة عن: جامعة الأزهر، مصر: مج4، ع2، 2019م، ص: 80.

[4]- إسماعيل أحمد عمايرية، المرجع السابق، ص: 300.

[5]- صالح فركوس، المرجع السابق، ص: 145.

وكتابة اللغة العربية بحروف لاتينية[1]، وإحلال الثقافة الأوروبية محل الثقافة الأصلية[2]، لذلك انطلقت طلائع الغزو الثقافي تطارد ميادين التربية والتعليم والتشريع[3].

فجبهة الغزو الثقافي تعد جبهة خطيرة أكثر مما عليه الغزو العسكري، لأن رجالها لا يتميزون بلباس يميزهم كالعسكريين ولا إلى مؤسسات تحمل اسمها، فنشاطه عام وأدواته وأساليبه لا تعد ولا تحصى، فقد كان سلاحا فتاكا لا تنتهي مهمته بانتهاء استعماله في لحظته وآنه، بل لا تظهر نتائجه مباشرة، لكن خطره يكون في مستقبله أكثر منه من حاضره، ونتائجه لا تظهر في وقتها، بل تظهر أعراضه لاحقا، ويعد الاستشراق الفرنسي أخطر سلاح في يد الاستعمار واستغله وأحسن استعماله في أخطر موضوع وميدان من ميادين الصراع الحضاري ألا وهو الميدان الثقافي[4]، فتعاون الاستشراق مع الاستعمار الفرنسي بهدف السيطرة الثقافية على الجزائر، خاصة أن الاستشراق الفرنسي كان أكثر أنواع الاستشراق الغربي تجنيدا للغزو الثقافي، فقد كانت فرنسا تقف وراء الغزو الثقافي لأنها تعتقد بأنها مكمل لغزوها العسكري والاقتصادي وحتى السياسي، بل أهم وأخطر منها جميعا، وبدونها لا يمكن أن تضمن استمرارها ووجودها[5].

ولتشكيل الاستشراق الفرنسي والاستعمار لحركة ثقافية متحركة أصبحوا أكثر قربا وتغلغلا بين أوساط كل فئات السكان بمختلف أنشطتهم وشرائحهم الاجتماعية المختلفة، حيث أصبحوا مركز إشعاع قوي وخطير، وسعى هذا الغزو الثقافي إلى نشر اللغة الفرنسية وقيمها وثقافتها بين الجزائريين وإبدال المحتوى الثقافي لهم بمحتوى ثقافي غربي فرنسي[6]، ونشر الآراء والنظريات الغربية الفاسدة التي

[1]- بركان بن يحي، المرجع السابق، ص: 131.

[2]- محمد سيد محمد، الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر. القاهرة: دار الفكر العربي، (ط1)، 1994م، ص: 19.

[3]- محمد الغزالي، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا. القاهرة: دار الشروق، 1997م، ص: 32.

[4]- الطيب بن ابراهيم، المرجع السابق، ص: 295.

[5]-عبد المالك خلف التميمي، المرجع السابق، ص: 78.

[6]- الطيب بن ابراهيم، المرجع السابق، ص: 280.

لا تصلح للمجتمع المسلم والاشتغال في نشرها قدر ما استطاعوا وبالغوا في ذلك[1]، وذلك من أجل تشتيت الجهود الفكرية والثقافية وهدم الأخلاق الإسلامية[2].

بالإضافة إلى اهتمامهم بالأثار ومنها الأثار الرومانية بشكل واضح خاصة الموجودة بتمقاد، حيث كانوا يسعون الى إحياء التاريخ الروماني وذلك من أجل تبرير الاحتلال الفرنسي، ونجد دور ضباط المكاتب العربية في هذا المجال كان شاسعا وواسعا حيث أن الأرشيفات والمكتبات تزخر بأثارهم وكتاباتهم المتنوعة في الجزائر.[3]

كما نرى اهتمامهم بالشعر الملحون والفصيح وذلك لأنه يساعدهم في فهم طبيعة المجتمع، ويوثق للبحوث الأنتربولوجية الواسعة للمجتمع الجزائري، حيث نشر ديسبرمو(Deseperment) قصيدة "دخول الفرنسيين إلى الجزائر" سنة 1930م، ونشر لويس سونيك سنة 1902م كتاب "الديوان المغرب في أقوال عرب إفريقيا والمغرب"، واهتموا أيضا بالأمثال الشعبية فقد نشر روني باصيه "الأمثال مقاطعة وهران"، في المجلة الآسيوية سنة 1890م، ونشر هنري باصيه دراسة عن "الأمثال في الهقار" في المجلة الإفريقية سنة 1922م، وكل هذا من أجل معرفتهم ثقافيا وتسجيل الملاحظات حول مختلف مكوناته[4]، وهذه الهجمة الثقافية استمرت طوال فترة الوجود العسكري الاستعماري، والتي بقيت تؤثر بعد رحيله حيث أن الاستعمار قد بذل جهود كبيرة لترسيخ النموذج الغربي والفرنسي بشكل أساسي في فترة استعماره ولم يكف عن الاستمرار في نهجه واستعماره الثقافي بعد رحيله العسكري في المنطقة[5].

[1]- صالح حمد حسن الاشرف، المرجع السابق، ص: 23.
[2]- محمد خليفة حسن أحمد، المرجع السابق، ص: 89.
[3]- صالح فركوس، المرجع السابق، ص- ص : 152- 153.
[4]- حاج بنيرد، المرجع السابق، ص: 104.
[5]-محمد سيد محمد، المرجع السابق، ص: 171.

ثالثا: المستشرقون واهتمامهم بالتراث الجزائري

لقد أعطى الاحتلال الفرنسي للجزائر دفعا قويا جدا لحركة الاستشراق الفرنسي بمحتواه الاستعماري، إذ وقعت جل تراث الجزائر من مخطوطات ووثائق جزائرية وأثارها المختلفة في أيدي مستشرقيها الذين شرعوا في تحليلها ودراستها وترجمتها إلى اللغة الفرنسية بهدف توظيف كل ما يتوصلون إليه من نتائج في عملية تثبيت الوجود الاستعماري في الجزائر، وإرساء قواعده على أسس قوية وهو الأمر الذي كشف للإدارة الفرنسية أهمية التراث الثقافي[1]، بما كانت الجزائر تملكه من تراث قيم مثل الحواضر الجزائرية كتلمسان وبجاية وقسنطينة وبعض قصور الصحراء، وكذلك شراء العلماء ومحبي الكتب النفيسة لنفائس المخطوطات وما حملوه معهم من الحرمين الشريفين اثناء الحج والزيارة[2]، إضافة الى كميات معتبرة من المخطوطات التي كانت محفوظة بنوع من القداسة في مكتبات وخزائن المؤسسات الدينية، كما كانت مجمعة بنوع من الغيرة في مكتبات الخواص[3].

فلما اكتشفت الإدارة الاستعمارية أهميته، شرعت في عملية واسعة لجمع هذا التراث مكتوب من كل المناطق التي كان موزعا فيها، بهدف تمحيصه وتقييمه واستخلاص النتائج منه[4]، واهتموا أكثر بأطلال المباني وأخذوا ملاحظات من شرشال وقسنطينة وتمقاد وتبسة وغيرهم[5]، بالإضافة إلى كل هذا هذا فقد أتلفت الحروب الآلاف من المخطوطات سرقة وحرقا ونهبا، حيث كتب بربروجر (Berbrugger):"كانت الحملات العسكرية تتلف الكتب وتحرقها بدون هوادة، كما تحطم المدارس باستثناء بعض القادة محبي المعرفة الذين حافظوا على بعض الكتب والمعالم الأثرية من الاندثار"،

[1]- إبراهيم لونيسي، المرجع السابق، ص: 134.

[2]- حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص: 307.

[3]- عبد الحميد أعراب، مخطوطات شمال الصحراء والاستشراق الفرنسي في الجزائر، المجلة المغاربية للمخطوطات، الصادرة عن: مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر2، مج1، ع1، 2004م، ص: 66.

[4]- حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص: 308.

[5]- J. alazard et d'autres, histoire et historiens de l'algèrie, Paris, librairie fèlix alcan, alcan, p: 92.

ونتيجة لهذا الاستبداد الاستعماري خرجت أعداد كبيرة من الجزائريين متجهة نحو البلدان المجاورة مثل تونس والمغرب، وكانت هذه الهجرة في البداية تشمل أعيان البلد والعلماء والأغنياء، ثم توسعت وشملت الهجرة الريفية، فالعلماء الذين هاجروا اخذو معهم المخطوطات التي بحوزتهم، مثل هجرة 1911م ، حيث أخفت العديد من العائلات التلمسانية الكتب في المطامر.

وأصبح معروفا عند الجزائريين أنهم كانوا يخفون كتبهم ووثائقهم العائلية في الأرض ويدفنونها، خوفا من استلاء الاستعمار عليها، والأمر الذي جعل الاستعمار يصدر في سنة 1895م، قانون يحرمهم من الهجرة عن الجزائر[1].

وأجرت الدراسات الاستشراقية عدة طرق لذلك:

حجز ومصادرة المخطوطات: صادرت السلطات العسكرية الفرنسية العديد من المخطوطات الجزائرية مثلما حدث في منطقة القبائل أين تكون الزوايا حيث عثروا على العديد من المخطوطات أثناء الحملات التفتيشية، وأعطت أوامر للجنود الفرنسيين لتسليم المخطوطات، بالإضافة إلى الحملات العسكرية خاصة حملة قسنطينة واحتفظوا بالعديد من المخطوطات عند رجوعهم إلى فرنسا

النهب: حسب بعض المصادر الموثوقة فإن جامعة الجزائر لم تحرق أثناء تفجير المكتبة في 7 جوان 1962م، بل نقلت إلى فرنسا في 7 سبتمبر م1961 إلا أن مكانها لا يزال مجهولا، بالإضافة الى نهب الكتب النادرة والثمينة، وقد جمع مبعوثي الجامعات الأمريكية الكبرى كل ما وقع بين أيديهم إلى غاية سنة 1965م، وإنشائهم سوقا جد نشطة وتم بيع التراث الجزائري المكتوب بأرخص ثمن[2].

عملية النسخ: قام الفرنسيون بنسخ المخطوطات بعينها نظرا لأهميتها، أو لتعذر الحصول عليها وكانوا يستعينون في ذلك بنساخ عربي لصعوبة الحصول على ناسخ غير عربي.

[1]- حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص- ص: 308-309.

[2]- عبد الحميد أعراب، المرجع السابق، ص- ص: 67- 68.

فهرسة المخطوط: يتم تناول فيه عنوان الكتاب واسم مؤلفه بالعربية، ثم مزايا المخطوط ونوع الورق والحجم وتاريخ النسخ وعدد الصفحات والسطور في كل صفحة بالفرنسية، والفهرس الجيد يعتمد عليه لقلة الغلط والسهو فيه[1]، حيث حرصوا على وضع فهارس للمخطوطات العربية، وقد أعانهم في ذلك ما أقاموه من دراسات تراثية جادة وعميقة، ومن تلك الفهارس نذكر:

- فهرس المخطوطات العامة في فرنسا: قام بهذا العمل المستشرق "إدموند فانيان"، وأصدره في باريس سنة 1893م، وذيله بمسرد لعناوين الكتب وأسماء المؤلفين والنساخ والنماذج، والكتاب يقع في 680 صفحة.

- فهرسة الكتب في المكتبات والمخطوطات الإباضية: قام بها المستشرق جوزيف شاخت (1902- 1962م)، كمكتبة بني يرزقن، صدر هذا الفهرس في المجلة الإفريقية.

- فهرس المخطوطات في كبرى مكتبات الجزائرية (مدرسة تلمسان): وضعه أوغس كور، في 1907م، وعدد مخطوطاته 110مخطوط[2].

تحقيق كتب التراث: قام المستشرق بخدمة التراث وتحقيقه[3]، ومن بين المخطوطات المحققة في مجال اللغة، شرح كتاب سبويه قام بنشره المستشرق ديرونبورغ (1844- 1908م) ونشره في جزأين في باريس بين سنتي: (1881- 1889م)، وألفية ابن مالك قام بنشرها كل من دي ساسي وبينتو في قسنطينة سنة 1887م، وغوغويه في 1888م.

[1]- عبد الله العياشي، المخطوطات الجزائرية في عيون العرب والمستشرقين، مجلة رفوف لمخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا، الصادرة عن: جامعة أدرار، الجزائر، ع6، 2015م، ص: 60.

[2]- رشيد بن قسيمة، المرجع السابق، ص: 209.

[3]- علي بن إبراهيم حمد النملة، المستشرقون ونشر التراث، دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر. الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، (ط1)، 2003م، ص: 26.

وهناك مخطوطات أيضا محققة في مجال الأدب العربي: مثل ديوان الحلاج، قام بنشره ماسينيون سنة 1955م[1].

الترجمة: قاموا بترجمة التراث الى اللغات الغربية المختلفة، وأثمرت جهودهم في هذا المجال[2]، كالقصة والمثل والمقامة والحكاية وغيرها، ومنها: "ألف ليلة وليلة" وترجموها على أن هذه القصة الخرافية ماهي إلا الصورة الحقيقية للمجتمعات الإسلامية[3]، وترجمها العديد منهم ديرنبورغ سنة 1888م، وكازانوفا سنة 1922م، وكذلك ترجمة كتاب "المستطرف للإشبيلي" للمستشرق رات ما بين (1899م - 1902م) وترجمة كتاب "الاعتبار" لأسامة بن منقذ من طرف (ديرنبورغ)، بين سنتين (1889 - 1892م)[4].

حيث نرى أن المستشرقين قد حققوا أثر واضح في خدمة التراث العربي الإسلامي، فقد نشروا وحققوا عددا ضخما من المؤلفات العربية لا تزال مرجعا للباحثين والدارسين الأوروبيين والعرب أنفسهم، وذلك بتحقيقهم ونشرهم لأمهات الكتب في مختلف الميادين، وقد تجاوز عدد ما ألفوه من أوائل القرن التاسع عشر ميلادي حتى العشرين ميلادي ستين كتابا في مختلف أعمال التراث العربي[5].

ومن بين المستشرقين الذين اهتموا بالتراث والمخطوطات: نجد روني باصيه، قد اهتم بالمخطوطات العربية بصفة خاصة تدل عليه كتاباته المتعددة منها: المخطوطات العربية لزاوية الهامل، ومخطوطات العربية لباش أغا الجلفة، ودي كلاسونتي: الذي كان في 1883م، مترجما عسكريا في منطقة غرداية على القائد العسكري للمنطقة، وقدم تقريرا يقول فيه: "عند وصولي إلى غرداية اتصلت مباشرة ببعض

[1]- رشيد بن قسيمة، المرجع السابق، ص: 210.

[2]- إسلام عبد الله عبد الغني غانم، مناهج دراسة التراث عند المستشرقين منهج التاريخ والمنهج الوصفي والمنهج الأنثربولوجي نموذجا، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، الصادرة عن: مخبر الدراسات الاجتماعية والنفسية والأنثروبولوجية بالمركز الجامعي أحمد زبانة غليزان، الجزائر، مج4، ع2، 2018م، ص: 50.

[3]- عبد العظيم الديب، المستشرقون والتراث. المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، (ط3)، 1992م، ص: 19.

[4]- رشيد بن قسيمة، المرجع السابق، ص: 211.

[5]- إسلام عبد الله عبد الغني غانم، المرجع السابق، ص: 49.

الطلبة الميزابيين الذين ارتأيت أنه بإمكانهم إفادتي بمعلومات دقيقة فيما يخص كتب المنطقة"، ومن خلال ذلك تمكن من استعارة بعض الكتب المطبوعة باللغة العربية، والتي تحصل من خلالها على معظم المخطوطات[1]، وهناك ألفرد بيل: الذي اهتم بالمخطوطات، وقد استعمل العديد منها في ترجمة النص العربي للقسم الأول من الجزء الثاني لكتاب "بغية الرواد" في سنة 1911م بالتعاون مع الغوثي بوعلي المدرس الرئيسي في جامع تلمسان الأعظم[2].

المبحث الثالث: المستشرقون واهتماماتهم بالجانب الديني

تعتبر الدراسات الاستشراقية مصدر الكثير من الغربيين، لفهم الثقافة الإسلامية، حيث كانت غاية الاستشراق هي معرفة الإسلام من أجل محاربته وتشويهه وإبعاد النصارى عنه، فشككوا في صحة القرآن الكريم والطعن فيه، حيث رأوا أنه هو مصدر قوة المسلمين وهو الذي يجمعهم في كيان واحد، فقللوا من قيمة الفقه الإسلامي واعتبروه مستمدا من الفقه الروماني، وعمدوا الى التشكيك في صحة رسالة النبي ﷺ بهدف اسقاطها وحتى يفقد المسلمون الصورة الحقيقية لأحكام الإسلام، إضافة الى العمل جاهدا على تنصير المسلمين وكان كل هذا من أجل حماية أوروبا من قبول الإسلام بعد أن عجزت عن القضاء عليه من خلال الحروب الصليبية.

أولا: المستشرقون ومحاربة الإسلام: شهدت ساحة العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر ميلادي، دخول الكثير من الأوروبيين عالم الاستشراق الذي توسع توسعا هائلا في عدد المهتمين به، وفي تنوع اختصاصاتهم وخاصة اهتمامهم بدراسة الإسلام والمسلمين[3] وصبغت معظم الدراسات الاستشراقية في الجزائر بصبغة واحدة، تدور بكاملها في دراسة علاقة الأهالي بالدين الإسلامي،

[1]- عبد الحميد أعراب ، المرجع السابق، ص: 70.

[2]- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص: 60.

[3]- لخضر شايب، نبوة مُحَمَّد في الفكر الاستشراقي المعاصر. مكتبة العبيكان، ص: 75.

ومدى تأثير المؤسسات الدينية المختلفة عليهم، وأشرف على هذه العملية مجموعة من المستشرقين، فكان منهم الموضوعي و منهم المنتقد المشوه لحقيقة الجزائر والإسلام والمسلمين[1].

وارتبط هدفهم في بادئ الأمر بالدافع الديني من طرف الكنيسة ورجالها قصد تصوير المسلمين والإسلام على أنهم أعداء المسيحية[2]، وسلكوا كل المسالك لتحقيق أهدافهم، فكانت رغبة السلطات الفرنسية هي التعاون مع المستشرقين والقضاء على الإسلام في الجزائر، ودفعت إلى شن حملة واسعة لتشويه الإسلام ومحاسنه ووصفه بشتى الأوصاف وتفضيل المسيحية عليه[3]، وتحريف حقائقه، وادعوا ظلم وعدوان أحكام الشريعة الإسلامية لأن فيها انتهاك لحقوق الإنسان، واعتداء على الحرية الشخصية ليثبتوا للشعوب أن الإسلام دين لا يستحق الانتشار، وذلك بالبحث عن نقاط الضعف فيه وإبرازها إذ يقولون أنه ليس دينا منزلا من عند الله بل هو دين مستمد من ديانتين اليهودية والمسيحية[4]، وكثيرا ما كانوا يدخلون في الإسلام لفترة وجيزة ثم يرتدون عنه ليبينوا أنهم جربوا هذا الدين ووجدوه غير نافع وغير صحيح، لإدخالهم إلى الظلمات وضلالهم، بقوله الله تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[5].

ومن خلال الاحتكاك الفرنسي بالإسلام والمسلمين في الجزائر، أدرك أنه مهدّد للمصالح الفرنسية وذلك من خلال تعصب معتنقيه، ويرى المستشرق الفرنسي الكسي دي توكفيل أن المجتمع الإسلامي في الجزائر كان مجتمعا متمدنا، وليس كما يراه البعض متخلفا، كما ذكر أنه يحتوي على مؤسسات دينية، بمعنى أن الجزائريين كان لهم دينهم، وشعائرهم، ومؤسساتهم الخاصة بهم، ولم يرثوا شيء عن

[1]- مسعود بودربالة، الاستشراق الفرنسي وتوظيفه الأثنوغرافي لاحتلال الجزائر، مجلة الفكر متوسطي، الصادرة عن: جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، مج6، ع1، 2016م، ص: 210.

[2]- جغلولي يوسف تالي جمال، المرجع السابق، ص: 529.

[3]- مسعود بودربالة، المرجع السابق، ص: 214.

[4]- أحمد فؤاد محمود، أضواء على الثقافة الإسلامية. المملكة العربية السعودية: اشبيليا للنشر والتوزيع والدعاية وإعلام، (ط1)، 2000م، ص: 123.

[5]- سورة آل عمران، الآية: 7.

المسيحية كما ذكر البعض[1]، ولكن الإدارة الفرنسية شرعت إلى إخضاع الشعب الجزائري والعمل على تحويلهم إلى مسحيين، وذلك من خلال خطة مدروسة بإحكام ولم تكن محاربته عشوائيا، بل إنها قد درست بشكل جيد الديانة الإسلامية ومدى ارتباط الإنسان الجزائري بها، من خلال احتكاك الحركة الاستشراقية بالإدارة الفرنسية[2]، اللذان اندفعوا بأعمالهم الجامحة من أجل الطعن في الإسلام بروح الغيظ والتشفي والنيل من مكانة رسول الله ﷺ دون سند من حقيقة أو واقع[3].

وعمدوا الى هدم المؤسسات الدينية من جهة، ومن جهة أخرى أضعفوا التعليم الديني وضيقوا عليه واستمالوا على بعض الزوايا وشجعوا فيها على الدجل، والسحر والشعوذة وأصبح الدين ما هو إلا اعتقاد في بركة الأولياء[4]، وأعلنت الحرب على المساجد والأوقاف، وقامت بتحويل الكثير من المساجد إلى كنائس وثكنات وإسطبلات، وغلقها تماما أو تدميرها[5]، كمسجد كتشاوة العظيم الذي أرجعته إلى كنيسة، وفي هذا يقول الشيخ البشير إبراهيمي: "جاء الاستعمار الدنس إلى الجزائر يحمل السيف والصليب... وقد كان استعمارا دينيا مسيحيا وقف للإسلام بالمرصاد وانتهك حرماته منذ أول يوم بروح مسيحية تشع بالحقد والانتقام"[6]، وقامت بضرب الأوقاف وشيوخ الزوايا، لأنهم مرجعية مرجعية المجتمع ومصدر ثقته، ولأنها كانت مصدرا هاما لنشر العلم وإعالة الفقراء، وكانت تريد بذلك القضاء على المصدر الأساسي والوحيد لرعاية الخدمات الدينية والثقافية في المناطق الحضارية والريفية، من أجل أن تضعف من قوة وعزيمة الجزائريين وتقضي على مرجعيتهم الدينية وحتى لا يعيق تغلغل

[1]- مسعود بودربالة، المرجع السابق، ص: 215.

[2]- إبراهيم لونيسي، المرجع السابق، ص: 214.

[3]- سلمان سلامة عبد المالك، أضواء على التبشير والمبشرين. مصر: مطبعة الأمانة، (ط1)، 1994م، ص: 29.

[4] - جغلولي يوسف تالي جمال، المرجع السابق، ص: 529.

[5]- إبراهيم لونيسي، المرجع السابق، ص: 212.

[6]- أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الابراهيمي ،بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، ج1، 1997م، ص: 46.

نفوذها داخل الجزائر[1]، وهذا يدل على الحقد الدفين الذي دخلت به فرنسا الجزائر، وتشوقها على القضاء على كل ما يرمز إلى الإسلام في هذه البلاد في أسرع وقت[2].

بالإضافة الى وفود عدد من القساوسة والرهبان الى بعض حواضر الجزائرية لدراسة الإسلام ولغته وعلومه، ليقوموا بعد عودتهم إلى بلادهم بتأليف الكتب المشحونة بالأحقاد، واختلاف المثائب وإثارة الحفائظ بين المسلمين، واتسمت مؤلفاتهم بالجهل المتعمد به، حيث درس إدموند دوتي الحياة الدينية في الجزائر في كتابه "الإسلام الجزائري"، ودرس زميله هنري قارو كذلك الحركة الإسلامية، ولويس رين في كتابه "مرابطون وإخوان" في سنة 1884م ، وديبون وكوبولاني سنة 1897م، في كتابهما "الطرق الدينية الإسلامية"، والإسكندر الذي كان مهتما بالدراويش، كما أصدر دراسة مفصلة عن الطريقة الشاذلية في منطقة التيطري وجنوب مدينة الجزائر وكانت حكومة فرنسا قد كلفته بذلك[3].

وبرز أيضا اهتمام مستشرقين برحلات الحج، مثل رحلة جرفيه كورتليمون (Gervais Ciurtellmont) حيث شجعه أصدقائه الجزائريون، لكي يتعرف أكثر على سلوك المسلمين وعاداتهم بحيث يقول: "كان لدي عدة أصدقاء مسلمين جزائريون لم يحاول أي منهم ثنيي عن مشروعي الى السفر الى مكة المكرمة بل على العكس شجعني بعضهم بحرارة، وكان الحاج أكلي هو أول من نصحني بذهاب الى مكة"، ولم ينفك يتحدث عن روائع هذه المدينة المقدسة، ووصل الى مكة المكرمة في 1894م من الجزائر، وأخذ عدة صور لمكة المكرمة والبيت الحرام بلغ 34 صورة، ووصف سكانها وقال: "إن الإسلام دين عظيم وبسيط"[4]، فبالرغم من عمله التجسسي إلا أنه اعترف اعترف بعظمة الإسلام، عكس بعض المستشرقون الذين حاولوا الطعن في فريضة الحج والتشكيك فيها، وحاولوا إلصاقها بموروثات الجاهلية.

---

[1]- مسعود بودربالة، المرجع السابق، ص- ص: 217- 218.

[2]- إبراهيم لونيسي، مرجع السابق، ص: 212.

[3]- أبو قاسم الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج6، المرجع السابق، ص: 52.

[4]- جول جرفيه كورتلمون، رحلتي الى مكة المكرمة في عام 1894م. تر: أحمد إبيش، أبوظبي: دار الكتب الوطنية، (ط1)، 2013م، ص: 31.

ولم ينسى المستشرقون تشكيك في رسالة النبي ﷺ والحط من قدره، حيث يرون أن الطعن في رسالته يعني هدم الدين بالكامل، لقوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا 4وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا5﴾[1]، ويتعذر هؤلاء المستشرقون بما دخل على الحديث النبوي من وضع ودس حيث يقول إدوارد مونتي في كتابه "القران" أنه لا يمكن أن يصدر كل هذا من مُحَمَّد حيث كان أميا[2]، بل هو عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى، فالعقدة عندهم هي عدم تصديقهم بنبوة الرسول ﷺ، ومنها انبعثت كل تخطياتهم وأوهامهم[3].

ثانيا: المستشرقون والقرآن الكريم

لقد سعى المستشرقون إلى ضرب القرآن الكريم، لاعتباره المصدر الأساسي للدين، وذلك بالتشكيك في أمرين، الجانب الإلهي في القرآن الكريم، والتشكيك في الروايات المتعلقة بجمعه ونسخه وقراءته[4]، فأعداء الإسلام لم يرضهم شيء إلا أن يفرقوا أهله عنه، فتكالبت جهود المستشرقين لنشر هذا الباطل من خلال كتبهم المتعددة التي تطعن بالإسلام ونبيه وكتابه[5]، ووقفوا موقف الإنكار والخصومة من القرآن الكريم واتجهت جهودهم محاولين زعزعة الاعتقاد في صحته ومصدره[6]، واتبعوا ثلاث خطوات أساسية، ترجمته ثم تفسير القرآن الكريم ثم التشكيك فيه.

أ– ترجمته: كان أول وأهم عمل هائل في مجال الترجمة خصصوا له الوقت والجهد، هو القرآن الكريم فشرعوا في ترجمته لا للاطلاع عليه والاستفادة منه، بل لمحاربته وقد التزموا بترجمة حرة أي موافقة

[1]– سورة الفرقان، الآيات: 4– 5.

[2] – Edouard Montet , Le coran, Paris, St – Garmain tous droits rèservès, 1925, p: 21 .

[3]– أحمد فؤاد محمود، المرجع السابق، ص: 27.

[4]– مُحَمَّد فاروق النبهان، المرجع السابق، ص:46.

[5]– مُحَمَّد أمين حسن مُحَمَّد بني عامر، المرجع السابق، ص: 119.

[6]– عبد الرحمن عميرة، المرجع السابق، ص:100.

لأهوائهم من حيث التصرف بالنصوص عن طريق التقديم والتأخير ولإهمال والتحوير وغير ذلك، واستعملوا لغة قديمة في الترجمة، ونشروا الترجمات تحت أسماء مستعارة أو بأحرف فقط تدل على إسم المترجم بغية عدم إظهار شخصيته الحقيقية، وتلاعبوا في ترجمتهم من خلال طمس الحقائق[1]، واستخدام التعليقات وملاحظات لدحض الآيات القرآنية، وتغيير أحكامها من أجل منع المسيحين من اعتناق مبادئه و معتقداته، بالرغم من أنهم يعلمون عظمته عند الشعوب[2].

وظهرت ترجمات عديدة للقرآن الكريم في القرنين 19م و 20م منها، كترجمة بالمر 1887م، وترجمة بيل 1937م، وبلاشير 1947م وغيرها، وإن هذه الترجمات كانت ترجمات لا تفي بالمعنى القرآني المطلوب، وكما وأنها مع المقدمات التي كتبت لكل ترجمة كان هدف بعضها إعطاء فكرة مشوهة عن الإسلام ونبيه وكتابه، ولذلك نراها مملوءة بالترخصات والقصص الخيالية، وترجمتهم لم تعطي المعنى الكامل ولا تفي بالمقصود من الآية، فمقاصد القرآن أمر لا يمكن الوصول إليه عن طريق الترجمة، ومن يريد تعلم القرآن ودراسته يجب أن يكون على دراية كاملة باللغة العربية وإتقانها[3].

وأهم الترجمات إلى الفرنسية هي ترجمة ريجي بلاشير (blachère)، وقدم لها دراسة نقدية هامة أطلق عليها (المدخل إلى القرآن)، وتعرض إلى دراسة القرآن الكريم وكيفية جمعه وترتيبه في العديد من الكتب، وأشار إلى المراحل المختلفة التي مر بها لكتابة هذا القرآن الكريم، أولا مرحلة حفظ القرآن وثانيا مرحلة تدوينه[4]، وبالرغم من أن ترجمته تعد من أفضل الترجمات ولكنه لم يحترم الأمانة العلمية فيما يختص بالنص القرآني الذي بين يديه، فهو يعبث أحيانا بتقسيم الآيات على حسب ما يحلوا لهواه، وعنده في الهوامش متسع للتعبير عن كل ما يخالجه من شكوك، حيث يجعل قوله تعالى:

[1]- محمد صالح البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم. بيروت: منشورات دار الأفاق الجديدة، (ط1)، 1980م، ص-ص:89- 108.

[2]- محمد أمين حسن بني عامر، المرجع السابق، ص: 258.

[3]- فاروق عمر فوزي، المرجع السابق، ص- ص: 200- 203.

[4]- ساسي سالم الحاج، المرجع السابق، ص: 261 .

﴿ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾[1]، فنراه يتهم هذه الآية بأنها مبهمة جدا، وذلك دون أن يوضح موضع الإبهام ولا سببه. كما قام بتقديم الآيات وتأخيرها عن مواضعها في المصحف الشريف، بناء على تعليلات واهية كما حدث في سورة النساء ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾[2] عقب الآية الثامنة وجعلها هي التاسعة حسب تقسيمه[3]، كما شهدت ترجمته عدة أخطاء مثل لقوله تعالى: ﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴾[4] بـ mange et boi set que ton œil se seche وهي ترجمة غير موفقة، والأخطر أن ترجمته تلك غدت مرجعا في ميدان الاستشراق تأثر بها عدد من المستشرقين.

وترجمة إدوارد مونتيه 1929م التي امتازت بعض شيء بالضبط والدقة، ولكن بالرغم من ذلك فقد وجد فيها عدد من أخطاء حيث كتب اسم مُحَمَّد ﷺ على اسم الغلاف على أساس هو مؤلف الكتاب[5], وتعدى على الأمانة العلمية محاولا توسيع أوصال الآية الواحدة، إلى أكثر من آية و ضم الآيتين الاثنتين في آية واحدة، ففي ترجمته لقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾[6]، إذ يؤديه هكذا: " قل ليس علي أن أنشغل بكم "، ثم يعلق في الهامش بأن القول يتعارض مع كون مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم مبعوثا إلى أمة العرب[7].

أما ترجمة جاك بيرك التي استغرق إنجازها ثمان سنوات واستعان بالعديد من التفاسير كتفسير الطبري والزمخشري وغيرهم، وأهم ما ميز هذه الترجمة ما جاء في المقدمة من تحليل للنص القرآني

[1]- سورة البقرة، الآية: 267.

[2]- سورة النساء، الآية: 11.

[3]- إبراهيم عوض، المستشرقون والقرآن دراسة لترجمات نفر من المستشرقين للقرآن وآرائهم فيه. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، (ط1)، 2003م، ص- ص: 102- 103.

[4]- سورة مريم، الآية: 40.

[5]- نعيمة بوزيدي، الاستشراق الفرنسي وترجمته للقرآن الكريم، مجلة دراسات لسانية، الصادرة عن: جامعة البليدة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، الجزائر، مج4، ع2، 2020م، ص: 53.

[6]- سورة الأنعام، الآية: 66.

[7]- إبراهيم عوض، المرجع السابق، ص: 104.

ومميزاته ومضامينه والخصوصيات التي يتمتع بها، ولكن بالرغم مما أحدثته هذه الترجمة من ضجة في الأوساط الفرنسية، إلا أن صاحبها يرى أنه لم يصل إلى مرحلة الكمال، وهو يفتقد لعنصر مهم جدا ألا وهو الأمانة العلمية[1]، ويقول مصطفى عبد الغني: "إن مراجعة ترجمة جاك بيرك، تشير أنه مثل عدد من المستشرقين رغم استخدامه لعدد من المناهج الغربية الجديدة على النص، إلا أنه مازال يحمل رواسب تاريخية واجتماعية خاصة في تفسيره"[2].

ب– تفسيره: بدأ علماء الغرب في البحث عن تاريخ القرآن الكريم وعن الكتب المؤلفة فيه، فضلا عن عناية الجامعات والمعاهد بالدراسات القرآنية وتفسيرها، فحاولوا في بادئ الأمر إنكار نزول الوحي وفسرها المستشرق الفرنسي جوستاف لوبون بقوله: أن التصرفات التي تعتري الرسول ﷺ إبان نزول الوحي عليه، ماهي إلا الهوس الذي يباين العقل وينتابه في تلك اللحظات[3]، وكان تفسير مُحَمَّد عبد الله دراز حينما تناول تفسير أطول سورة في القرآن الكريم ضمن كتابه الموسوم "النبأ العظيم"، ويسمى هذا المنهج من التفسير بالتفسير الموضوعي للقرآن الذي يتناول السورة من أولها إلى آخرها، و يتعرف على الروابط التي تشدها[4]، وفسروا الآية الكريمة ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ ﴾[5] أن القرآن يحث الناس على معاملة آبائهم معاملة سيئة من خلال ما جاء فيها، وفي قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ

[1]– نعيمة بوزيدي، المرجع السابق، ص– ص: 25– 28.

[2]– علي بن إبراهيم النملة، المستشرقون والقرآن الكريم في المراجع العربية. بيروت: بيسان لنشر والتوزيع وإعلام، (ط1)، 2010م، ص: 15.

[3]– صالح بن سالم بن سعيد بالعثمان، المرجع السابق، ص: 28.

[4]– فاروق عمر فوزي، الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى). لبنان: دار الأهلية لنشر والتوزيع، (ط1)، 1998م، ص: 202.

[5]– سورة المجادلة، الآية: 22.

إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[1] يقول المفسرون جعل بينكم مودة أي محبة ورحمة وهي الرأفة فإن الرجل يمسك المرأة لمحبته لها أو الرحمة بها[2].

وفي اعتقاداتهم أن صلاة الجمعة، وصوم عاشوراء وحظ الميراث مثل حظ الأثنيين، قد أخذت من الجاهلية[3]، والصلوات الخمس والصلاة على الميت، وصيام شهر رمضان، وتحريم الميتة ولحم الخنزير... إلخ أخذت من الصائبة، ومن اليهودية: قصة قابيل وهابيل، وقصة إبراهيم، وقصة ملك سبأ، ومن النصرانية قصة مريم العذراء، وقصة طفولة يسوع[4]، وأمام هذه الافتراءات الخطيرة يقول تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[5]، وقوله: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[6]

مما لا شك فيه أن المستشرقين عموما والفرنسيين خصوصا، في تفسيرهم للقرآن الكريم كان هدفهم الأكبر هو إثبات بشرية هذا الكتاب بكل الوسائل مستغلين أي هفوة تبدوا هنا أو هناك ناسين أو متناسين الموضوعية والنزاهة العلمية التي يتصفون بها[7].

ج- التشكيك به: قاموا بحملة واسعة ضد القرآن الكريم وحاولوا التقليل من أهميته عند المسلمين وذلك من خلال الشك في آياته، حيث لجأ بعضهم إلى تعريف القرآن الكريم وتبديله ليثير الشكوك والافتراءات حوله[8]، فهم يزعمون بأن الإسلام نسيج مشوه استمده الرسول ﷺ من مصادر الديانة

---

[1]- سورة الروم، الآية: 21.

[2]- عبد المنعم فؤاد، المرجع السابق، ص- ص: 149- 150.

[3]- **الصائبة** : مشتقة من فعل صبأ أي خرج من دين إلى دين آخر و يقال صبأ النجم أي طلع و الصائبون يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام و قبلتهم من مهب الشمال عند منتصف النهار. ينظر: مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط. القاهرة: دار الحديث، مج1، 2008م، ص: 909.

[4]- مُحَمَّد أمين حسن مُحَمَّد بني عامر، المرجع السابق، ص- ص: 206- 207.

[5]- سورة الحجر، الآية: 9.

[6]- سورة البقرة، الآية: 43.

[7]- أحمد نصري، المرجع السابق، ص: 181.

[8]- صالح بن سالم بن سعيد بالعثمان، المرجع السابق، ص: 125.

اليهودية والمسيحية والزرداشية، وهم بزعمهم هذا يعملون على تحقيق هدفا من أهدافهم، وهو أن القرآن الكريم موضوع وليس وحيا من عند الله[1]، فهم لم يتركوا هذا الكتاب العزيز إلا وافتروا عليه كذبا محاولين زعزعة الاعتقاد في صحته وهادفين إلى إبطال القول بأنه وحي من السماء إلى رسول الله، ومن أشهر افتراءاتهم على القرآن الكريم: أنه من تأليف مُحَمَّد ﷺ، وقد استعان في هذا التأليف من اليهود والنصارى وكانوا أساتذة له، كما قالوا أن القرآن الكريم ليس فيه جديد يخالف به مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم اليهود والنصارى بل إن مادته المستعملة في تفسير تعاليمه موجودة في الكتاب المقدس قبله، وزعموا أن فيه تناقضات واضحة بين الكثير من سوره وآياته[2]، واعتبروا أن الصابئة مصدرا من مصادر القرآن الكريم وذلك للتشابه بينهما لما جاء من عقائد وعبادات ونسك، حيث قالو أن التأثير من الصائبة انتقل لمحمد ﷺ عبر الوسط الوثني الذي عاش فيه وأخذ منه الكثير من الطقوس الدينية[3].﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[4].

وافتراءات غيرها وضعها أصحابها من غير برهان ولا حجة، وادعوا أنها حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل.

ثالثا: الاستشراق والتنصير

تعاون المنصرون والمستشرقون من أجل إخراج الجزائريون من دينهم الإسلامي، وتنصيرهم كي يصبحوا مسيحين ومن أجل تحطيم مقومات الشخصية الجزائرية، وذلك من خلال التشكيك في عقيدتهم، فأدخلوا أفكار غربية على المفهومات الإسلامية في الممارسات وفي الأفكار أي ما يسمى

[1]- مُحَمَّد أمين حسن بني عامر، المرجع السابق، ص: 206.

[2]- عمر لطفي العالم، المستشرقون والقرآن، دراسة نقدية لمناهج المستشرقين. المملكة المغربية: مركز دراسات العالم الإسلامي، (ط1)، 1991م، ص- ص: 119- 120.

[3]- عمر بن إبراهيم رضوان، أراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره دراسة ونقد، الرياض: دار طيبة لنشر والتوزيع، (ط1)، ج1، 1992م، ص: 270.

[4]- سورة الحج، الآية: 17.

بالدعوى إلى التغريب، وتخوف المسلمين من هذه الحملة التنصيرية وعمدوا إلى التصدي لها[1]، فأعمالهم لم تحترم آدمية الإنسان وماهي إلا تضليل للشعوب[2]، فهما معا يشكلان وجهان لعملة واحدة وهدفهما واحد بحيث قد يكون بعض المستشرقون منشغلا بعملية التنصير وقد يكون المنصر مستشرقا[3].

فانتشروا في مختلف نواحي القطر الجزائري بغرض التنصير متسترين وراء الأعمال الخيرية كمساعدة المعوزين واليتامى والمشردين، وفتح المدارس للأطفال للتعليم ذو البرنامج المسيحي[4]، وإنشاء ملاجئ وتقديم الهدايا وبناء مستشفيات مثل مستشفى الذي أسسه سانت إليزابيث في 1894م والمستشفى الذي أسسه لافيجري[5] 1886م وسماه بيت الله[6]، وقام هذا الأخير بوضع خطة جديدة من أجل إدماج جزائريين بفرنسا وقال: "أن تنصير الأطفال بل وكل المسلمين سيعمل على تثبيت الوجود الفرنسي في الجزائر، وأن المسلمين الذين أخذوا عيوبا كثيرة عن الأوروبيين، سيتعلمون المبادئ الحسنة من المسيحية عن طريق التنصير"، ففي نظره أن لا أخلاق ولا مبادئ للمسلمين[7]. فانطلق في مشروعه مشروعه التنصيري الاستعماري وقد ساعده في ذلك البابوية والجمعيات التبشيرية والسلطات الاستعمارية، كقيام الرهبان والراهبات بمعالجة الأطفال المصابين وتنصيرهم، وقد أنشأت مؤسسة

[1]- علي بن ابراهيم النملة، الشرق والغرب منطلقات العلاقات ومحدداتها. بيروت: بيسان لنشر والتوزيع وإعلام، (ط3)، 2010م، ص: 132.

[2]- عبد العزيز الكحلوت، التنصير والاستعمار في إفريقيا السوداء. طرابلس: منشورات كلية الدعوة الإسلامية، (ط2)، 1992م، ص: 31.

[3]- مُحَمَّد السيد الجليند، الاستشراق والتبشير، المرجع السابق، ص: 101.

[4]- عبد القادر خليفي، سياسة التنصير في الجزائر، مجلة المصادر، الصادرة عن: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، مج6، ع1، 2004م، ص: 131.

[5]- **الكاردينال لافيجري**: هو رجل دين مسيحي وهو قس مدينة نانسي بفرنسا ولد سنة 1825م وكان أستاذ لتاريخ الديني بالكلية الدينية بباريس، عمل على توسيع النشاط الكاثوليكي في المشرق، ونظرا لخبرته الكبيرة تم تعينه على رأس الأسقفية في الجزائر 1867م. ينظر: أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق،ج6، ص: 199.

[6]- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830- 1989م. الجزائر: دار المعرفة، ج1، 2010م، ص: 277.

[7]- خديجة بقطاش، الحركات التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830- 1871. الجزائر: منشورات دحلب، 2013م، ص: 119. 119.

القديس أوغسطين لبعث الدين المسيحي، وكان الهدف منها نشر المسيحية بين المسلمين[1]، كما اقترح لافيجري أن يجعل مدينة بسكرة في الجزائر زاوية مسيحية وأن تسمى بيت الله واقترح أيضا أن يكون لباس المسحيين مشابها للباس المسلمين، ولكن دون جدوى نظرا لتشبت الجزائريين بدينهم الإسلامي[2].

وقد اهتموا كثيرا بالقسم الجنوبي من الجزائر، حيث رأوا أن أكبر عائق يواجهونه في الجنوب هو الإسلام فأرسلت العديد من الإرساليات التنصيرية إليها وكذلك إلى المناطق الصحراوية الشاسعة[3]، وأقاموا فيها مؤسساتهم وهكذا دخل هؤلاء الرهبان في الأوساط الجزائرية وانتصب فيها الكثير من رجال الكنيسة الكاثوليكية ونسائها ونزلوا وتمركزوا بمدينة معسكر والبيض والأغواط وبسكرة ومتليلي[4]، ومتليلي[4]، أما في منطقة القبائل فقد حاولوا إظهارها على أنها كيان منفصل عن السكان وانطلقوا إلى إلى تنصير هذا الإقليم، وقد تضافرت هذه الجهود بإلتقاء جهود المبشرين ودعاة الكيان القبائلي لمحاولة خلق مجتمع مسيحي جديد يخدم المصالح الفرنسية[5].

وعندما خابوا في هدفهم المباشر، في تنصير المسلمين جماعات اقتنع هؤلاء أن يكون عملهم قاصرا على زعزعة عقيدة المسلمين على الأقل[6]، فبدأوا يتقربون من فئة الشباب المهمش ويفتحون لهم أبواب أبواب الأمل ويقدمون لهم يد العون، بعدها يكشفون عن سرهم ويعرضون عليهم المسيحية كدين مخلص من هذه المشاكل بل يفتحون له أبواب التعليم في فرنسا نفسها بمساعدة المصالح الدينية هناك، وقد جاء في أحد الكتب الموجهة إلى رجال التنصير المسيحي تحت عنوان: طرق العمل التبشيري بين

[1]- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص: 121.

[2]- مصطفى خالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية. بيروت: منشورات المكتبة العصرية، 1953م، ص: 125.

[3]- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص: 129.

[4]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص: 16.

[5]- خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص- ص: 139- 140.

[6]- مصطفى خالد وعمر فروخ، المرجع السابق، ص: 46.

المسلمين "لنجعل هؤلاء القوم المسلمين يقتنعون في الدرجة الأولى بأننا نحبهم، فنكون قد تعلمنا أن نصل إلى قلوبهم، ويجب على المبشر أن يحترم في الظاهر جميع العادات الشرقية الإسلامية حتى يستطيع أن يتوصل إلى بث آرائه بين من يصغي إليها، وعليه مثلا أن يتحاشى أن يقول عن المسيح أنه ابن الله حتى لا ينفر منه الذين لا يؤمنون هذا الإيمان فيستطيع أن يقاربهم حينئذ بما يريد أن يدعوهم إليه"[1]، وبذلك دخل الأب دو فوكو[2] إلى أرض الجزائر سنة 21 ماي 1884م بعد زيارته للمغرب، وكان التنصير هو المقصود الأساسي في اعتقاده، والتعمير وسيلة لتحقيقه واستطاع بوسائل إغراء الطوارق، أن يجعلهم يقبلون عليه ويشاورونه في شؤونهم حتى صار بمثابة مرابط، وأثناء إقامته في بني عباس التي وصلها في 30 مارس 1903م، حاول دو فوكو فيها أن ينصر الكبار ففشل بذلك وحاول استعاب الصغار لتنشئتهم على المسيحية فخاب أيضا[3]، ثم استقر عام 1905م بمنطقة الهقار متنكرا بزي يهودي وشجع على سياسة تحويل الجزائريين إلى كاثوليك، وقد قال في هذا المجال: "لقد حان الوقت لضم هذا الشعب المغلوب عن أمره شيئا فشيئا إلينا و إلى الحضارة المسيحية"[4] ، ولكن بعد عشر سنوات اعترف دو فوكو بفشله إذ قال:" غدا تمر عشر سنوات منذ بدأت أقوم بالقداس بتمنراست و لم أتوصل إلى تنصير شخص واحد"، وأيقنت فرنسا بفشله إلا أنها واصلت نشاطها التنصيري[5].

ولكن الشعب الجزائري لم يبقى مكتوفي الأيدي وسعى إلى التصدي على أعمال الاستشراق التنصيرية التي قاموا بها كرفضهم للمساعدات المقدمة من طرف الجمعيات التبشيرية والتمسوا منها

[1]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص: 150.

[2]- **شارل دو فوكو**: هو رجل دين مسيحي ولد في مدينة ستراسبورغ 15 سبتمبر 1858م دخل الجيش الفرنسي وتعرف على مسالك منذ وقت مبكر من حياته، تعلم اللغة العربية وكان على اتصال مع جمعية الآباء البيض وساهم في نشر المسيحية في الجزائر. ينظر: أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص: 134.

[3]- بلقاسم الحناشي، الحركات التبشيرية في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. تونس: منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، 1989م، ص: 92.

[4]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص: 151.

[5]- بلقاسم الحناشي، المرجع السابق، ص: 89.

محاولة تشكيكهم في دينهم وإبعادهم عن أمتهم وإمتناعهم عن العلاج في المراكز الاستشفائية التي قاموا بها، وقيامهم جمعات وفرادى لمحاربة التنصير، كقيام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بفضح البعد الصليبي للاستعمار بأنه مجرد أهداف اقتصادية وأحقاد دينية دفينة في نفوس الاستعمار[1].

اعتبرت الجزائر إحدى أهم حقول تجارب الاستشراق خاصة بعد احتلالها من طرف فرنسا حيث تم تسخير كل الجهود المادية والمعنوية لخدمة الأهداف الاستعمارية التي كانت ترمي للسيطرة على المجتمع الجزائري بمختلف شرائحه عن طريق إتباع سياسات مختلفة كالتنصير والإدماج، وركزت الحركة الاستشراقية الفرنسية على الجانب الثقافي والاجتماعي هذا من أجل طمس هوية الشعب الجزائري من خلال استحواذها على المصادر التي تحفظ تاريخه وثقافته وتراثه، بدعوة نشر الحضارة في وسط مجتمع متخلف.

[1]– طويل حياة، التنصير في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي 1830 – 1962م، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، الصادرة عن: مخبر الدراسات الفكرية والحضارية جامعة تلمسان، الجزائر، مج4، ع1، 2017م، ص: 327.

الفصل الثالث

أبرز المستشرقون الفرنسيون ومجالات اهتماماتهم منذ 1880م.

المبحث الأول: أهم المستشرقون في المجال الاجتماعي منذ 1880م.

المبحث الثاني: أهم المستشرقون في المجال الثقافي منذ 1880م.

المبحث الثالث: أهم المستشرقون في المجال الديني منذ 1880م.

لقد لعبت فرنسا دورا هاما في الاستشراق، فمنذ تأسيسها مدارس ومعاهد لتعليم اللغة العربية مثل مدرسة اللغات الشرقية، ظهر أساتذة متميزون وتخرج منها العديد من المستشرقين، بحيث كانت تحاول معرفة كل شيء عن الشرق وذلك راجع لأهدافها الاستعمارية، فعمد المستشرقون الى تسجيل كل شيء عن البلدان المراد استعمارها، ودرسوا تراثها ولم يتركوا أي مجال من مجالات إلا وبحثوا فيه، كما وقد صنفوا على حسب اهتماماتهم فهناك من اهتم بالجانب الثقافي، محاولين أخذ صورة حضارية وثقافية، وخاصة في التراث الثقافي الجزائري، فعمدوا الى نشر اللغات الأوروبية، وصبغ البلاد العربية الإسلامية بطابع الثقافي الغربي وقد برز عدد المستشرقين الذين اهتموا بالجانب الثقافي وعلى رأسهم وليام مارسيه الذي اهتم باللغات العربية وهدفهم نشر الثقافة الغربية، كما بذل المستشرقون الفرنسيون جهودا كبيرة في دراسة المجتمع الجزائري والتعرف على مختلف مكوناته، منذ أن وطأت أقدامهم أرض الجزائر، وبرزوا في مجال الأثنوغرافيا والأنثروبولوجيا، واهتموا بالعادات وتقاليد واللهجات خاصة مع بداية الاحتلال الفرنسي للبلاد، وكان الهدف الأساسي لظهور الاستشراق هو معرفة طبيعة الإسلام، وقدموا عدة دراسات إسلامية، وذلك فقط من أجل البحث عن نقاط الضعف وابرازها، لكي يستطيعوا محاربته.

وبذلك فقد ولّد الاستشراق الفرنسي عدد من المستشرقين، ولعبوا دورا مهم في اعطاء دراسات قيمة في مختلف المجالات التي قاموا بدراساتها، حيث عملوا باجتهاد في خدمة التراث الغرب الإسلامي.

المبحث الأول: أهم المستشرقون في المجال الاجتماعي منذ 1880م

عملت الإدارة الفرنسية بخبرائها وفنانيها ومترجميها، الى معرفة الحياة العربية الإسلامية بمختلف نواحيها في المجتمع الجزائري، وقام المستشرقون بأعمال كثيرة في المجال الاجتماعي من ترجمة ودراسة للعادات والتقاليد التي يتميز بها هذا المجتمع عن غيره، كما سلطوا الضوء على أهم الركائز التي يقوم

عليها، بغية ضربه وتفكيكه، وألفوا العديد من الكتب، جعلهم يبرزون في المجال الاجتماعي منذ سنة 1880م، ومن أبرزهم: إدموند دوتي، روني باصيه ولويس رين.

أولا: إدموند دوتي (1867 – 1926م)

1– نشأته وتعلمه: يعتبر إدموند دوتي[1] (Edmond Doutté)، سوسيولوجي من مدرسة الجزائر، ولد في شمال شرق فرنسا في1867م بمدينة إفرو (Evreux)، الفرنسية[2]، ويعتبر أحد مؤسسي انثروبولوجيا الدين بالمغرب الكبير[3] وهو من أبرز المستشرقين الفرنسيين الذين قاموا بسلسلة من الرحالات الاستكشافية داخل الجزائر والمغرب، وكتب رحلات ودراسات وتحليلات مباشرة، وتعرفه موسوعة معلمة المغرب كالتالي: دوتي هو من أبرز من تخرج من المدرسة الإدارية الجزائرية فهو من بين الذين التحقوا بإدارة الجزائر المحتلة من الموظفين الفرنسيين فتعلموا العربية والأمازيغية وخيروا شؤون المجتمع الإسلامي هناك، ارتبط اسمه في بادئ الأمر بالمدرسة السوسيولجية[4]، التي كانت تحمل اسم مدرسة الجزائر العاصمة (L'ecole d'alger)، وهي مدرسة عرفت انطلاقتها سنة 1870م وتوقفت باستقلال الجزائر سنة1962م.

وبدأ دراسته في مدينة شالون سور مارن (Châlons -sur- Marne)، التي تقع في شرق عاصمة باريس حيث كان والده يمارس فيها مهنة التدريس في شعبة الفلاحة، وتلقى عدة دروس في مختلف المجالات كالعلوم الطبيعية والطب والقانون، وهي تخصصات أفادته فيما بعد، كما تعلم اللغة العربية واللغة البربرية تحت اشراف روني باصيه، الذي اطلعه على دراسات الفلكلورية ومقارنة

[1]– ينظر صورة إدموند دوتي في الملحق رقم:5.

[2]– رشيد إدريسي، إدموند دوتي. الدار البيضاء: المركز الثقافي للكتاب، (ط1)، 2020م، ص: 12.

[3]– إدموند دوتي، الصلحاء مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر، تر: مُحَمَّد ناجي بن عمر. دار البيضاء: إفريقيا الشرق، 2014م، ص: 146.

[4]– **المدرسة السوسيولوجية:** هي مدرسة علم الاجتماع (Sociologie)1830م وتتكون من لوكوس بمعنى العلم أو المعرفة و (Societe) تدل على المجتمع، ويدرس فيه مجتمع الإنسان أو مجتمع الفرد و الجماعة أو الحقائق و الظواهر الاجتماعية. ينظر: جميل حمداوي، أسس علم الاجتماع ، شبكة الألولة، (ط1)، 2015م،ص: 6.

المجتمعات وفي سنة 1892م عمل كإداري مساعد في الأوراس الجزائرية، لكن لظروفه الصحية جعلته يطلب الانتقال ليتولى بعد ذلك منصب محرر في عمالة مدينة وهران 1894م بعد ذلك تابع دوتي دروس المستشرق موليبراس وذلك ليهيء نفسه للحصول على دبلوم مدرسة الآداب[1] والعمل الذي أنجزه استجاب لطلب روني باصيه وهذا النجاح جعله سنة 1898م ليصبح استاذا للآداب بمدرسة تلمسان التي يديرها وليام مارسيه وكلف سنة 1899- 1900م بمهمة انجاز قائمة المخطوطات العربية للمساجد الجزائرية.

اتجه دوتي الى مغرب بين سنتي 1900- 1901م لدراسة المناطق التي تتصل بالحداثة الأوروبية والإعداد لإدماج المغرب في دائرة التأثير الفرنسي وأسفر هذا العمل عن تقرير بعنوان "وسائل تطوير التأثير الفرنسي في المغرب" نشره سنة 1900م والأهم من وجهة نظر جزائرية، تأمين الطريق الأفضل للنفاذ الفرنسي.

وشغل سنة 1901م منصبين في نفس الوقت الأول في مصلحة المنشورات العربية للحكومة العامة في الجزائر والثاني إلقاء دروس العامية العربية في مدرسة الآداب، وفضَّل هجر جامعة رجيفر سنة 1903م[2]، لشغل كرسي التاريخ المعاصر للجزائر، وكان مسؤولا عن الدورات التكميلية في اللغة العربية المبتذلة، وفي سنة 1905م كان قادرا على أخذ دورة في تاريخ الحضارة الإسلامية بدلا من تعليمه للغة العربية المبتذلة، وفي أواخر عام 1907م تم إنشاء كرسي في تاريخ الحضارة الإسلامية في المدرسة العليا في الجزائر العاصمة، وأصبح عضوا في المعهد الأنثروبولوجي[3].

---

[1]- رشيد إدريسي، المرجع السابق، ص- ص: 15- 16.

[2]- يونس الوكيلي، إدموند دوتي رائد انثروبولوجيا الدين الكلونيالية بالمغرب. المملكة المغربية: مؤسسة مؤمنون بلاحدود للدراسات والأبحاث، ص: 2.

[3]- **الأنثروبولوجي**: هي علم الإنسان أو علم دراسة الإنسان، وتلتبس بالعلوم الإنسانية، تدرس الإنسان وكل ناحية من نواحيها والحياة الإنسانية كتاريخه والجغرافيا البشرية. ينظر: حسن شحاتة سعفان، علم الإنسان (الأنثروبولوجيا). بيروت: منشورات مكتبة العرفان، ص: 2.

كما أدى وظائف إدارية، وغالبا ما كان يوضع تحت تصرف الحاكم العام للجزائر، وتكليفه بمهام وكان مهتما خاصة بالجانب الاجتماعي حيث يعتبر ذهنا مشبعا بالكامل بالمفاهيم والأساليب الاجتماعية وملهما بالعقيدة الاجتماعية[1]، وتشير الباحثة الفرنسية لوسيت فالنسي، الى حفاوة البالغة التي استقبلت به فرنسا دراسات ادموند دوتي وتجلت في المرجعات المتعددة على صفحات المجلة "السنة السوسيولوجية" فبدء من 1904م في الجزء السابع للمجلة، راجع هوبرت مقاله "الأكوام المقدسة" وفي سنة 1906م راجع ايميل دور كهايم مقاله "التنظيم المنزلي .." وفي سنة 1907م اعترف مارسيل موس بتقدير دوتي في اشتغاله على قضايا طرحتها قضية "ألسنة السوسيولوجية".

كما تميزت رحلاته الست في المغرب بالملاحظة الدقيقة والتدوين المستمر لمختلف المعلومات وكانت كافية لجمع المادة العلمية، حيث احصى أندري أدم في البيبليوغرافيا النقدية 12 عملا من تأليف ادموند دوتي وتنقسم الى 03 أنواع، رحلات استكشافية الى عدة مناطق في المغرب، وكذلك ناقش ظواهر اجتماعية محددة (كعيد الطلبة أو التنظيم المنزلي او سقوط السلطنة)، والثالثة هي عبارة عن دراسات تتعلق بظواهر دينية مباشرة كملاحظات حول الإسلام المغاربي[2].

2- أهم مؤلفاته: درس إدموند دوتي في كتابه "الإسلام الجزائري" الحياة الدينية بالجزائر في أوائل القرن 19م[3]، كما أسفرت رحلته الى المغرب الى تأليف كتاب "مراكش قبائل الشاوية ودكالة والرحامنة" الذي ألفه ما بين سنة 1901- 1902م، وألف كذلك كتاب آخر "الصلحاء" والذي هو عبارة عن مقال هام نشره سنة 1901م، بمجلة تاريخ الأديان في عددين متتالين، وهذا الكتاب هو عبارة

[1]- Valensi lucette, le Maghreb vu du centre sa palace dans l'école sociologique française , in connaissance du Maghreb. Paris, éditon du C N R S, 1984, p: 241.

[2]- يونس الوكيلي، المرجع السابق، ص: 3.

[3]- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص: 51.

عن استمرار لجهود أساتذة كبار في المجال مثل: مولي براس، ولاما رنينير، ولاكروا وشارل دو فوكو، وهنري باصيه وكولد زيهر[1].

ونشر كاتبه "الدين والسحر في افريقيا الشمالية" الذي أهداه الى هنري باصيه حيث كان تلميذا وفيا له وقال بهذه العبارات: "الى سيد هنري باصيه، مدير المدرسة العليا للآدب بالجزائر تكريما واعترافا"، ووصفه جاك بيرك بالكتاب العظيم وأنه محاولة أولى من أهم ما كتب اليوم في هذا المجال في المغرب العربي، كما نشر ادموند دوتي ملاحظات حول الإسلام المغاربي "الأضرحة في مجلة تاريخ الأديان" بباريس سنة 1899م باللغة الفرنسية، تناول فيه دراسة ظاهرة تقديس الأضرحة في المنطقة المغاربية وعرضها متسائلا ومفسرا أسباب انتشارها في البيئة المغاربية، لمسلمة لدى العامة.

توفي ادموند دوتي سنة 1926م، تاركا وراءه العديد من المؤلفات القيمة التي استفاد منها العديد وترك وراءه المجال مفتوح للتكملة ما قام به[2].

ثانيا : روني باصيه (1924 – 1855م)

1- نشأته وتعلمه: ولد روني باصيه[3] (Basset Marie Joseph Réné)، في مدينة لونيفيل حيث تلقى التعليم الابتدائي والثانوي، ولما أجيز بالآداب من جامعة نانسي 1778م[4] انجذب نحو اللغة العربية، فقصد باريس ودرس في مدرسة اللغات الشرقية بين سنتي 1873 – 1880م[5]، ثم تخرج من معهد فرنسا أثر عثوره على مؤلف عربي (باللغة العربية والتركية والفارسية) على الأساتذة: جويار، دي فريمي ودي مينار ودي ساسي وموهل[6].

---

[1]- إدموند دوتي، الصلحاء، المصدر السابق، ص: 146.

[2]- يونس الوكيلي، المرجع السابق، ص: 2.

[3]- ينظر صورة روني باصيه في الملحق رقم:6.

[4]- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص: 223.

[5]- أبو قاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج4، ص: 40.

[6]- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص: 233.

وعندما أنشأ فاري مدرسة الآداب العالية بالجزائر، أسند الى باصيه كرسي العربية فيها سنة 1885م، ودرَّس فيها الحبشية والتركية والبربرية ووجد من وقته متسعا للطواف في إيالة تونس، سنة 1888م منقبا عن الأثار الإسلامية والمخطوطات العربية متعمقا في المعتقدات والأخلاق والعادات تعمقا حمله على معارضة الحكايات الشعبية العربية بمثلها من الحكايات الشعبية العالمية[1].

أضحى روني باصيه مستشرقا فرنسيا مشهورا ومتخصصا في اللغة العربية واللغات البربرية وقد تميز أيضا في مجال دراستين إثيوبيتين، وجماعات مختلفة من المستشرقين ،بما في ذلك البرتغاليين، وخاصة من خلال النشر والتحفيز لعمل الشباب الواعد[2].

وفي عام 1890م تزوج في مدينة لونفيل مع لوسي (Lucie Jeanmaiira)، وهي تنتمي لعائلة من وجهاء المدينة، وكان لديهم خمسة أطفال بما فيهم: هنري (1892 – 1926م) وأندريه (1895 - 1956م) الذين كرسوا أنفسهم بدورهم لدراسة اللغة البربرية، بينما تزوجت ابنته من جان ديني المتخصص في الدراسات الاستشراقية، والمدير المستقبلي لمدرسة اللغات الشرقية[3].

توفي المستشرق الفرنسي الشهير روني باصيه في 4 جانفي 1924م على الأرض التي علَّم فيها وساعد في ترسيخ مساره الأكاديمي والعلمي فيها وهي الجزائر[4].

2- مناصب تقلدها: إن روني باصيه من بين المستشرقين الذين كانت لهم بصمتهم في تاريخ الاستشراق الفرنسي عامة، وبالجزائر على وجه الخصوص، حيث لم يكتفي بدراساته العلمية الاستشراقية فحسب، بل تقلد مناصب في غاية الأهمية نذكرها في ما يلي:

[1]- مراد يحي، المرجع السابق، ص: 204.

[2] - Carlo conti Rossini, Staria d'Etiopia, val 1, Milano, officina d'Art Grafica, 1928, p: 1.

[3] - Alian Messaoudi, les Arabisants et la France colonaiale, Lyon, ENS éditions, p – p: 43– 44.

[4] - Carlo Conti Rossini, op. cit, p: 6.

أسند اليه كرسي العربية بمدرسة الآداب العليا بالجزائر سنة 1885م، ودرَّس فيها الحبشية والتركية والبربرية[1]، كما عين مسؤولا عن دورة اللغة العربية التكميلية في نفس المدرسة[2]، وفي عام 1894م تمت ترقيته الى مدير فيها، وفي عام 1909م أنتخب عميدا بها عندما انتقلت تلك المدرسة الى كلية الآداب بجامعة الجزائر[3].

ترأس مؤتمر المستشرقين في الجزائر سنة 1905م، وعرفت الوزارة الخارجية فضله فعينته قنصلا لها في الجزائر، إلا أنه آثر التدريس، وفي عام 1910م انتخب مديرا لدائرة المعارف الإسلامية، كما كان عضوا في مجامع علمية كثيرة منها، باريس، لشبونة، مدريد، روما، دمشق، وصنفت لتكريمه منوعات باسمه، في جزئين سنة 1925م[4].

3- رحلاته العلمية : قام المستشرق روني باصيه بالعديد من الرحلات العلمية، بغية القيام بدراسات استشراقيه تثري رصيده المعرفي فيما يتعلق باللغات التي تعلمها، ومن أجل جمع المواد اللغوية لدراسة تنوع لهجتين بربريتين، قام بالعديد من المهمات والرحلات العلمية، والتي نسجل منها ما يلي:

قام برحلة الى الجزائر سنة 1881م، كما زار تونس، طرابلس، والمغرب سنة 1882م، وذهب الى منطقة أوراو والمغرب سنة 1883م، والصحراء الجزائرية سنة 1884م، وميزاب وورقلة سنة 1885م، وارسنيس وسيرسو سنة 1886- 1887م، أوراو دوسول سنة 1886م، وسينيغال وغينيا البرتغالية إي ريو نونيز سنة 1888م، وسهول الأطلس (القبائل) سنة 1889م[5]. ووجد متسعا من وقته سنة 1888م، فقام برحلة الى تونس منقبا عن الآثار الإسلامية والمخطوطات العربية

[1]- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص: 223.

[2] - Alian Messaoudi, op. cit, p: 44 .

[3] - Carlo Conti Rossini, op. cit, p: 1.

[4]- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص: 223.

[5] - Carlo Conti Rossini, op. cit, p: 2.

متعمقا في المعتقدات والأخلاق والعادات تعمقا حمله على معارضة الحكايات الشعبية العربية بمثلها من الحكايات الشعبية العالمية[1].

قام بزيارة سهول قسنطينة سنة 1890م، ومنطقة أوراو سنة 1892م، وأطلس دوتيل سنة 1895م، ومدينة تيارت سنة 1902م، ومنطقة القبائل ما بين سنوات 1903- 1909م، وبوسعادة، الهامل والصحراء الجزائرية سنة 1907م، كما قام برحلة أخرى الى المغرب العربي سنة 1914م، والمغرب الشرقي بين 1916- 1921م، تتجلى نتائج هذه الرحلات في العمل الذي نشره، في عام 1863م[2].

4- مؤلفاته : تنوعت أعمال روني باصيه الاستشراقية بين أدبيه وقصصيه وتاريخه ودينيه وفولكلورية، حيث تم جمع أعماله في (الميلانج) الذي يحمل اسمه، وتعددت بين كتب وبحوث ومقالات ومراجعة[3]، وسنتطرق لأهم ما قام به:

كان في طليعة محرري المجلة الإفريقية، ونشرة المرسلات الإفريقية، ونشرة الآثار الإفريقية، ولم ينقطع عما كان تعوُّده من نشر بحوثه في المجلة الآسيوية قبل مغادرته باريس سنة 1879م[4] نشر كتاب "صلاة المسلمين الصينين" وكانت النسخة الأصلية له باللغة العربية والفارسية في باريس سنة 1878م، ونشر كذلك قصيدة للكابي نص ونسخ وترجمة إيرانية في باريس سنة 1879م[5]، كما نشر نشر دليل لغة القبائل "لهجة زواوة" القواعد البيبليوغرافيا في باريس سنة 1887م[6].

---

[1]- مراد يحي، المرجع السابق، ص: 204.

[2] - Carlo Conti Rossini, op. cit, p: 2.

[3]- أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ج6، ص: 30.

[4]- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص: 223.

[5] - René Basset, Loqmân Berbère avec Quatre clossaires et une Etude sur la légende de loqmân, Paris, Ernest Leroux Editeurs, 1890, p: 3.

[6] -René Basset, Ètude sur la Zenatia de l'ouarsenis, paris, Ernest Leroux Editeurs, 1895, p: 4.

انقسمت أعماله الى ثلاثة، عربية، بربرية، وحبشية وهي: "بحث في تاريخ الحبشة" (مذيَّل بمصنف حبشي لمؤلف مجهول، وفهرس مكتبة آل عظوم بالقيروان سنة 1883م، ونشر فهرس المخطوطات العربية لمكتبة فاس بالجزائر سنة1883م.كما قام أيضا بترجمة قصة "الوزراء العشرة" بالشرح والتعليق سنة 1883م، ومخطوطات جلفا (المراسلات الإفريقية) سنة 1844م، ونشر أيضا بمعاونة هوداس "رحلة علمية الى تونس" في جزئين (نقلا عما كان قد نشره في نشرة) المراسلات الإفريقية، الجزائر سنة 1884م، ووضع فهرس مكاتب الزوايا الجزائر سنة 1886م، كما بحث في ديانة البربر سنة 1889م وزناتية بجل ورسنيس سنة 1889م ولهجة واحة سيوه بصحراء طرابلس الغرب سنة 1890م، ولقمان البربري سنة 1890م والأناجيل والكتب الدينية المنكرة أو المحرمة عند الأحباش، في احدى عشرة جزءا ما بين سنة 1893- 1911م.

نشر قصيدة "البردة" للبوصيري مع سيرة صاحبها مع النقد، فكانت خير طبعاتها سنة 1894م وترجم مجموعة الأقوال الهجوية لأحمد بن يوسف، مع سيرة صاحبها نقدا واستدراك سنة 1894م والزناتية مزاب ووادي الربوع سنة 1895م والبيت المقفل في طليطلة سنة 1897م وأسطورة عربية إسبانية سنة 1898م ونشر كذلك "لغز قابس" لإبن مسكويه، متنا وترجمة في جزائر سنة 1898م و"مغامرات تميم الداري" متنا وترجمة في (المجلة الآسيوية الايطالية سنة 1899م)[1]، ومتن الخزرجية في العروض لعلي الخزرجي[2]، متنا وترجمة (الجزائر سنة 1902م) ونشر بحث لإبن سينا لكراديفو (مجلة تاريخ الأديان سنة 1902م) والقصص العامية في إفريقيا (الجزائر1903 م) وموازنة بين قصور غرناطة والخورنق (المجلة الافريقية سنة 1906م) ووثائق عربية في حصار الجزائر سنة 1906م كما درس تاريخ بلاد ندرومة بعد خروج الموحدين، وهو دراسة نفيسة عن مدينة ندرومة وقبيلة ترارس تاريخا ووصفا وتعريفا بسكانها وآثارها (باريس سنة1902م)، وأيضا "تحفة الزمان في فتوح الحبشة" لعرب فقيه، متنا وترجمة وحواشي (في مجلدين ،باريس سنة 1909م) بالإضافة الى نشر كتاب "فتوح

[1]- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص: 224.

[2]- حاج نبيرد، المرجع السابق، ص: 100.

إفريقيا والمغرب" (منوعات شارل دي هارلز)، و"بانت سعاد"، باستدراك وتعليق مستعينا بشرحي ثعلب والجزرولي (في الجزائر سنة 1911م) والمتنوعات الإفريقية والشرقية (في باريس سنة 1915م) وأيضا نشر في المجلة الآسيوية "حصار المرية و"تاريخ ملوك هرر" سنة 1914م، ونشر "نشاط فرنسا العلمي في الجزائر وشمال افريقيا" منذ سنة 1830الى سنة 1920م، ونشر "ديوان أوس بن حجر" في المجلة الآشورية سنة 1912م، والفنون الشعبية في المجلة الآسيوية وديوان" عروة بن ورد" في الدراسات الشرقية لهوب سنة 1926م[1].

كما تم نشر كتب له من قبل دار النشر بباريس (Ernest Leroux Editeur)، وهي كالآتي: نشر حكايات بربر الشعبية مجمعة ومترجمة ومشروحة سنة1887 (Contes Pubulaires Berbéres)[2]، ونشر "لقمان بربر" مع أربعة مسرد ودراسة عن أسطورة لقمان سنة 1890 بباريس[3]، وقام بدراسة "زناتة في المغرب العربي الأوسط" سنة 1895م بباريس[4]، ونضيف كتابه "أبحاث في دين الأمازيغ "[5].

ثالثا: لويس رين (1838– 1905م)

1– نشأته وتعلمه: ولد لويس رين[6] (Rinn Louis Marie) في باريس يوم 28مارس 1838م، وكان من عائلة علمية اهتمت بالحياة الأكاديمية مثل عمه وأخيه، أما هو فقد درس في سان سير مدرسة الفرسان[7]، طوَّر فضوله باللغة العربية عندما كان طفلا من خلال الاجتماع والتواصل مع

[1]– نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص، ص: 224، 225.

[2] – René Basset, Contes Pobulaires Barbéres recueillis, traduits et Annotés, Paris, ERNEST LEROUX E'diteur, 1887, p: 1.

[3] – René Basset, loqman Berbére, op. cit, p: 1.

[4] – René Basset, Etude sur la Zenatia de l'ouarsenis, op. cit, p: 1.

[5]– روني باصيه، أبحاث في دين الأمازيغ، تر: حمو بوشخار. الرباط: دفاتر وجهة نظر، (ط1)، 2012م، ص: 1.

[6]– ينظر صورة لويس رين في الملحق رقم:7.

[7]– أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص: 68.

الشباب الذين يتحدثون اللغة في ليسيه لويس لو غراند (Louis-le- Grand)، حيث كان تلميذا لويلهلم رين (wilhelm Rinn).

دخل لويس رين المدرسة العسكرية الخاصة في سان سير (Saint – Cyr) عام 1855م، حيث تخرج ملازما ثانيا في الصف 83 في أكتوبر 1857م، غادر في عام 1864م الى جزائر وانضم الى المكاتب العربية حيث تميز بمهاراته اللغوية، في منصب بولاية قسنطينة ثم تم نقله على التوالي: مليا وبسكرة وسطيف، وتازملت ثم الى ميليا وبسكرة وأخيرا الى باتنة وجيجل وسطيف، تمت ترقيته الى ملازم ثاني في عام 1865م، ثم نقل الى فوج البندقية الثالث سنة 1866م، وأصبح نقيب في أوت سنة 1870م.

قام بتقسيم أولي لتجربته في(L' Algérie Assimilée)، وذلك بدراسة حول الدستور وإعادة تنظيم الجزائر من قبل مدير مكتب عربي، والتي تلزمه واجباته الاحتياطية بنشرها دون الكشف عن هويته. جرح في ماي سنة 1871م أثناء قتاله ضد المنتفضين في منطقة القبائل، وشارك في عمليات أعمدة Saussie و Marié و Adler والتي اكسبته صليب وسام جوقة الشرف في نوفمبر 1872م، تم استدعاؤه الى الجزائر العاصمة سنة 1874م[1]، وتولى فيها مناصب عدة الى غاية وفاته سنة 1905م.

2- المناصب التي تقلدها: اعتبر لويس رين من بين العسكريين الفرنسيين الأكثر دراية بالجانب الإسلامي في الجزائر وبمسائل القبائل، فاشتهر بمعرفته الواسعة للغة العربية، وبخبرته في شؤون الأهالي والعائلات الكبيرة والمرابطين والأشراف والطرق الصوفية والزوايا المنتشرة في الجزائر[2]، وقد سمحت له كل هذه الخبرات بأن يتقلد العديد من المناصب في الجزائر نذكر أهمها:

[1] - Alian Messaoudi, op. cit, p: 307.

[2]- مجدوب موساوي، الزوايا والطرق الصوفية بالصحراء الجزائرية عند لويس رين. مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، الصادرة عن: جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، مج3، ع1، 2020م، ص: 294.

ترقى إلى منصب قائد كتيبة في 25 فيفري 1879م، وتولى مسؤولية الخدمة المركزية لشؤون السكان الأصليين (المكتب السياسي السابق) في 23 جوان 1880م، لكن بعد خمس سنوات ألغيت هذه المصلحة، ثم تم تعينه مستشارا للحكومة في 03 مارس 1883م[1]، ولا شك أن عمله منذ سنة 1864م في المصالح الأهلية قد جعله يتعرف على مشاكل الجزائريين الدقيقة لأن كل الوثائق والمراسلات كانت تمر بيده، كما جعلته يتعرف على أنماط الناس وتفكيرهم، تولى رئاسة الجمعية التاريخية سبع سنوات، وظل يشارك في أعمالها ثم رئيسها الشرفي إلى وفاته سنة 1905م[2]، وتولى كذلك ضابط جوقة الشرف[3].

3- مؤلفاته: خلال أدائه لوظيفته الحساسة -الشؤون الأهلية- ألف رين عدة كتب ذات طابع إحصائي وإجمالي، وقد كتبها في مصلحة الأهالي وكان من موقعه يتلقى التقارير والرسائل، كما كان يراسل من يشاء من أعيان الأهالي ويطلب منهم المعلومات لكتبه[4]، ومن أهم أعماله العلمية نذكر ما يلي:

نشر دراسة حول دستور الجزائر وإعادة تنظيمها من قبل مكتب عربي سنة 1874م، وفي عام 1881م قدم رين الى الجمعية الفرنسية لتقدم العلوم، مذكرة حول الأصول البربرية دراسة لغوية تم إدراجها في مجموعة أعمال المؤتمر وظهرت في كتيب، كما قام بدورة في القراءة والكتابة الفرنسية لتعليم المواطنين الجزائريين، قدمها لريان قائد كتيبة، وأحمد بن حسن بن بريهمات مترجم عسكري سنة 1882م وفي نفس الفترة كتب رين، بالتعاون مع النقيب برنارد من المدفعية، المجلد الذي نشرته ولاية ألغدريبو العامة في مهمة فلاترز الثانية تحت عنوان "التاريخ والتقرير في شؤون المركزية للسكان الأصليين مع الوثائق والخريطة الداعمة" سنة 1882م، ونشر أيضا سنة 1883م دراسة حول النظام

[1] - Narcisse Faucon, Le Livre D'or de l'algérie. Paris: Librairie Algérienne Et coloniale, T1, 1889, p: 469.

[2]- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص- ص: 68- 69.

[3]- مجدوب موساوي ، المرجع السابق، ص : 294 .

[4]- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص: 69.

الجزائي للمواطن في الجزائر[1]، وفي سنة 1884م نشر كتاب "المرابطون والإخوان" وهي دراسة مهمة ومتعمقة في الجزائر، ويعتبر هذا الكتاب من أشهر مؤلفاته.

ونشر "اللجان التأديبية" سنة 1885م[2]، كما نشر أيضا دراسة للممالك الأمازيغية الأولى وحرب يوغرطة، ودراسة عن حدود الصحراء سنة 1886م وعن جغرافية الجزائرية، و كذلك دراسة عن أولاد سيدي الشيخ فيها استبصار كبير للآراء[3]، ونشرت بعض أعماله سابقا في المجلة الإفريقية (La Revue Africaine) كما أعطى لهذه المجلة الشهيرة سلسلة من المقالات لاسيما في سنة 1886م (ملاحظة عن حلقة من مذبحة بسكرة سنة 1884م) وأبرزها:

في سنة 1888م نشر (رسائل الطوارق والفاكس والنص والترجمة والملاحظات)[4]، ونشر دراسة حول مملكة الجزائر تحت آخر الدايات، والممالك البربرية الأولى، كما بحث في الدراسات اللغوية والإثنولوجية عن البربر، وذكر زميله لاكروا أن رين كرس سنواته الأخيرة لكتابه موسوعة كبيرة عن تاريخ الجزائر تضم أحد عشر مجلدا، ولكننا لا نعلم ماذا أكمل منه، لأن الكتاب الأخير لم ير النور على ما نعرف[5].

ومن بين كل مؤلفاته يبقى مؤلفه المشهور هو كتاب "تاريخ الانتفاضة سنة 1871م في الجزائر" نشره سنة 1891م، ناقش فيه سلسلة من الكتابات وبعض المقالات لثورة المقراني[6].

---

[1] - Narcisse Faucon, op. cit, p: 470.

[2] - Settar Ouatmani, Lucture Critique de l'œuvre de Louis Rinn sur l'insurrection de 1871 en Algérie, Oussour AL-Jadida, № : 7 – 8, 2013, p: 65.

[3] - Narcisse Faucon, op. cit, p: 470.

[4] - Settar Ouatmani, op. cit, p: 65.

[5] - أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ج6، ص: 69.

[6] - Settar Ouatmani, op. cit, p: 65.

المبحث الثاني: أهم المستشرقون في المجال الثقافي منذ 1880م

إن الثقافة هي حقل الاستشراق التي انتهجها وانشغل بها المستشرقون عامة، وهي من أكثر العلوم اهتماما من طرف المستشرقين عامة، والمستشرقين الفرنسيين بصفة خاصة، إذ أنه يصعب الفصل بين وجود الاستعمار الفرنسي بالجزائر وثقافته حيث عمل المستشرقون بشكل كثيف منذ سنة 1880م على دراسة الجوانب الثقافية في الجزائر، فقاموا بتعلم اللهجات الجزائرية المتنوعة وكان لهم دور فعال في هذا الجانب، من أبرزهم نذكر المستشرق وليام مارسيه وأخوه جورج مارسيه، وليون جوتييه وشارل فيرو.

أولا : وليام مارسيه (1874 – 1956م)

1– نشأته وتعلمه: ولد وليام مارسيه[1] (William Ambroise Marçais) في إقليم رين[2] كان لايزال طفلا عندما توفي والده الذي كان يعمل صانع قفازات في رين، أما والدته فقد ولدت في وهران وهي ابنة ضابط في الجيش الإفريقي.

درس وليام القانون في مدينة رين وبعد ان تحصل على شهادة البكالوريوس، وغادر الى باريس لدراسة اللغات الشرقية، وتميز بإتقانه للغات السامية وبناءً على نصيحة زميله الطالب إيزيدور ليفي وبرعاية هوداس حصل على الإقامة في مؤسسة تيير (Thiers) وأعد الدكتوراه في مادة الشريعة الإسلامية نال بها شهادته[3].

وبالتواصل مع الفقهاء الذين تبنوا الشريعة الإسلامية وعلم الكلام واللغة الكلاسيكية والأدب حقق وليام اتقانا نادرا) للثقافة الأدبية العربية والإسلامية، إذ نشر تباعا ترجمات لتقريب النووي ما بين سنة

[1]– ينظر صورة وليام مارسيه في الملحق رقم: 8.

[2]– نذير حمدان، المرجع السابق، ص: 126.

[3] – Alain Messaudi, op. cit, p: 238.

1900 – 1901م، ثم مع أوكتاف هوداس مجموعة صحيح البخاري الشهيرة (التقاليد، المجلد 4) مابين سنة 1903 و1914م[1].

كان يستمع للموسيقى بأذن استثنائية، وتزوج ماري آن وولف عام 1904م ابنة عازف بيانو وابنة اخت الملحن أمبرواز توماس، وأخت زوجته إدوارد ميشلان[2].

2– مناصب تقلدها: نظرا لثقافته الواسعة وميله الى فقه اللغات السامية ولا سيما العربية جعلته من أبرز المستشرقين الذين كان لهم دور بارز في الاستشراق الفرنسي وخصوصا في الجزائر، إذ تقلد مناصب في غاية الأهمية نذكرها على توالي:

عين سنة 1898م مديرا لمدرسة تلمسان، مكنه هذا المنصب من الاتصال بالمعلمين العرب فيها وتعلم اللغة العربية واللغة البربرية، ثم عين ناظرا للمدرسة العليا في الجزائر[3]، وأصبح مفتش عام للتعليم الابتدائي للسكان الأصليين في الجزائر سنة 1909م، وتميزت تقاريره بالدقة والبراعة وتعطي صورة حية للموظفين الخاضعين لسلطته، اقترب منه ليوتي لتوجيه التعليم في المغرب ففضل أن يرأس المدرسة الجديدة للغة العربية وآدابها في تونس سنة 1913م، حيث أصبح صديقا لحسن عبد الوهاب.

تم تعيينه بعد ذلك في بوردو ثم انتقل الى باريس اثناء الحرب حيث عين أولا في مدرسة الدراسات العليا الملحقة بالسوربون 1919م، ثم أستاذا للغة العربية في شمال إفريقيا بمدرسة اللغات الشرقية سنة 1920م وهو الكرسي الذي تركه في سنة 1927م لانتخابه في (Collége d Frnece) إذ كان حينها أستاذ الدراسات العربية بلا منازع في فرنسا.

[1] – ABDERRAHMANE Bouchéne et d'autres, Histoire de l'Algérie à la période coloniale, Alger, E'ditions la Découverte et E'ditions Barzakh, 2012, p: 398.

[2] – Alain Messaudi, op. cit, p: 238.

[3] – عبد الحميد صالح حمدان، المرجع السابق، ص: 199.

ترأس المعهد الجديد للدراسات الإسلامية بجامعة باريس ما بين سنة 1930- 1942م، وترأس لجنة تحكيم مسابقة التجمع العربي من 1923الى 1926م ثم ما بين سنة 1934- 1941م وكان عضوا في اللجنة التوجيهية لسياسية المسلمين التي أنشأها دارلان في ديسمبر 1942م، تولى رئاسة لجنة التطهير التي تم إنشاؤها في الجزائر العاصمة في أوت 1943م ثم استقال منها، وأجرى مسحا لغويا نهائيا في عام 1944- 1945م كجزء من المهمة العلمية المرسلة الى فزان أنهى حياته المهنية بتحديد الخطوات الأولى لمعهد الدراسات المتقدمة بتونس ما بين سنة 1945- 1946م[1].

3- مؤلفاته: إن اهتمامات وليام مارسيه، والدقة في أعماله وتنوع كتاباته جعلته يتميز عن أفراد جيله[2]، إذ قام بالعديد من التأليف وتراجم وألقى عدد لا يحصى من المحاضرات والدراسات، سنذكر أهمها:

قام في مطلع شبابه بترجمة "ديوان أوس بن حجر التميمي" الى الفرنسية، استنادا الى النص العربي[3]، كما نشر كتاب "التقريب والتيسير" للنووي، متنا وترجمة وشرحا (المجلة الآسيوية سنة 1900م) وصنف بمساعدة أخيه جورج مارسيه[4] "الأبنية العربية القديمة في تلمسان" سنة 1903م وترجم "جامع الأحاديث" للبخاري في أربعة أجزاء، وقد عاونه في الجزأين الأولين هوداس في باريس سنة 1902م وبمعاونة ديسبرمت مجموعة عن شمال إفريقيا سنة 1913م، ونشر بمعاونة الأستاذ عبد الرحمان غيجا: نصوصا عربية من تاكرونة تشتمل على اثنى عشرة قطعة بين حكاية وبين وصف ومحادثة، متنا وترجمة فرنسية باريس 1927م[5]، كما له دراسات ومحاضرات جمعت بعد وفاته في مجلد بعنوان: (Articles et Conferences) فيه مقدمة لأخه جورج ومنه عن حياته ومؤلفاته كتبها

---

[1]- Alain Messaudi, op. cit, p : 239 .

[2] - ABDERRAHMANE Bouchéne et d'autres, op. cit , p : 399 .

[3]- وليام وجورج مارسيه، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، تر: مراد بلعيد وأخرون. جزائر: شركة الأصالة للنشر والتوزيع، (ط1)، 2011م، ص: 11.

[4]- ينظر صورة جورج مارسيه في الملحق رقم:9.

[5]- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص: 274.

(A. Merlin) ونبذتان عن حياته بقلم كانار (Canard) وهتراس (Terrasse) وصدر هذا المجلد في سنة 1961م وهذا أهم ما فيه: "العبادة في الإسلام" وهي عبارة عن محاضرة عرضها في ستراسبورغ سنة 1923م و"أصول النثر الأدبي" سنة 1927م و"الإسلام والحياة المدنية" سنة 1928م و"اللغة العربية" مجلة التعليم العام ديسمبر 1930م و"قرن من الأبحاث في ماضي الجزائر الإسلامية" في الاحتفال المئوي بالجزائر سنة 1931م، و"الخطب" سنة 1936م، و"سلفستر دي ساسي: بوصفه مستشرقا مختصا في العربية" محاضر جلسات سنة 1838م في أكاديمية النقوش والآداب الجميلة، و"المعاجم العربية" محاضرة باللغة العربية ألقيت بالرباط سنة 1940م و"كيف تعرب شمالي أفريقية" محاضرة في 1939/01/26م و"المرأة في الف ليلة وليلة" محاضرة في باريس سنة 1946م، وكتاب "مستشرق عظيم: ديسلان" سنة 1956م واشترك مع هوداس في ترجمة "صحيح البخاري"[1] وله عن الدارسات الخاصة باللهجات العربية في الجزائر(دراسة مهداة الى نولدكه سنة 1906م)[2].

4- مواقفه حول الجزائر: كان للمستشرق وليام مارسيه مواقف متعددة فيما يتعلق بالجزائر وكان يبدي رأيه في كتابة تقارير يوجهها الى السلطات الفرنسية، ومن أبرز موافقه نذكر ما يلي: أكد في مقالاته الموجزة السياسة الاستعمارية التي شددت على العلاقة بين الإسلام والحياة الحضرية سنة 1928م[3]، و كذلك دفع عن سياسة الترويج الإصلاحية الإسلامية بدلا من دعم المرابطين "المتخلفين" وهم السكان الأصليون، وكان يؤيد الحفاظ على الأحوال الشخصية للمسلمين، ودافع عن السياسة الإسلامية المدرجة في اطار إمبراطوري، مما يسمح بالتعايش بين التقاليد الثقافية المختلفة، مع الأخذ بعين الاعتبار إن استعمار الجزائر هو عملية دائمة مقتنعا بأن اللغة الفرنسية تتكيف بشكل أفضل من العربية مع عملية التحديث الحتمية، كما كتب تقريرا عن الأسباب التي أدت الى نزوح

[1]- عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق، ص: 547.

[2]- مراد يحي، المرجع السابق، ص: 1003.

[3] - Alain Messaudi, op. cit, p: 239.

بعض وجهاء المسلمين من تلمسان في الخريف الماضي، اتهم فيه السلطات المحلية الفرنسية بعدم التعاطف معهم[1].

توفي ويليام بباريس سنة 1956م، وأكمل ابنه فيليب المسرد الموسوعي لخطاب تكرودا، ونشر ما بين سنة 1998– 1961م[2].

ثانيا : ليون جوتييه: (1862 – 1949م)

1– نشأته وتعلمه: ولد ليون جوتييه[3] (Léon Gouthier) في مدينة سطيف، شمال شرق الجزائر في 18 جانفي 1862م، شغل والده منصب قاض في محكمة سطيف المدنية وهو ما يسر لجوتييه ما لم يتيسر للكثير من أقرانه من حيث الاطلاع على "الكتب والسجلات"، لقد تأثر بشخصية والده فبحكم منصبه كان يلتزم الحياد والموضوعية في الحكم على الأمور، هذا ما جعله يتسم بالإنصاف في أعماله.

لم تكن بلدة سطيف لتلبي طموحات جوتييه العلمية والتعلمية، فانتقل وأسرته الى العاصمة، حيث الظروف العلمية مواتية له ليتلقى تعلمه الثانوي في ليسيه مدينة الجزائر درس فيها اللغة العربية وآدابها، والنحو التاريخ، حضارة الإسلام، التقى في المرحلة الثانوية بصديق عمره المصور، جول جيرفايس كورتيلمونت (Jules Gervais Courtellement) الذي ظل صديقه طول حياته[4].

وفي عام 1880م حصل على شهادة البكالوريا في عمر الثامنة عشر، ثم دخل المدرسة العليا للآدب في مدينة الجزائر هنا تأثرت ثقافة ليون جوتييه بنخبة من العلماء والمفكرين والأدباء وسافر الى ليون ليختم دراساته للحصول على الليسانس من كلية الآداب بجامعة ليون في سنة 1882م، ثم

[1] – ABDERRAHMANE Bouchéne, et d'autres, op. cit, p: 400.

[2] – وليام وجورج مارسيه، المصدر السابق، ص: 12.

[3] – ينظر صورة ليون جوتييه في الملحق رقم:10.

[4] – Alain Messaudi, op. cit, p: 179.

حصل على الأجريجاسيون في سنة 1886م عين مدرسا للفلسفة في مدرسة دول (Dole) الثانوية في سنة 1886م، ولأسباب صحية اعتزل التدريس فترة من الزمن ثم استأنف التدريس في ليسيه بلوا (Bloi) سنة 1891م[1].

وفي عام 1895م قام بعمل دورة "اوكتاف هوداس" في المدرسة الخاصة للغات الشرقية (Eslo) ثم تزوج وعاد الى الجزائر في عام 1895م، وعمل مدرسا في ليسيه مدينة بليدة (Blida) سنة 1895م[2] وفي السنة التالية أصبح مدرسا للآداب في مدرسة مدينة الجزائر وبعد أن حصل على دبلوم في اللغة العربية كلّف بتدريس الفلسفة في المدرسة العليا للآداب في مدينة الجزائر سنة 1899م[3] فكانت انطلاقة فارقة في تاريخ جوتييه الفكري والثقافي فقد شكلت تلك المدرسة العليا رافدا من أهم روافد ثقافية وتكوينه الفكري، حيث كانت تلك المدرسة تعيش زخما ثقافيا رفيع المستوى ذا روافد متعددة.

فقد مثلت المدرسة العليا الجزائرية الانطلاقة الفكرية للاستشراق الفرنسي هذا ما جعل المستشرقين يوفدون إليها للتعلم والتعليم[4].

حصل على الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة باريس برسالتين: الأولى "نظرية ابن رشد في العلاقة بين الدين والفلسفة" في باريس سنة 1909م والثانية تكميلية،" ابن طفيل، حياته ومؤلفاته" رسالة تكميلية للدكتوراه في الآداب مقدمة الى كلية الآداب بجماعة باريس سنة 1909م وكلتا الرسالتين مهمتين ومن المعالم الرئيسية في تأريخ الفلسفة الإسلامية في العصر الحديث[5].

[1]- عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق، ص: 195.
[2]- أنور محمود زناتي، ليون جوتييه، المرجع السابق، ص: 32.
[3]- عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق، ص: 195.
[4]- أنور محمود زناتي، ليون جوتييه، المرجع السابق، ص: 33.
[5]- عبد الحميد صالح حمدان، المرجع السابق، ص: 114.

2- تخصصه: تخصص جوتييه في تحقيق المخطوطات وترجمتها أيضا الى الفرنسية، كما تخصص في الدراسات الفكرية المتعلقة بالفلسفة الإسلامية.

أ- تخصصه في تحقيق المخطوطات: برع ليون جوتييه، في فن تحقيق المخطوطات، فكان واسع المعرفة بها والاطلاع على نسخها، ويسعى للحصول عليها ليخضعها للنقد الحساس، كان يطلع على فهارس المكتبات المصرية والعثمانية ...الخ[1].

التزم التحري والتقصي الدقيق للمخطوطة التي يقوم على تحقيقها، كما كان يقوم بإثبات التعليقات والشروح كالتعريف بالمواضيع والأشخاص المذكورين في النص، والتفسير العبارات الغامضة التي تحتاج الى بسط، وتمكن من مرحلة الإخراج والنشر، وهي الصورة الأخيرة للكتاب المحقق، فكان يلتزم بمقدمة للنص المحقق يتناول فيها ترجمة مؤلف المخطوطة والتعريف بموضوع الكتاب وتحليله مع اعتماده على التعقيبات والإحالات.

ب- تخصصه في الترجمة: شكلت الترجمة رافدا آخر من روافد تكوينه الفكري، إذ شكلت الترجمة حينها أدوار شتى تعددت بتعدد الاستخدامات والغايات، وكانت وسيلة لاطلاع الغرب على خصائص المجتمعات العربية الدينية، الثقافية...الخ، وتوفرت في ليون جوتيه مواهب وقدرات متعددة مكنته من أن يتفهم النص العربي ويستوعب معناه جيدا، وينقله بأمانة من العربية الى الفرنسية إذ كان يتقن لغة النص الأصلي فاستطاع أن يتفهم أبعاده.

وقد عرفت حركة الترجمة على يد جوتييه في تلك الفترة نشاطا واسعا في مختلف المجالات، حيث ساهم بشكل واضح في وصول ذخيرة مهمة من المخطوطات الإسلامية والعربية التي قام بترجمتها واعتمد عليها في أهم دراساته الاستشراقية.

[1]-أنور محمود الزناتي، ليون جوتييه، المرجع السابق، ص:34.

أخرج جوتيه على سبيل المثال نص "حي بن يقظان" فترجمه وحققه، وأحدثت تلك الترجمة والتحقيق هزة جمالية وفلسفية، حيث فجرت طاقة لا متناهية من الإيحاء بسردها[1] الإدهاشي وقصصها العجائبي، وكانت عملية فريدة[2]، وبذلك تكون ترجمة جوتيه قد أسهمت في إحداث انقلابات في الذوق والتصور والفهم واستعان بها كبار الكتاب، حيث نجحت ترجماته في الوصول الى عالم الشرق الفكري ونقله الى الغرب بكل ما فيه من تشويق وجمالية.

جـ- تخصصه في اللغة العربية: تعمق جوتيه في علوم اللغة العربية وآدابها وحتى لهجاتها، تعلمها وأتقنها وقد انعكس ذلك في أعماله وتحقيقاته، حيث ناقش جوتيه في كتاباته أمورا تخص العربية، وتحدث بإسهاب عن مميزات اللغة العربية الفصحى في كتبه وقال: "هذه اللغة بلغت من الكثرة والغنى مبلغا يثير الدهشة والعجب وذلك في مقدرة العرب حروف الزيادة التي تضاف الى الحروف الأصلية في أولها او حشوها أو أخرها فتكون كلمات جديدة من المادة نفسها..."، كما وقام بالرد على بعض المستشرقين الفرنسيين وفي أمور فنية تخص اللغة العربية.

ناقش "جوتييه" أيضا أمورا دقيقة لا يتعرض لها إلا المتمكن من نواصي اللغة العربية، ولا عجب أن نجده أيضا يصدر بعض ترجماته وتحقيقاته بعنوان "حول نقل الكلمات العربية" وكذلك فهرس المصطلحات والتعبيرات الفنية.

بالإضافة الى قيامه بالعديد من المهام الاستشراقية أهمها:

كالمشاركة في المؤتمرات الاستشراقية: أدت المؤتمرات دورا مهما في التكوين الفكري لليون جوتييه ومن أهم تلك المؤتمرات مؤتمر المستشرقين الرابع عشر الذي عقد في الجزائر سنة 1905م حيث شارك فيه ونشر ترجمة فرنسية لكتاب "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال" لابن رشيد

[1]- أنور محمود زناتي، ليون جوتييه، المرجع السابق، ص- ص: 34- 40.

[2]- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص: 239.

دون النص العربي مع بعض التعليقات، وفي مداخلته ذكر القراءات المختلفة والأخطاء المطبعية الموجودة في الطبعات التي نشرت قبل عام 1905م[1].

وقد انتهى المؤتمر بإصدار وقائع ودراسات مهمة تخص الجزائر ومنطقة المغرب العربي، ولنا أن نفكر مدى الزخم العلمي والفكري والثقافي الذي عاشه ليون جوتييه وهو وسط تلك النخبة الفكرية من أنحاء العالم كافة، وكيف تأثر بذلك المحيط الثقافي الواسع، فقد تلقى بذلك ثقافة وحصيلة تاريخية ولغوية وفلسفية عالية أصقلت تجاربه وانعكست على أعماله.

اتصاله بكثير من أعلام عصره وأدباءه المشاهير: احتك بالعديد من الأعلام وأخذ عنهم واستفاد من مخالطتهم، ومن ثم كانوا حافزا على توسيع مداركه وزيادة معارفه ومن أبرز هؤلاء المستشرق روني باصيه الذي كلفه في الدراسات العليا بدراسة الفلسفة، ونلاحظ تأثر جوتيه بهذا المستشرق من ناحية المنهج والتفكير والمثابرة على العلم.

ترعرعه على يد علماء الاستشراق: نشأ جوتيه وتكوَّن على يد نخبة من العلماء الذين كانوا يشكلون هيئة التدريس في مدرسة الآداب بالجزائر، وتركوا بصماتهم على مدرسة الاستشراق الفرنسي منهم: روني باصيه، هوداس، فانيان، إدموند ...الخ، وكان لدراساتهم أثر كبير في تغذية أسلوب جوتيه الفكري، وهذا النتاج العلمي كفل لجوتيه مكانا بارزا بين مفكري فلاسفة العالم .

مساهمته في فعاليات ثقافية واستشراقيه: في عام 1906م ساهم جوتيه في أنشطة ثقافية استشراقيه، خاصة عندما ظهرت مجلة العالم الإسلامي، كما اعيد تنظيم الكوليج دي فرانس وأنشئت فيه عدة كراسي للمجتمعات المستعمرة، وكان الاستشراق الفرنسي في الجزائر هو المغذي لذلك، بالإضافة الى اسهامه في لأنشطة الفكرية لمعهد الدراسات الشرقية، كما تتلمذ على يديه عدد من المفكرين من أمثال عبد الرحمن الحفاف، صاحب كتاب "منابع الحضارة العالمية وتمهيد لدراسة

[1]- أنور محمود زناتي، ليون جوتييه، المرجع السابق، ص- ص: 41- 46.

الإسلام وتاريخ الأبجدية منذ أقدم العصور"، وكان من المتخصصين في الفلسفة واهتم بدراسته الحضارات العالمية[1].

3- مؤلفاته: نشر حي "بن يقظان" لابن طفيل، متنا وترجمة فرنسية، فكانت الطبعة في الجزائر سنة 1900م، وبيروت سنة 1936م، وباريس سنة 1937م[2]، وترجم "الكشف في مناهج الأدلة" لابن رشيد في باريس سنة 1905م، وترجمة لابن الطفيل ومؤلفاته في باريس سنة 1909م، كما ترجم الفرق بين الدين والفلسفة لابن رشيد في كتبه: "فصل المقال" و"التهافت" و"فصل الخطاب" وهي الرسالة التي أعدها لنيل الدكتوراه في باريس سنة 1909م، ونشر "الدرة الفاخرة" للغزالي، وكانت قد طبعت في جنيف سنة 1878م، فقابلها على عدة مخطوطات في ليبزيج وبرلين وباريس وأكسفورد في 110 صفحات وألحق بها ترجمة فرنسية في 90 صفحة، وعلق أيضا عليها تعليقات إضافية، كما نشر فصل المقال في الجزائر سنة 1946م، وصنف كتابا بعنوان "المدخل الى دراسة الفلسفة الإسلامية وتفكير السامي والآري، والفلسفة الإغريقية، والدين الإسلامي" في باريس سنة 1923م[3]، ومن دراساته: دراسة الفلسفة الإسلامية نشرها في المجلة الأسيوية سنة 1901م، ومحاولة فلاسفة العرب إصلاح الفلك لبطليموس في القرن 18م سنة 1909م، ودراسة عن الحلاج نشرها في مجلة تاريخ الأديان سنة 1925م وحجة حمار بوريدان والفلاسفة العرب نشرها في منوعات روني باصيه سنة 1925م، وعلم الكلام عند المسلمين والنصارى نشرها في مجلة تاريخ الفلسفة سنة 1928م، والمدرستان الإسلامية والنصرانية نشرها في مجلة تاريخ الأديان سنة 1929م وفجر المدرسة العليا للآداب 50 سنة على كلية الآداب في الجزائر سنة 1932م[4].

نضيف على ما سبق ذكره أن ليون جوتييه ناقش قضايا فكرية عن العالم الإسلامي أبرزها:

[1]- أنور محمود زناتي، ليون جوتييه، المرجع السابق، ص- ص: 50- 52 .

[2]- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص: 239.

[3]- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص: 240.

[4]- مراد يحي، المرجع السابق، ص: 431.

مسألة التوفيق بين الدين والفلسفة: حيث قام جوتيه بتحليل دقيق لعناصر المشكلة التي اعترضت الفلاسفة الإسلاميين.

مَشْرِقية(Machriqiyya) ومُشْرِقية (Mochriqiyya): من المسائل التي ناقشها جوتييه في أعماله كتابة كلمة "مَشْرقية" -بفتح الميم- كمفهوم في كتابه الصادر عام 1990م بعد قراءته "حكمة المِشْرقية" في فقرتي ابن طفيل، إلا أنه تراجع عن موقفه وهذا يؤكد منهجه العلمي الرصين وقرأها بدوره بضم الميم "مُشْرقية" في كتابه عن "ابن طفيل"، حياته ومؤلفاته "سنة 1909م وفلسفة الإستشراق[1].

ثالثا: شارل فيرو(1829-1888م)

1- نشأته وتعلمه: اسمه لوران شارل فيرو[2] (Charles Féraud)، ولد في نيس في الخامس من فيفري 1829م وقد جاء الجزائر صغير السن[3]، بعد أن أكمل دراسته في كلية طولون، توظف بمركز الشرطة المدينة في شرشال كمفوض مساعد في ديسمبر سنة 1845م وهو لم يتجاوز السادسة عشرا، وعندما بلغ التاسعة عشر كان كاتبا في العاصمة بالإدارة المدنية (الحكومة العامة) ومترجما بها، ثم أصبح مترجما احتياطيا عسكريا من الدرجة الثانية في أوت 1850م، ثم عين كمترجم لقائد مقاطعة قسنطينة سنة 1854م وهو المنصب الذي احتفظ به لما يقرب من عشرين عاما حتى سنة 1872م[4]، وميدان الترجمة هو الذي قضى فيه كل حياته تقريبا، ولا ندري أين تعلم العربية، وربما كان ذلك على يد لويس برينييه الذي كان رئيسا لحلقة اللغة العربية في العاصمة.

[1]- أنور محمود زناتي، ليون جوتييه، المرجع السابق، ص- ص: 102- 110 .

[2]- ينظر صورة شارل فيرو في الملحق رقم:11.

[3]- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج6، ص: 76.

[4] - Alain Messoudi, op. cit, p: 169.

كان فيرو من بين المستشرقين الناشطين بدراسة وتدوين عادات وتقاليد وفلكلور الجزائري، فقد أدرك أهمية الدراسات الإثنوغرافية (وهي علم وصف الشعوب وتركز على التقاليد والعادات والأعراف والفلكلور و المعتقدات) لبقاء فرنسا مطولا بالجزائر، وكان فيرو من أبرز رواد هذه الدراسات[1].

أثناء سنواته الطويلة في إقليم قسنطينة جمع فيرو وثائق كثيرة حول تاريخ الإقليم ومدنه وأهله وأثاره، ونشر عنه في مجلتي (روكاي) التي كانت تصدر بقسنطينة، و(هيبون) التي كانت تصدر بعنابة، عند انتقاله الى العاصمة ساهم في الجمعية التاريخية التي كانت تصدر المجلة الإفريقية وقد تولى رئاستها بين سنة 1876م – 1880م، وخلال تلك الفترة كلفته الحكومة الفرنسية بمسؤوليات ديبلوماسية في تونس وطرابلس، وأثناء وجوده في طرابلس كتب حوليات هامة، وفي سنة 1884م عينته حكومته وزيرا مفوضا في طنجة، وبعد سنة رافق سفارة مغربية الى فرنسا، وهي السفارة التي رجعت الى المغرب عبر الجزائر سنة 1885م، وقد توفي فيرو في طنجة في ديسمبر سنة 1888م[2].

2– مؤلفاته: لشارل فيرو أثار علمية كثيرة، وكلها تقريبا قائمة على الترجمة من الوثائق الأهلية وتوظيفها لصالح الإدارة، وكان يعتمد على الرواية الشفوية كثيرا ويلجأ الى أعيان وشيوخ العلم والحكم للأخذ عنهم أنساب الأعراش والقبائل وأسماء العائلات وسير الأبطال والغزوات بما في ذلك الأساطير والخرافات من أشهر منشوراته "وصف مدن الشرق الجزائري" مثل بجاية وجيجل وتبسة وعنابة وذلك في شكل مونوغرافات (مؤلفات خاصة)، ومن مؤلفاته أيضا كتابه عن "قصر الحاج أحمد" الذي تحدث عنه حديث الحاقد وليس حديث الباحث المحايد.

يشير أبو قاسم سعد الله الى نقطة مهمة تخص شارل فيرو أنه كان يستغل طمع العلماء والشيوخ في الوظيفة وسوء أحوالهم المادية فيطلب الكتابة عن العائلات والمدن والأنساب، ثم يترجم ذلك

[1]– مُحَمَّد العربي عقون، الإثنوغرافيا الاستعمارية، شارل فيرو نموذجا، مجلة إنسانيات، الصادرة عن: مركز البحوث في أنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية وهرن (الجزائر)، أفريل– جوان 2005م، ع28، ص– ص: 55– 56.

[2]– أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ج6، ص: 77.

وينسبه لنفسه[1]، وعُرف شارل فيرو بالذاتية في كتاباته، إذ كان يوجه مؤلفاته الى المعمرين الفرنسيين بالجزائر[2]، حيث وظف علمه وفكره وعلاقاته لخدمة الإدارة الاستعمارية، وقدم خدمات جليلة للاستشراق الفرنسي[3].

المبحث الثالث: أهم المستشرقون في المجال الديني منذ 1880م

تفطن الاستعمار الفرنسي منذ دخوله إلى الجزائر، إلى مدى قوة الصلة بين الفرد الجزائري والدين الإسلامي، حيث أن كينونة كل أمة تركز أساسا على سلامة عقيدتها، فقد أولى المستشرقون الفرنسيون اهتماما بالشعب الجزائري ودينه، فصبوا جهدهم في البحث داخل مؤلفات العقيدة والفقه لكبار العلماء ومن أبرز هؤلاء المستشرقون ما يلي: ألفرد بيل، ليفي بروفنصال وبول كازانوفا.

أولا: ألفرد بيل (1873–1945م)

1– نشأته وتعليمه: ولد ألفرد ماري اكتاف بيل[4] (Alfred Marie Octave Bel) في 14 ماي 1873م، في مدينة سلان لي بان (Salins les Bains) الواقعة شرق فرنسا ودرس بها إلى أن حاز على شهادة البكالوريا العلمية في سن السابعة عشر من عمره .

وبدأ حياته المهنية معيدا بثانوية أكسير (Auxerre)، وبعد عام من ذلك انتقل إلى الجزائر وعمل معيدا بثانوية وهران، وفي نفس الوقت عمد إلى تعلم اللغة العربية[5]، وتخرج من المدرسة العليا للآداب

[1]– أبو قاسم سعد الله، التاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص– ص: 77– 78.

[2]– شارل فيرو، تاريخ جيجلي، تر: عبد الحميد سرحان. الجزائر: دار الخلدونية للنشر والتوزيع، (ط1)، 2013م، ص: 4.

[3]– أبو قاسم سعد الله التاريخ الجزائر الثقافي ، ج6، المرجع السابق، ص: 78.

[4]– ينظر صورة ألفرد بيل في الملحق رقم:12.

[5]– دحماني سليمان، المستشرق الفرنسي ألفرد بل مؤرخا وأنثروبولوجيا للدين الإسلامي في شمال إفريقيا، مجلة أنثربولوجية الأديان، الصادرة عن: مخبر أنثروبولوجية الأديان ومقارنتها جامعة تلمسان، الجزائر، مج17، ع2، 2021م، ص: 479.

بالجزائر العاصمة التي كان يديرها المستشرق الشهير روني باصيه، وبعد تخرجه منها أصبح مديرا لمدرسة تلمسان الشرعية الفرنسية[1].

كان مهتما كثيرا بالآداب، وكانت مسيرته العلمية بأكملها في شمال إفريقيا ولا سيما تلمسان، حيث أقام في تلمسان فترة طويلة تقريبا لعلها أخصب فترات إقامته في الشمال الإفريقي بعد إقامته في فاس بالمغرب، حيث كان له عدة أصدقاء في تلك المنطقة، بحيث تميز منذ البداية بعدم الخلط بين عمله على البحث العلمي الذي يقوم به وبين سياسة الفرنسية المتبعة، مما جعله لم يحظ بمناصب رفيعة لا هناك ولا في باريس، وبعد مدة من ذلك قرر التوجه مرة ثانية الى مدينة مكناس في 1921م، وذلك بسبب أن ابنه كان مقيما هناك (لوسيان) وكذلك من بدأه في تحرير المجلدين الثاني والثالث الذي كان ينوي أن يكمل بها كتابه "الدين الإسلامي في بلاد البربر"[2].

عيَّن وليام مارسيه ألفرد بل كبديل لرونيه باصيه، حيث رآه أنه أحسن بديل له في مدرسة تلمسان، إضافة إلى تكليفه من طرف هوبير ليونتي بمهمة إصلاح التعليم الإسلامي بفاس ومكناس، وكان هو المؤسس لمتحف مدينة فاس، إضافة إلى تأسيسه لنقابة النشاط السياحي لتلمسان (Syndicat d'initiative de Tourisme de Tlemcen)، وكان غرضه من وراء ذلك، الحفاظ على الصناعات التقليدية المحلية، و تكييفها مع السياحة الثقافية الغربية، بالإضافة إلى إصداره مسبقا سنة 1908م، دليلا مزودا بالصور والرسومات لتعريف السائح الأجنبي على تلمسان وعلى تعاليمها السياحية[3].

إضافة إلى تأسيسه لجمعية أصدقاء تلمسان القديمة في عام 1936م، ليتيح لفيدرالية الجمعيات العالمة لإفريقيا الشمالية وعقد مؤتمرها الثاني بتلمسان ما بين 14 و17 افريل من نفس العام.

---

[1]- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج6، ص: 52.

[2]- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في شمال إفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر: عبد الرحمن بدوي . بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط3)، 1987م، ص:7.

[3]-دحماني سليمان، المرجع السابق، ص:482.

2- من أهم إنجازاته: استطاع الفرد بل خلال حياته العلمية أن يؤلف اثني عشر كتابا، وعشرات المقالات، التي نشرت في المجالات الاستشراقية، كالمجلة الإفريقية والصحيفة الآسيوية، ومجلة تاريخ الأديان، ومجلة الدراسات الأثنوغرافية، والنشرة الأثرية التابعة لمتحف تلمسان، ونشرة جمعية الجغرافيا لوهران، إلى جانب دراسات أخرى موجزة نشرت في دائرة المعارف الإسلامية، والعديد من المشاركات في المؤتمرات العلمية، والعروض البيبليوغرافية[1].

وبدأ عمله العلمي بنشر بعض النصوص العربية التي لم يتم نشرها أو تحريرها وترجمتها بطريقة غير مرضية، كإصدار وترجمة كتب شعبية باللغة العربية شبه المبتذلة مأخوذة من قيم أحد السكان الأصليين، وتقديم معلومات عن لهجة منطقة تلمسان وعاداتها.

كما نشر مجلدا يزيد عن 400 صفحة بعنوان "تاريخ بني عبد الواد وملوك تلمسان حتى عهد أبو حمو موسى الثاني لأبو زكريا يحي"، يروي هذا السجل أعمال وإيماءات الملوك الأوائل لسلالة تلمسان التي تمكنت من خلال دعم الموحدين في البداية، من السيطرة على منطقة المغرب الأوسط بأكملها[2].

ونظرا لتخصص بشكل أكثر في الجانب الديني للمغرب الكبير، ركز على ثقافته الشعبية وتراثه المعماري والفني، في كل من تلمسان وفاس فأجرى دراسات كثيرة في مختلف المجالات كدراسة حول مواقع ومعالم الأثرية ومنها: مكتشفات أثرية في تلمسان، وحفريات أثرية في موقع مسجد أغادير العتيق وكذلك بني سنوس ومساجدهم (دراسة تاريخية أثرية) وملحوظة حول ثلاث أواني قديمة من النحاس المنقوش عثر عليها في فاس وكتابة جنائزية تلمسانية من القرن الخامس عشر ميلادي .

وكذلك اهتمامه بالنقوش فقام بفك رموزها والاستفادة منها في دراسة الأثار فكتب حولها (رسالة حول نقيشة رومانية من تلمسان، والنقوش العربية في فاس)، واهتمامه أيضا بالحرف الشعبية

[1]- دحماني سليمان، المرجع السابق، ص: 486.

[2] -Henri didier, Académie inscriptions et belles lettres comptes rendus des srances de l'année 1945. Paris, libraire – e'diteur, p: 82 .

والصناعات التقليدية كصناعة الصوف وزيت الزيتون وكذلك[1]، صناعة الخزف بفاس، إضافة إلى عنايته بالمخطوطات مثل تحقيقه وترجمته لكتاب "زهرة الأس في بناء مدينة فاس"، وبفضل هذا التوفر الهائل على دراسة الآثار الإسلامية في فاس وكّل اليه أمر تأسيس متحف الفنون فيها[2].

إضافة إلى كل هذه الإنجازات فقد تحصل أيضا على شهادة للدراسات العليا في التاريخ والجغرافيا وقام بإعداد بحث حول بحيرات الجزائر والشطوط حيث أنجز بمناسبة انعقاد المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين دراسة مطولة حول طقوس الاستمطار إبان الجفاف، وهي دراسة أساسية لاشتمالها على وصف دقيق لطقوس الاستمطار، وهو يرى أنها تضم العديد من أثار المعتقدات الاحيائية، حيث عرض الاحتفالات التي مارسها المسلمون في الجزائر منذ مطلع القرن العشرين، للاستمطار إبان الجفاف وتعود النماذج المقدمة والأحداث المعروفة في هذا الصدد إلى الملاحظة المباشرة التي أنجزها في منطقة وهران أو من المعطيات التي قصَّها عليها المسلمون من تفاصيل من هذه الحفلات وما يردّون من أهازيج، خلال تأديتهم لتلك الطقوس إضافة إلى طقوس تقديم الأضحية وزيارة الأضرحة وغيرهم[3]، وقد تعاون الفرد بل مع بعض الجزائريين لتكملة أبحاثه مثل تعاونه مع الغوثي بوعلي الذي كان المدرس الرئيسي في جامع تلمسان الأعظم لترجمة وتحقيق كتاب(بغية الرواد) ليحي بن خلدون، وهو في تاريخ بني عبد الواد، فنشر الأول من الجزء الثاني للكتاب سنة 1911م، وكان الجزء الأول قد نشره حوالي سنة 1903م، وقد اعتمد المحققان على عدة مخطوطات لذلك، وهكذا كان التعاون بين المستشرقين والجزائريين ولكن الفائدة كانت لصالح المستشرقين دائما.

[1]- دحماني سليمان، المرجع السابق، ص: 481.

[2]- ألفرد بل، المصدر السابق، ص: 7.

[3]- سمير آيت أومغاز، طقوس الاستعمار إبان الجفاف في الجزائر (نماذج من مطلع القرن 20م). مجلة الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، البحرين، ع41، 11ربيع 2018م، ص- ص: 102- 103.

وتوفي في 8 فبراير 1945م[1]، مخلفا وراءه العديد من دراسات والأبحاث خاصة من ناحية الجانب الديني للمغرب الكبير وأخص دراسته على منطقتين أساسيتين وهما تلمسان وفاس.

ثانيا: ليفي بروفنسال (1894م – 1956م)

1– نشأته وتعليمه: ولد ليفي بروفنسال[2] (Lévi Provençale) بالجزائر العاصمة سنة 1894م، وأنهى تعليمه الثانوي بقسنطينة، وبعد ذلك رجع إلى مسقط رأسه بالعاصمة، ثم إلتحق بكلية الآداب وتتلمذ على يد الأستاذ جيروم وكوركو بينو الذي حبباه إلى الاهتمام بالتاريخ ودراسة الآثار والخطوط المنقوشة إضافة إلى روني باصيه الذي شجعه على التعمُق في اللغة العربية والاعتناء بالبيبليوغرافية العربية.

وفي سنة 1913م أخذ شهادة ليسانس، وفي سنة 1919م انتدبه المارشال ليوطي للعمل في معهد الدراسات العليا المغربية[3]، وفي سنة 1920م عين أستاذا في معهد الدراسات المراكشية في الرباط، وراح يعد للحصول على رسالة دكتوراه وقد اهتم كثيرا بمراكش ولهجتها وما لبث أن اتسع حتى شمل اسبانيا الإسلامية[4]، وفي 1927م عينته كليّة الآداب الجزائرية أستاذا لتاريخ العرب والحضارة الإسلامية، فأخذ يقسّم وقته بين الرباط والجزائر، وفي سنة 1930م استعفى من إدارة معهد الرابط ليتفرغ للتدريس والتأليف وعين مديرا شرفيا له، وفي سنة 1938م دعته جامعة القاهرة كأستاذا زائرا وعينته في اللجنة المكلفة بتحقيق لأخيرة لإبن سام، وفي سنة 1945م عين أستاذا للغة العربية والحضارة الإسلامية بجامعة باريس، ووكيلا لمعهد الدراسات السامية في نفس الجامعة[5]، وأصبح له بذلك أهمية خاصة فقد وقف عمره على حضارة الأندلس والمغرب في مختلف جوانبها، وقدّم في هذا

[1]– أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج6، المرجع السابق، ص: 60.

[2]– ينظر صورة ليفي بروفنسال في الملحق رقم:13.

[3]– ليفي بروفنسال، مؤرخو الشرفاء، تر: عبد القادر الخلادي. الرباط: مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1977م، ص 9.

[4]– عبد الحميد صالح حمدان، المرجع السابق، ص: 187.

[5]– ليفي بروفنسال، المصدر السابق، ص: 10.

المجال عددا هائلا من الأبحاث والكتب والمقالات ونشر المخطوطات، وأعانه عليها أن المغرب الكبير في تلك الفترة من الزمن كان واقعا بأكمله في أيدي الاستعمار الفرنسي، فأتيح له أن يقتحم المكتبات العامة والخاصة، وأن يقع على مخطوطات لاتصل إليها يد غيره ولم يترك في هذا سبيلا إلا وسلكه ولا وسيلة إلا واستخدمها، كما خلف هنري باصيه في إدارة هيس بريس والمعهد العالي للدراسات المغربية على سواء في سنة 1926م[1]، واستطاع بذكائه الماكر أن يخفي مشاعر اليهودية بالرغم من تورطه في كثير من كتاباته في الإساءة إلى الإسلام والنفور من مجتمع المسلمين، مما حقق له ولأمثاله لمعانا وشهرة في مجتمعاتهم وبين قومهم.

كما أيد الثورة الجزائرية في سنواتها الأولى، وذلك على الرغم من وجهته الاستعمارية الفكرية والعسكرية، كما ظهر أيضا في تكذيب زملائه المستشرقين من أمثال دوزي وبلاثيوس وفليان في بعض الكتب التي كتبها، ومع كل هذا فإن السياسة الاستعمارية أظهرت أبعاده في كتابات المستشرقين الفرنسيين التاريخية مهما تظاهروا بالعلمانية والموضوعية، ونجد في ذلك أن بروفنسال كان يعكس ما توصل إليه المؤرخون الفرنسيون الاستعماريون للمغرب في تاريخه للأندلس، إضافة إلى ظهور أبعاده الاستعمارية في نظرية الصراع القبلي بين العرب والبربر باعتبار ذلك قوة اجتماعية أساسية في التاريخ، حيث كان تركيزه على البربرية خصوصا والقبلية عموما في السيطرة على الحياة الاجتماعية، وذلك ليوفر للفرنسيين مكان القوة والضعف عند المغربيين من ناحية، وبين المداخل الاستعمارية الهامة والمكنَّة للنفوذ الفرنسي في بلادهم من ناحية أخرى، إضافة إلى إهماله البعد الديني بكثرة انتشار الإسلام السريع والمبكر حين ذاك خاصة في الأندلس والمغرب العربي[2].

2- من أهم مؤلفاته: التكملة لتاريخ قلعة بني عباس نشرها في مجموعة جمعية الآثار بقسنطينة سنة 1913م، وقائمة بألقاب قبائلية جبلية شعبية نشرها في محفوظات البربر سنة 1917م[3]. وقام بإلقاء

[1]- ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، تر: أحمد الطاهر مكي، القاهرة: دار المعارف (ط3)، 1944م، ص: 4.

[2]- نذير حمدان، المرجع السابق، ص: 104.

[3]- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص: 294.

محاضرات بالغة الدقة في 30 أفريل 1938م، بعنوان (La civilisation arabe en Espgne ,vue génerale) ثم أعاد نشر هذه المحاضرات مرة ثانية في باريس عام 1948م، في نطاق سلسلة الدراسات التي كان يشرف على إصدارها تحت عنوان "إسلام أمس واليوم" (Islam d'heir et d'aujourdhui).

إضافة إلى المقال الذي كتبه في مجلة العهد المصري في مدريد العدد الأول منها، وصدر عام 1945م بعنوان "المذهب المالكي في الأندلس وإسهامات المذاهب المشرقية الأخرى" (Le Malikism andalou et les apportes doctrinaux l'orient)[1]، وقام بمجموعة رائعة من النقوش العربية لإسبانيا 1931، بالإضافة إلى جزء من كتالوج مخطوطات العرب الاسكوريال سنة 1928، والعديد من الأعمال الغير المنشورة منها المجلد الثالث من بيان ابن عذارى سنة 1930، و أطروحات حسبة السقاعي ملقة سنة 1931 و ابن عبدون وترجمة الإشبيلة[2].

إضافة إلى المزيد من الكتب الأخرى التي أشرف على تحقيقها أو نشرها أو حتى في تصحيحها مثل كتاب" أعمال الأعلام فيمن بويع قبل احتلال من ملوك الإسلام لابن الخطيب"، و"نبذة تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى"، ونص جديد في التاريخ المريني و"جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي"، وكتاب "نسب قريش لعبدالله بن مصعب بن الزبير" وغيرهم[3].

ونشر كتاب "تاريخ إسبانيا المسلمة" الجزء الأول من الفتح إلى السقوط خليفة قرطبة وقد ترجمه إلى الإسبانية إيميليو جارثيا جوميت ونشره في مجموعة تاريخ إسبانيا التي يشرف عليها رايمون ميندنث

[1]- ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، المصدر السابق، ص– ص: 5– 6.

[2]- G,cirol , E Mèrimée et d'autres , Bulletin hispanique , Annales de la faculté des lettres de Bordeaux , Swets et Zeitlinger n.v , Amsterdam , T 50, 1970 , p – p: 91 -92 .

[3]- ليفي بروفنسال، مؤرخو الشرفاء، المصدر السابق، ص: 12.

بيدال[1].وإسبانيا المسلمة في القرن العاشر الميلادي (النظم والحياة الاجتماعية سنة 1932م)، والوثيقة عن الحياة الحضرية والحرف بإشبيلية في القرن العاشر ميلادي وكذلك نظرة عامة عن الحضارة العربية بإسبانيا في القاهرة سنة 1938م[2]، وكتاب "الحضارة العربية في إسبانيا، وأنشأ مجلة أرابيكا (Arbica) في باريس، ليلتقي حولها المستشرقون والمختصون في الدراسات العربية (والمغربية والأندلسية).

أما فهرس المخطوطات والمطبوعات نذكر منها: وضع إسبانيا فهرسا للمخطوطات العربية في الإسكوريال ليكمل به الفهرس الذي سبق أن بدأه المستشرق الفرنسي درنبورج وظهرت تكملته في باريس سنة 1928م، ومن المخطوطات الهامة التي نشرها للأندلس كانت تتصل بأخبار المهدي ومُحَّد بن تومرن وغيرهم نشرها بعنوان وثائق لم تنتشر من قبل في تاريخ الموحدين[3]، إضافة إلى فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط (القسم الأول، باريس سنة 1921م)، وكذلك التقويم التاريخي لمطبوعات فاس بمعاونة الأستاذ (مُحَّد بن شنب الجزائر سنة 1922م)[4].

توفي ليفي بروفنسال في باريس في شهر مارس سنة 1956م، وكانت حياته كلها حركة دائبة منتجة ورحلات متواصلة للتنقيب والتحقيق أو للنشر والتأليف أو التدريس والتوجيه أو المشاركة في الندوات العلمية والمؤتمرات الاستشراقية.

ثالثا: كازانوفا (1826م ـ 1926م)

1– نشأته وتعلمه: بول كازانوفا (Paul Casanava) هو مستشرق وعالم آثار فرنسي ولد في الجزائر يوم 29 يونيو 1826م، ثم سافر إلى باريس سنة 1879م، وتعلم بمدرسة اللغات الشرقية،

[1]– نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص: 297.

[2]– ليفي بروفسال، مؤرخو الشرفاء، المصدر السابق، ص: 14.

[3]– ليفي بروفسال، الحضارة العربية في إسبانيا، المصدر السابق، ص: 8.

[4]– ليفي بروفسال، مؤرخو الشرفاء، المصدر السابق، ص: 16.

وحاضر في الكوليج دي فرانس والجامعة المصرية،[1] وكان قد سافر إلى مصر ثلاث مرات، وكانت كل محاضراته باللغة العربية، وقد عيّن أمينا لقسم النقود ثم مدرسا للعربية وآدابها بمعهد فرنسا سنة 1909م[2].

وكانت أخطر آراء كازانوفا هو اعتقاده ببشرية القرآن وأنه من تأليف الرسول وأن أسلوبه مختلف بين المكي والمدني بتأثيرات يهودية، فبدأ تشكيلة بالقرآن الكريم وأراد بذلك أن يبتر صلة الرسول ﷺ بالوحي الالهي ليربطه بالسيرة النبوية ربطا في ظلال الشكوك والشبهات على صحة النص القرآني وثبوته.

بحيث يقول كازانوفا: "بقي علينا نحن غير المسلمين حين ننظر إلى مُحَمَّد كرجل عبقري عادي أن نوضح لماذا أهمل العناية بمسألة لها هذه الأهمية الكبرى، فنعلن أن السبب في إهمال أمر الخلافة بسيط، وهو اعتقاده بأن نهابة العالم قريبة، وهي عقيدة مسيحية محضة"، وبذلك أعرض عن إجماع المسلمين لطعن في آيات القرآن[3] ، ويقول أن حقه كإنسان غير مسلم أن يشير إلى ما يقول أنها أخطاء مُحَمَّد، وذلك بطبعه حيث كان مسيحيا شديد الإيمان كثيرا بمسيحيته، وقد كان طه حسين معجبا أشَّد الإعجاب بكازانوفا ويظهر هذا في قوله عنه: "الأستاذ كازانوفا يفسر القرآن الكريم تفسيرا لغويا خالصا، فتمنيت لو أتيح لمناهجه أن تتجاوز باب الرواق العباسي بالأزهر ولو خلسة ليستطيع علماء الأزهر الشريف أن يدرسوا على طريقة جديدة، تصور القرآن الكريم من الوجهة اللغوية الخالصة على نحو مفيد حقا، فلولا كازانوفا ما فهمت القرآن"[4]، وكان من بين المستشرقين الغربيين اللذين تركوا شهادات، فقد أظهر الآيات الأولى الموحاة إليه، وجعل سياسته في توحيد القبائل العربية رغم الخرافات

[1]- بول كازانوفا، مُحَمَّد ونهاية العالم. تر: إبراهيم عوض. القاهرة: مكتبة الشيخ احمد منشية الصدر، 2018م، ص: 5.

[2]- عبد الحميد صالح حمدان، المرجع السابق، ص: 180.

[3]- نذير حمدان، المرجع السابق، ص: 93.

[4]- بول كازانوفا، المصدر السابق، ص: 6.

المتأصلة، وفي تمييز ما ينبغي الإبقاء عليه من تقاليدها القديمة كلها أدلة على أنه كان له في الأمور نظر سديد، حيث كان يرى الغاية ويسعى إليها بغريزة السياسي العاقل، ويوازيه النبي الصادق على سواء[1].

2- أهم مؤلفاته: درس نبذة عن قره قوش وزير صلاح الدين وحكايته وتاريخه سنة 1897م، وفي نشرة المعهد الفرنسي بالقاهرة، الأسماء القبطية في القاهرة وضواحيها مع خريطة بالألوان، ونص قبطي في القرن الثامن ميلادي ، ونص عربي سنة 1901م، وأساطير فلكية عربية سنة 1902م، والملحة في فحر الإسلام (مجلة تاريخ الأديان سنة 1910م)، وعلم الفلك في رسائل إخوان الصفاء سنة 1915م، وجوهرة هارون الرشيد سنة 1918م، والحروف العربية السخرية سنة 1921م، في مجلة الآسيوية.

ومن آثاره أيضا: كانت معظمها في منشورات المعهد الفرنسي بالقاهرة، كأواخر الفاطميين سنة، 1889م، والكأس السحرية في القصص العربي سنة 1891م، وتاريخ ووصف القلعة القاهرة تتمة مع ثلاثة ألواح، وهذا الجزء الأخير نال جائزة سنتور من مجمع الكتابات والآداب سنة 1894م[2]، وله عدة آثار أخرى من بينها: "مُحَمَّد ونهاية العالم" و"جوهرة هارون الرشيد" و "سر مذهب الفاطميين في مصر" و"ملاحظات حول رحلة سندباد البحري"[3] وكتابته لبحث "قلعة القاهرة"، وإضافة إلى ترجماته العديدة والتي نذكر منها:" كلام ابن خلدون عن البربر" و"فصول عن خطط المقريزي في وصف مصر"، وله أبحاث عن النقود الإسلامية وآلات الرصد عند العرب، ومكاييلهم وكذا موازينهم[4]، وأعاد نشر ترجمة دي سلان" لتاريخ ابن خلدون " مع تعليق وثبت للمراجع وفهرس عام، في خمسة أجزاء (باريس 1925م)[5].

[1]- أنور محمود الزناتي، زيارة جديدة للاستشراق. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، (ط1)، 2006م، ص: 205.
[2]- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص- ص : 220- 221.
[3]- بول كازانوفا، المصدر السابق، ص: 05.
[4]- عبد الحميد صالح حمدان، المرجع السابق، ص: 180.
[5]- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص: 220.

وأخيرا توفي بول كازانوفا في سنة 1926م، بالقاهرة بعمر 64سنة وترك بعد موته العديد من الأعمال كانت مرجعا للمستشرقين آخرين.

لقد خلف الاستشراق الفرنسي عدد من الرواد الذين اهتموا بحياة الشرق وكانت الجزائر محط أنظارها، حيث اهتموا بها في عدة جوانب مختلفة، فكل مستشرق ودراساته الخاصة، واهتموا بالتحقيق ودراسة المواضيع العلمية في الحضارة العربية، وترك المستشرقون الفرنسيون بصمتهم في معظم الدارسات التي قاموا بها حيث كانت مرجعا للعديد من الباحثين والعلماء.

تباين دور المستشرقين، وخدمتهم وجهودهم في اهتماماتهم باللغة والآدب والدين ومجتمع الجزائري بالأخص، فخلفوا عدة آثار عن ما يتعلق بهاته الجوانب وبالأخص المستشرقين الذين ولدوا في الجزائر، فكرسوا وقتهم وجهدهم في إعطاء دارسة استشراقية شاملة عنها ، وقد تستروا بقناع البحث العلمي من أجل العمل على نشر الثقافة الغربية في البلاد، ولاشك أن الكثير منهم كانوا يملكون منهجية علمية تعينهم على البحث، ولاريب في أن لدى بعضهم صبرا ودئبا في التحقيق والتمحيص وتتبع المسائل، وهذه السمات جعلتهم من أبرز الرواد المستشرقين.

الفصل الرابع

أهم مؤلفات المستشرقون الفرنسيون في الجزائر منذ 1880م.

المبحث الأول: أهم مؤلفات المستشرقون الفرنسيون في المجال الاجتماعي

المبحث الثاني: أهم مؤلفات المستشرقون الفرنسيون في المجال الثقافي

المبحث الثالث: أهم مؤلفات المستشرقون الفرنسيون في المجال الديني

لقد تعدّدت دراسات المستشرقين الفرنسيين في الجزائر، بحسب المجالات التي اعتنوا بها، حيث يمكن تقسيم البحوث التي كتبها المستشرقون إلى: التاريخ والثقافة، اللّغة، الآداب، الأديان، الفنون، المجتمع وغيرها، وتعتبر الدراسات الفرنسية مصدر لكثير من الغربيّن، لفهم الثقافة الإسلامية، بل تعدّى تأثيرها في السياسات اتجاه أمم الشرق، وكان هذا لصالح خدمة الغرب والاستعمار الفرنسي.

ويبلغ عدد المستشرقين المئات وقد يدخلون في الألوف، إلاّ أن هناك من ترك أثر في خدمة التراث العربي أعطت انطباعا هاما للباحثين والدارسين، فهناك من الأعلام من ترك بصمات واضحة من خلال المؤلّفات التي ألّفوها سواء في مجال الثقافة الشرقيّة، أو في مجال الدين الإسلامي أو حتى فيما يخص المجتمع، مثل دراسة إدموند دوتي الذي اهتم بدراسة المجتمع الجزائري من عادات وتقاليد، إضافة الى جورج ووليام مارسيه اللذان قاموا بإعطاء دراسات استشراقية عن الحياة الثقافية في الجزائر وغيرهم من المستشرقين الفرنسيين، الذين خلفوا مؤلفات قيّمة ساعدت الباحثين والغرب من جهة، ومن جهة أخرى ساعدت الاستعمار الفرنسي آنذاك، وكثيرا من الدراسات نجدها لا تتّسم بالموضوعية ولا الحياديّة بل فيها الحقد الدفين على الثقافة الإسلاميّة، لكن هذا لا يجعلنا نعمّ الحكم على الجميع فقد وجد من المستشرقين من يتسم في بحوثه بالموضوعيّة والجديّة، واتسموا في الاستقصاء في البحث عن الأجزاء الدقيقة للموضوع المبحوث ولو كان في ذلك صرف للعمر كله، وهناك من اتسم في تأليفاته بالصبر والنشاط وسعة اطلاعهم، وكان كبيرا في إخراج الكثير من كتب التراث ونشرها محقّقة مفهرسة مبوّبة.

المبحث الأول: أهم مؤلفات المستشرقون الفرنسيون في المجال الاجتماعي

قامت فئة من المستشرقين الفرنسيين بالبحث والتقصي في مختلف القضايا المتعلقة بالشرق، ومنذ أن وطأت قدم الاحتلال الفرنسي أرض الجزائر، أدركت فرنسا أنها لن تستطيع فرض سيطرتها وإحكام قبضتها عليها، إلا من خلال دراسة ثقافتهم ومظاهرها الفكريّة، فاستعانت بالمستشرقين الذين بدورهم قدّموا عدد من مؤلفات القيّمة عن الحياة الثقافية في الجزائر، واهتموا اهتماما كبيرا باللغة العربية،

وكانت أبحاثهم وأعمالهم في هذا المجال منظمة ومدروسة، وقد ساعدت الوجود الاستعماري آنذاك في الوصول إلى غايته، التي تمثلت في محاولة التعرف على طبيعة الشعب الجزائري من ناحيته اللّغوية والأدبية وغيرها.

أولا: دراسة كتاب "الصلحاء مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر"، لإدموند دوتي:

1- التعريف بالكتاب: جاء عنوان الكتاب في نسخته الأصلية "Les Marabouts notes sur L'Islâm maghribin" لـ "Edmond doutté"[1] نشر لأول مرة في باريس سنة 1900م من طرف دار النشر ERNEST Leroux éditeur[2].

يحتوي الكتاب على نسخة مترجمة تحت عنوان "الصلحاء مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر" ترجمه مُحَمَّد ناجي بن عمر، نشرته دار النشر "إفريقيا الشرق" بالمغرب سنة 2014م، بلغت عدد صفحاته 146صفحة[3].

وسنتطرق لدراسة الكتاب المترجم من قبل مُحَمَّد ناجي بن عمر.

فيما يخص محتويات الكتاب: فقد تم تقسيم الكتاب الى ستة فصول، ويضم كل فصل عدة عناوين فرعية، فالفصل الأول كان بعنوان كلمة الصلاح في الإسلام، وتحدث فيه عن كلمة الصلحاء في الإسلام المغاربي ومكانة دين الإسلام بالمغرب العربي وتوزيع وأصول الصلحاء.

[1]- ينظر: تعريف إدموند دوتي في الفصل الثالث بالمبحث الأول، ص:104.

[2]- Edmond doutté, Les Marabouts notes sur L'Islâm maghribin. Paris, ERNEST Leroux éditeur, 1900, p: 1.

[3]- إدموند دوتي، الصلحاء، المصدر السابق، ص: 1.

أما الفصل الثاني فكان بعنوان الصالح ووضعه الاعتباري في المجتمع، تحدث فيه عن المجتمع الذي يعيش فيه الصلحاء، وتقديسهم للصالح والخصائص المجالية للصلحاء وتأثيرهم على المجتمع، كاحترامهم أكثر من السلطان وأكثر من الرسول، وتحدث أيضا عن قبائل التي لا تحترم الصلاح.

وفي الفصل الثالث فأتى المؤلف بمدلولات كلمة صالح، أما الفصل الرابع كان بعنوان بمدلول كلمة شريف، والفصل الخامس بعنوان معنى كلمة صالح، والفصل الأخير فتحدث عن طائفة الصلحاء، وفي الأخير ذكر المؤلف خلاصة في عنصرين: الصلاح كوسيلة للحكم، وسياسة الاحتياط أو التحفظ[1].

2- محتوى الكتاب: لم يضع المؤلف إدموند دوتي مقدمة لكتابه بل تطرق مباشرة لوضع عناوين الفصول.

الفصل الأول كان بعنوان "**كلمة الصلاح في الإسلام**" أشار المؤلف إلى انتشار مسألة زيارة الأولياء وهو الأمر الذي لا يتطابق مع دين مُحَمَّد ﷺ، بحيث يقول دوتي: "أن الدين الإسلامي هو يتلخص في بساطته فلكي تكون مسلما ما عليك إلا النطق بالشهادة أن لا اله إلا الله وأن مُحَمَّد رسول الله"، وقد تطورت في ذلك مسألة زيارة الأولياء في اعتناق الإسلام وتقديس أشخاص معروفين بالتقوى والورع، وذلك يعود الى غياب الرابط القائم بينه وبين الله، وقد بسط جولد زهير ذلك بمسألة تأليه الشخص..."، ومسألة الصلحاء أثارت استغراب معظم الرحالة الذين زاروا المغرب، بمن فيهم أولئك الذين يسافرون من أجل تحصيل علوم خارجة على نطاق القضايا الدينية من انتشار ظاهرة زيارة الصلحاء، حيث كانوا يقدسون سيدي العربي الدرقاوي" وكان يحظى هذا الأخير بالتقديس الذي كان يحظى به كل الصلحاء في جميع الزوايا .[2]

وقد توزع الأولياء في مختلف المناطق كـ "تلمسان"، وحتى تونس وثنية، الجزيرة العربية في الجنوب الجزائري، وهران، وهي منتشرة في مختلف مناطق الوطن العربي والغربي ويرى دوتي أن عدد الصلحاء

[1]- ادموند دوتي، المصدر السابق ، ص- ص: 141- 144.

[2]- المصدر نفسه، ص- ص: 17- 20.

يزداد كلما اتجهنا الى الغرب، لقول المؤلف: "...وانطلق الصلحاء من عمق المغرب الأقصى لينتشروا في كل أنحاء شمال إفريقيا، وقد شكلوا أرومة من الصلحاء أسسوا أسرا بل وقبائل مزارية..." مثل حفدة سيدي أحمد بن يوسف دفين مليانة منتشرين في بتيوت (جنوب وهران) وأومال وغليزان، وتلمسان والمغرب، وأسرة سيدي الهواري المنتشرين من سوس إلى وهران[1].

والفصل الثاني فقد عنونه المؤلف بـ "**الصالح ووضعه الاعتباري في المجتمع**" وذكر فيه دوتي أن الصلحاء قد استمروا في تكاثرهم في المجتمع واعتبروهم بركة من الله، وكذا تميزهم بخصائص عن غيرهم من الناس فمثلا يمكنهم تنبأ بأسماء الوافدين دون رؤيتهم ومعرفة ماضيهم، واطلاع كل واحد عن مستقبله ومن هنا يبرز تأثيره الكبير في المجتمع، ويشير دوتي أن زيارة الصلحاء قد ازدهرت أكثر من ذي قبل، ولكنها تختلف من منطقة الى أخرى[2].

ومن هنا أصبح الصلحاء أكثر احتراما من السلطان، وأكثر احتراما من الرسول، لقول المؤلف: "إن المرء الذي لم يشاهد في المغرب الكبير صالحا من الصلحاء الكبار، وهو يجول في القبائل التي اشتهر فيها، لا يمكنه ان يصل إلى معرفة ويصل الى المدلول الحقيقي لعبارة تأليه الإنسان..." ، وقد وجدوا بكثرة في شوارع الجزائر العاصمة، حيث عندما يزورها أحد الصلحاء أو يقصد أماكنها الرئيسية كانوا يتسابقون لتقبيل برنوسه ويتوسلون لكي يأكل من طعامهم، ووصلوا لدرجة تقبيل آثار أقدامه إن كان راجلا من أجل أخذ بركته، وقد تفاجأ الرحالة غولف بالمهابة الغير العادية التي كان يحظى بها هذا الشريف، لذا قام في رحلته بتقمص شخصية الشريف، مقدما نفسه كأحد أبناء العائلة الوزانية، لأنه كان قد ورث حزام بندقية الشريف الوزاني الذي جعلته موضع تقديس حقيقي، فأقبل عليه الناس يأتونه بالمرضى لمعالجتهم و لأخذ بركته، حيث يرى دوتي هنا أنه كان ينظر الى الولي الصالح، على أنه كانت له قدرات خارقة ومصدر تلك القدرات هي من البركات الإلهية التي قدمت إليه[3].

[1]- إدموند دوتي، المصدر السابق، ص- ص : 21- 27.
[2]- المصدر نفسه، ص- ص: 25- 35.
[3]- المصدر نفسه، ص- ص: 35- 40.

ومن الممكن أن يرث الصالح دوره وراثة أبا عن جد، وفي بعض الأحيان، الصالح لا يكون من العائلة، ويصبح صالحا فقط بتمتعه بالنفوذ والسلطة، وليست كل القبائل تحترم الصلحاء فهناك بعضها لم يعط لهم أي أهمية لهم كما حدث عند بني ذوي بلال في جنوب المغرب[1].

الفصل الثاث عنونه ادموند دوتي **"بمدلولات كلمة صالح"**: تناول إدموند دوتي فيه عدة مدلولات لكلمة الصلاح، وأورد مدلوله الديني في الفرنسية المأخوذ حسب العلماء، من الكلمة اللاتنية religare، والعرب لا ينطقون مربوط وإنما: مُرابط أو مْرابط، وهذه الكلمة مرتبطة في الجزائر بمعنى غير القادر أو العاجز، وكلمة مربوط في الكتاب المغاربة أحيانا بمعنى مسبل أي المخصص، وصرح المؤلف في ذلك أن أصلهم مبثوثة في مرويات صاحب القرطاس وابن خلدون والبكري...إلخ، واتسعت بين الناس وأصبحت تعكس أنواع الأولياء والبلهاء والحمقى وكل من له معتقدات دينية.

إضافة الى عدد من المصطلحات الأخرى المرتبطة بمدلول الصلاح مثل وَلي التي تعني القريب من الله، ومولاي والتي تعني السيد أو المالك، وكلمة مجذوب ومعناها ذوي الإشراقات والحمقى والبهاليل، وكلمة سيدنا وسي وسيدي وغيرهم[2].

الفصل الرابع جاء بعنوان **"مدلول كلمة شريف"** حيث ذكر دوتي بقوله: "لقد ظهر العديد من الصلحاء الذين أسهموا في حركة النهضة الدينية خلال القرن 16" وازداد عددهم مع مرور الوقت، فبمجرد أن يحفظ أحد بعض الآيات القرآنية يعتبر من الشرفاء، وتم الاعتماد على الشريف كمقياس اجتماعي في المغرب، واجتمعت مجموعات كبرى تحت تأثير العامل الديني وغيرت أغلب القبائل أسمائها حيث ارتبطت بصالح ما وادعت الانتساب اليه، وهكذا ظهرت قبائل الشرفاء وعرفوا بتسميتهم "أولاد سيدي فلان"، مثل أولاد سيدي ابراهيم بوبكر، أما القبائل التي لم تستطع أن تتصل بشريف معروف اتخذت لها شريف معروف بأخلاقه الحميدة، أما بالنسبة للقبائل التي ليس لها ما

[1] _ إدموند دوتي، المصدر السابق، ص- ص: 41-45.

[2] _ المصدر نفسه، ص- ص: 49-66.

يميزها خارجيا، فليس لها أن تدعي شرفها[1]، وأعطى المؤلف مثال على ذلك لقوله: " ...ويعتبر عبد السلام بن مشيش من أكثر الأولياء احتراما في شمال المغرب لأن له جدود يحملون أسماء قبيلة معروفة بالنبل... "، وكان لكل مدينة أو قرية صالح خاص بها والصلحاء يختلفون فيما بينهم، وقد حددها إدموند دوتي حيث هناك صلحاء مجهولو الاسم، ذلك لعدم وجود أسماء في أضرحتهم، وهناك صلحاء يدَّعون النسب العربي، كالذي قام به البربر من أجل الرقي الى مرتبة الفئة الحاكمة والمهيمنة، وهناك صلحاء أتراك ورومان وصلحاء يهود ومسيحيين وكذا صلحاء كانوا قد تنبأوا للأهالي بالاحتلال الفرنسي للجزائر وقد تنبأ أحد صلحاء البليدة يدعى سيدي مُحَّد بن بورقعة قبل سنوات من الاحتلال باستبدال المستعمر من الأتراك على المسيحيين، وقد تنبأ أيضا سيدي الحاج من الأغواط بالاحتلال الفرنسي، وغيرهم من الصلحاء الموزعون من قبيلة الى أخرى[2].

والفصل الخامس عنونه بـ **"معنى كلمة صالح"** وصرح دوتي في هذا الفصل أن الصلحاء يختلفون فيما بينهم، فمنهم الصالح بالولادة وهم يعتلون المرتبة الأولى ويسمون "بأولاد سيدي أحمد الكبير صلحاء" ومعظمهم لا يختلطون بالقبائل ومعفون من معظم الأعمال الشاقة ومن الضرائب ولحروب، ولهم مكانة خاصة حيث يحترمونهم في كل مكان، وهناك صلحاء بالأعمال الصالحة اللذين يتميزون بصفات خارجية تميزهم ويثبتها الناس بعد وفاته، وصالح بالحمق حيث يقومون بتصرفات غريبة أطلق عليهم اسم البهاليل، وينظر إليهم بكثير من الاحترام الشعبي، وأخيرا الصالح بالتقشف، وقد وجد دوتي في بعض السلوكيات لبعض فئات الصلحاء (كالإدمان على الخمر والفسق والزواج من المسيحيات) وغيرها من السلوكيات التي لا تتناسب مع الأخلاق[3].

كما أشار دوتي في هذا الفصل عن دور المرأة في الصلاح، حيث ذكر أن هناك نساء صالحات مع الصلحاء، مثل "لالة خديجة" التي توجد في القبائل الكبرى في أعلى جرجرة في الجزائر، وكانت من

[1]- ادموند دوتي، المصدر السابق، ص- ص: 69- 74.
[2]- المصدر نفسه، ص- ص: 74- 92.
[3]- المصدر نفسه، ص- ص: 92- 107.

عائلة صلاح قوية وغنية، وكانت تنبؤاتها تتحقق مثل تنبؤها بالاحتلال الفرنسي واعتقالها، وكذلك "لالة عائشة" في غرب تونس المشهورة بكراماتها الثمانين وقصائدها المدحية التي تتلى على قبرها، وغيرهم من النساء الصالحات المنتشرين بكثرة، وقد أشار دوتي الى جانب مظلم لبعض الصالحات، كان لهم حياة مخالفة للزهد(الدعارة)، كما بين أن هناك نساء من أهالي الذين يرتدين لباس الرجال، مثل " لالة تركية تركب الخيل وتحرث الأرض وتلقب بلقب ذكوري (بن طريق)"[1].

والفصل السادس والأخير فعنونه بـ **"طائفة الصلحاء"** فذكر دوتي أن:"...الصلحاء يشكلون طائفة ذات حظوة وهم السلطة الوحيدة التي يحترمونها..."، وقد كان لكل صالح وظائف مختلفة، فمثلا هناك صلحاء يعملون على نشر العدالة بين القبائل، كحل النزاعات والصراعات بين القبائل الجزائرية والتونسية والعمل على نشر الأمان، ويعتبر دوتي أن هؤلاء هم المحسنين الحقيقين، وهناك صلحاء كانوا يقومون بمهمة البشارة أي يتسترون عن المسروقات التي يقوم بها اللصوص، بالإضافة الى ذكر لصوص صلحاء كسيدي عبيد بالنمامشة الذي كان قاطع طريق كبير، وغيرهم من الصلحاء الذين يختلفون من واحد لآخر فمنهم تجار ومنهم مزارعون وغيرهم[2].

وذكر إدموند دوتي، خلاصة في الأخير ختم بها كتابه.

3- تقييم الكتاب: يصنف هذا الكتاب من الكتب القيمة والتي استفاد منها الكثير من الباحثين، لما يحتويه من مورثات ثقافية ودينية ببلاد المغرب، ووجه اهتمامه لظاهرة الولاية والصلاح فيها، والتزم بقواعد البحث العلمي لا سيما في شقها الانثروبولوجي القائم على الوصف الدقيق والمثقف، فاتسم هذا الكتاب بمنهج نقدي يعكس وعيه بدقائق الأمور، وما تطرحه بالولاية والصلاح من قضايا وقد أسقط بعض النماذج المغاربية (الجزائر، تونس، المغرب الأقصى)[3].

[1]- ادموند دوتي، المصدر السابق، ص- ص: 108_120.

[2]- المصدر نفسه، ص- ص: 121_135.

[3]- مُحَمَّد ناجي بن عمر في ترجمته لـ: كتاب الصلحاء، نفسه، ص: 5.

وقد وقف على مختلف التفاصيل وحاول أن يتأملها بمنظوره الأنثوغرافي، وقدم صورة تقريبية عن الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية في بلدان المغرب العربي، واختار القرن 19م لملامسة الصلاح، ولقد كان موفقا في اختياره لبلاد المغرب لمعالجة ظاهرة الولاية والصلاح.

ويعتبر إدموند دوتي ذاتي في كتاباته، نظرا لرغبته في فهم ذهنية الإنسان المغاربي كغيره من انشغالات الدارسين السابقين، فهذا الكتاب كان وسيلة مساعدة فرنسا في التمهيد للتغلغل الاستعماري، لذا فهو موجه لهم بكثرة، واتسمت مادته العلمية بالتنوع من كتب وتراجم واستعان أيضا بكتب العديد من الرحلات مما يعكس جدية عمله وسعة اطلاعه.

تميز بقدرته على تحليل ومقارنة وغربلة من أفكار وأخبار وحكايات وغيرها من المعلومات ليقوم بجمعها بهدف استخلاص نتائج انثروبولوجية، وسوسيولوجية في فهم جوانب الحياة المغربية في لحظات وأزمنة محددة وفي أماكن جغرافية متنوعة[1].

ثانيا: دراسة كتاب "تاريخ انتفاضة 1871في الجزائر" للويس رين

تعددت وتنوعت كتابات المستشرق لويس رين[2] في المجال الثقافي والعسكري على حد سواء، ونحن بدورنا اطلعنا على احدى مؤلفاته في المجال الثقافي وقمنا بدراسته كالتالي:

1- تعريف بالكتاب: جاء عنوان الكتاب في نسخته الأصلية بـ:

" Histoire de l'insurrection de 1871 en Algèrie" من تأليف لويس رين "Louis Rinn" نشرته دار النشر Librairie Adolphe Jourdan سنة 1891م بالجزائر عدد صفحاته 669صفحة[3].

[1]- محمد ناجي بن عمر في ترجمته لـ:كتاب الصلحاء، نفسه، ص: 6.

[2]- ينظر: تعريف لويس رين في الفصل الثالث للمبحث الأول، ص: 112.

[3]- Louis Rinn, Histoire de L'insurrection de 1871 en Algérie, Alger, Librairie Adolphe Jourdan, 1891, p: 1.

وللكتاب نسخة جديدة بالفرنسية، يتضمن جزئيين نشرته دار النشر ART KANGE éditons سنة 2013م بالجزائر[1].

توجد للكتاب نسخة مترجمة عنوانه "تاريخ انتفاضة 1871م في الجزائر" للويس ريس، قام بترجمته مسعود حاج مسعود ونشرته دار الرائد للكتاب بالجزائر سنة 2013م، بلغت صفحات الكتاب حوالي 1007 صفحة[2].

أما فيما يتعلق بالمحتوى الذي تضمنه الكتاب والتقسيم الذي اعتمد عليه الكاتب كان كالآتي، تمهيد ثم مقدمة كانت عبارة عن عنوان شامل وهو المقراني قبل الانتفاضة ليتجزأ العنوان الى ثلاث عناصر كالتالي: المقراني قبل الاحتلال، الخليفة أحمد المقراني، باش أغا مُحَمَّد المقراني ثم وضع مخطط الأنساب للمقراني، قسم لويس رين الكتاب إلى بابين، الباب الأول بعنوان الثورات المحلية (14 جويلية 1870م- 8 أفريل 1871م)، تضمن هذا الباب سبع فصول قام بترتيبه على الشكل التالي، قبل الأزمة (14 جويلية-1 ديسمبر 1870م)، الأزمة (1ديسمبر 1870- 18جانفي 1871م)، أولى العمليات العدائية (18 جانفي 1871م- 10 مارس 1871م)، ثورة الباش أغا(18 فيفري- 14 مارس)، مجانة (15 مارس-12 أفريل)، نوغة (16 مارس-10 أفريل)، ثم خيبة أمل المقراني (17 مارس-6 أفريل). أما الباب الثاني فكان بعنوان الحركة الإخوانية (8 أفريل-5 ماي 1871م)، تضمن هذا الباب احدى عشر فصلا وهي بالترتيب على الشكل التالي: الجهاد (27 مارس-8 أفريل)، سطيف(13 أفريل-8 ماي)، بجاية(6 أفريل-8 ماي)، يسر ومتيجة (8 أفريل-5 ماي)، ذراع الميزان(8 أفريل-5 ماي)، فور ناسيونال(11 أفريل- 5ماي)، تيزي وزو(4

[1]-Louis Rinn, Histoire de L'insurrection de 1871 en Algérie, Alger, ART KANGE editons,V1, 2013, p: 1.

[2]- لويس رين، تاريخ انتفاضة سنة 1871م في الجزائر، تر: مسعود حاج مسعود. الجزائر: دار الرائد للنشر، 2013م، ص: 1.

أفريل- 7 ماي)، دلس(17 أفريل-5 ماي)، باليسترو(19 أفريل-25 أفريل)، باتنة(8 مارس-8 ماي)، وأخيرا موت الباش آغا(11 أفريل- 5 ماي)[1].

2- محتوى الكتاب: استهل لويس رين كتابه بتمهيد، يعرِف فيه انتفاضة سنة 1871م، أكد فيها أنها ثورة شعب ضد عدو متعصب، تمثلت في عصيان مدني قاده عدد من النبلاء، وواحد من وجهاء الأشراف، ثم تخليد هذه الثورة تحت اسم انتفاضة المقراني[2].

أما المقدمة فوضع فيها المؤلف عناوين تمثلت في "**آل المقراني قبل الاحتلال**" إذ تطرق الى نسبهم الذي يعود الى فاطمة ابنة الرسول ﷺ، وفي النصف الثاني من القرن الخامس عشر ميلادي، غاد أحد الأمراء واسمه عبد الرحمن جبل عياد للإقامة بنواحي البيبان وكانت البداية في ذلك الموقع ثم في الشواريخ قبل أن يستقر نهائيا في قلعة بني العباس، ثم خلفه من بعده ابنه الذي قام بتحصين الموقع واتخذها عاصمة لإمارته، وكان من أوائل خلفاء الإخوة بربروس وأصبح ملكا على منطقته وتوالت العائلة على الحكم[3].

أما العنوان الثاني الذي احتوته المقدمة كان "**الخليفة أحمد المقراني**" ذكر فيه أنه بعد ان سيطرت فرنسا على مدينة الجزائر، انتشرت فوضى عارمة واندلعت الانتفاضات في كل ناحية، حيث غادر أحمد باي مدينة الجزائر بعد سقوطها عائدا الى مقاطعة بقسنطينة، رفقة أحمد المقراني الذي كان وفيا للباي ويدعمه، إلا أن الأمر لم يدم على حاله بسبب نتيجة لبعض القرارات التي اتخذها أحمد باي ألغى فيها أحمد المقراني، مما دفعه على العزم على التحالف مع الفرنسيين والإذعان لهم، وبالفعل أقر بالحكومة الفرنسية بعد أن عينته في منصب القائد على أولاد عامر[4].

[1]- لويس رين، المصدر السابق، ص- ص: 191- 193.
[2]- المصدر نفسه، ص- ص: 5- 12.
[3]- المصدر نفسه، ص- ص: 13- 28.
[4]- المصدر نفسه، ص- ص: 29- 60.

والعنوان الثالث الذي تضمنته المقدمة هو "**الباش أغا مُحَّد المقراني**" ذكر فيه المؤلف أنه بعد وفاة الخليفة أحمد المقراني، تم إلغاء وظائف الخليفة، وبإلحاح من النقيب دارجان تم استحداث وظيفة الباش أغا، كلف بها مُحَّد المقراني، لكن هذه الوظيفة محدودة ومقيدة المهام مقارنة بسابقتها[1].

ليبدأ بعدها المؤلف في تقسيم الكتاب إلى بابين، وفيهم مجموعة من الفصول كالتالي:

أ- عنوان الباب الأول "الثورات المحلية" احتوى هذا الباب على سبعة فصول كانت كالتالي:

الفصل الأول عنونه "**قبل الأزمة**" تناول فيه أنه حين كانت فرنسا في حربها ضد بروسيا، تم نقل طلائع جيش افريقيا الى فرنسا للدعم، وهنا قام الباش أغا المقراني بإرسال خطاب حماسي الى الإمبراطور يعده فيه بوضع أموالهم ودمائهم في سبيل الدفاع عن فرنسا، ووقع الخطاب عشرين عضوا من الأهالي، ويلاحظ الكاتب أن من بين الموقعين سيقاتلون ضد فرنسا في وقت لاحق، في بداية الحرب سارت الأمور على ما يرام ولم تتزعزع نوايا أعيان الأهالي، إلا أنه في الرابع من سبتمبر انقلبت الاوضاع عندما أنذهل الأهالي لخبر وقوع الامبراطور أسير لدى البروسيين، مما أدى الى تصاعد التمرد وتضاعف التوتر بتحالف بعض الأعيان والأهالي مع أعوان بروسيون ضد فرنسا[2].

الفصل الثاني عنونه لويس بـ " **الأزمة**" ذكر أنه بعد صدور مراسيم 24 أكتوبر 1870م، تعكر مزاج باش أغا ،حيث رفض أن يعمل تحت سلطة نظام الحكم المدني، فرغم كل المحاولات لإقناع الباش أغا من عدم تخوفه إلا أنه رفض الاقتناع ،ومع ذلك تزايد اصدار سلسلة أخرى من المراسيم كانت تهدف فرنسا من ورائها تفادي وقوع انتفاضة، صدرت أولى هذه المراسيم بتاريخ 24 ديسمبر وكانت أشبه ما تكون بحالة طوارئ عامة ضد مكاتب العرب المعنية حيث نصت المادة الخامسة فيه ما يلي :"يترتب على أي حركة عصيان تنشب في دائرة من الدوائر الخاضعة للحكم العسكري، مثول

[1]- لويس رين، المصدر السابق، ص- ص: 61- 102.

[2]- المصدر نفسه، ص- ص: 105- 129.

الضابط المتصرف أمام المجلس الحربي ومعه رؤساء الأهالي الذين تحت سلطته ..."[1]، هذا ما دفع الباش أغا المقراني الى القيام بتصريح أدلى فيه: "...لن أخضع أبدا ليهودي فإذا وقع جزء من إقليمكم الترابي بين يدي يهودي فتلك نهاية كل شيء"[2] وأضحى تصريحه حديث العوام[3].

الفصل الثالث: عنونه المؤلف بـ **"أولى العمليات الحربية"**، تناول فيه ظهور حركة التمرد التي بدأت في التوسع بكل من مقاطعة قسنطينة والقبائل، فمن بين المتمردين ذكر أحمد بن صالح بن رزقي وهو القائد المفصول من طرف عشيرته، وكان يدعوا الى الانتفاضة علانية وهو يردد "فرنسا مهزومة ومنهكة القوى، وليس لها جيش...، سننتفض انها الفرصة الوحيدة"[4]، وبدأت المواجهات بين الطرفين في حين سعت السلطات الفرنسية للسيطرة على الوضع وحصر حيز حركة الانتفاضة، رغم النقص في عدد قواتها بالجزائر، فلجأت الى كسب الاعيان ورؤساء القبائل وجلبهم الى صفها من اجل استغلالهم والاعتماد عليهم[5].

الفصل الرابع كان بعنوان **"انتفاضة الباش أغا المقراني"**: تناول فيه المؤلف أن الباش أغا استمر في وفائه والتزاماته وتقديم يد المساعدة، إلا انه بدأت تلصق له اتهامات كاذبة في شخصه، بالإضافة الى الصعوبات التي أضحى يتخبط فيها والشكوك والريب الذي حام حوله، هذا ما دفعه الى التصريح قائلا "...أنا اتجرع مرارة الخيبات، فالفرنسيون ناكرون للجميل، وهم غير منصفين اتجاه عائلتي، ويريدون دفعي الى الانتفاضة..."[6]، لذلك قام الباش أغا بعدها بتقديم استقالته حيث تم توجيه طلب الاستقالة الى السيد روستان الذي انتظر بضعة ايام قبل أن يرد، يضيف لويس رين أن في تلك الأثناء جاء الشيخ بوعكاز بن عاشور لمقابلة الجنرال وقال له: "أخشى أن يرتكب المقراني حماقة فيتمرد،

[1]- لويس رين، المصدر السابق، ص: 137.
[2]- المصدر نفسه، ص: 163.
[3]- المصدر نفسه، ص- ص: 131- 163.
[4]- المصدر نفسه، ص: 169.
[5]- المصدر نفسه، ص- ص: 165- 197.
[6]- المصدر نفسه، ص: 202.

ستكون خدمة تقدم له بدلا من منعه"[1]، هذا ما دفع بروستان الى تأخير الإجابة على استقالته، كل هذا التأخر كان كافيا لاستفزاز الباش أغا، بل كانت بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس، وبمجرد استلام الباش أغا البرقية المزعجة التي تأمره بالانتظار حتى يتخذ قراره، فاستدعى أقاربه وأصدقائه ليعلن لهم بأن الوقت قد حان للتمرد على حكومة اليهود[2].

الفصل الخامس عنونه المؤلف بـ **"مجانة"**: أشار المؤلف أنه في 15 مارس، جاء أحد الاهالي الى النقيب أوليفي يخبره بأنه تم عقد اجتماع في مساء اليوم السابق بمجانة، حيث تقرر فيه الهجوم على المدينة صباح يوم 16 من شهر مارس، وعليه بدأت فرنسا تتخذ التدابير وتجند عساكرها للمواجهة، حيث دعمت قواتها ب 150 فارسا و 50 جندي مشاة قادمين من الحضنة، في حين بلغ عدد المتمردين ما يفوق 1500 رجل، وفي يوم 16 مارس اتخذ العساكر موقعهم في المعركة وبدأ تبادل اطلاق النار في العديد من الأيام دون انقطاع، وفي 12 أفريل تم السيطرة على المنطقة من طرف الفرنسيين[3].

الفصل السادس عنونه بـ **"نوغة"**: ذكر المؤلف أنه قد تعرضت القوات الفرنسية الى هجوم مباغت من طرف بومرزاق والمتمردين المنضمين الى صفه، إلا أن المتمردين تكبدوا خسائر في الأرواح دفعهم الى التخلي عن القتال[4].

الفصل السابع عنونه المؤلف بـ **"خيبة أمال المقراني"**: ذكر فيه المؤلف أن الباش أغا تعرض لخيبة أمل، إذ كان يتوقع أن يقف حذوه العديد من الحلفاء، سواء من رؤساء الأهالي الساخطين أو من بين السكان الذين من السهل تعبئتهم واستدراجهم لنهب الضياع المعزولة والقرى المفتوحة، إلا أنه لم يتلقى منهم سوى الوعود الشفهية الكاذبة حيث قامت عائلة بن قانة والتي كانت تربطها علاقة

[1]- لويس رين، المصدر السابق، ص: 212.
[2]- المصدر نفسه، ص- ص: 199- 217.
[3]- المصدر نفسه، ص- ص: 219- 241.
[4]- المصدر نفسه، ص- ص: 243- 259.

صداقة قوية مع آل المقراني، بإرسال رسالة الى الجنرال أكدت له فيها أنهم مستمرون في خدمة الحكومة الفرنسية وسيبقون خاضعين لها خضوعا مطلقا، إضافة على هذا عائلة بن قانة، أرسل كذلك قايد صحاري بسكرة مُحَّد بن هني بوضياف رسالة الى الحكومة الفرنسية، أكد فيها أنه تحت تصرفهم هو وأولاده، كل هذا جعل المقراني في وضع لا يحمد عليه أمام القوات الفرنسية[1].

ب- الباب الثاني عنونه بـ "الحركة الإخوانية": احتوى هذا الباب على احدى عشرا فصلا مرتبين ترتيبا زمنيا تحدث في كل فصل عن الجهاد بكل منطقة، فكان أول عنوان:

الفصل الأول عنونه بـ "**الجهاد**": أشار فيه الى أن الهدف الرئيسي للباش أغا المقراني هو الحد من نفوذ سمعة أولاد عبد السلام المقراني وتشويهها وجعلهم محل شبهات في أعين الفرنسيين، ولذلك تعين عليه إيجاد وسيط قادر على فرض ارادته على أولاد عبد السلام، هذا الوسيط تمثل في شخصية دينية وهو شيخ الزاوية الرحمانية الشيخ الحداد، لكن الشيخ إثر تقدمه في السن قد أوهن عزيمته من جعل أولاده يتحكمون في مقاليد الأمور، إذ أعلن الشيخ الحداد أمام الملأ أن ولديه هما خليفتاه، وبتحفيز من الباش أغا المقراني له قام وخطب على الناس يحثهم على الجهاد صارخا فيهم" سيكون من اليسير إلقاء الفرنسيين في البحر بعون الله ونبيه[2]"، وفور الإعلان عن الشروع للجهاد توالت الأحداث بوتيرة متسارعة من أجل التجهيز والاستعداد وقد استغرق الأمر قرابة تسعة أشهر[3].

الفصل الثاني عنونه المؤلف بـ "**سطيف**": تناول فيه المؤلف أنه عندما تأكد الباش أغا من دخول التحالف المبرم مع الشيخ الحداد حيز التنفيذ، غادر مخيمه المحصن للعودة الى منطقته، وبالفعل أحدث اعلان الجهاد وضعية جديدة لم يُشهد مثلها من قبل، ففي ضواحي سطيف على الأخص، أضاف لويس الى أن أعمال النهب تضاعفت بصورة مقلقة في ليلة 15 و 16 أفريل بمزرعة السيد زيان بن أحمد في العلمة من طرف عصابة كثيرة العدد من أولاد طبين ولعرابة وريغة، كما قاموا أيضا بمحاصرة

[1]- لويس رين، المصدر السابق، ص- ص: 261- 278.

[2]- المصدر نفسه، ص: 287.

[3]- المصدر السابق، ص- ص: 281-292.

مزرعة قلال ومهاجمتها مع الفجر، وقد أثارت هذه الأحداث حالة ذعر شديدة في صفوف المستوطنين حيث قال:" اثارت هذه الحادثة ذعر شديد ففي سطيف وجه المستوطنون أصابع الاتهام الى القايد المسن مُحَمَّد الصغير بن الشيخ سعد..."[1] وهذا ما دفع بالقوات الفرنسية للتدخل بشدة حيث تواجهت ضد المتمردين في العديد من المعارك من أبرزها: معركة عن مدخل أم الريسان (16 أفريل) ومعركة رأس الوادي (20 أفريل)، معركة مغريس (23 أفريل) ومعركة بل تافات (30 أفريل) كانت الغلبة فيها للقوات الفرنسية[2].

الفصل الثالث عنونه المؤلف بـ **"بجاية"**: أشار المؤلف أن بن علي شريف توقع بأن تستولي عليه وحدات المتمردين، لذلك طلب الاعانة من القوات الفرنسية بعد أن استولت المخاوف عليه وعلى أهله، وطلبه للحماية والمساعدة كان من بجاية، فجاء الرد عليه كما يلي: "إذا لم تكن في مأمن، متعال الى المدينة..."[3]، وفي هذه الأثناء تم إجلاء جميع سكان المنشآت الأوروبية الى الجهة الغربية وبدأ الأهالي الموالون لفرنسا يتوافدون للاحتماء بالمدفع، إلا أن المتمردين لم يلتزموا موقف المتفرج بل استمروا في أعمال النهب والحرق، ما أدى الى تواجه الطرفين وتبادلا إطلاق النار واستمر الوضع على هذا الحال حتى يوم 8 ماي، حين وصلت تعزيزات من الجزائر فأصبح في مقدور القوات الفرنسية القيام بعدد من الغارات المباغتة[4].

الفصل الرابع عنونه المؤلف بـ **"يسر وسهل متيجة"**: تناول فيه المؤلف أنه في زمن الحكم التركي، كانت سهول متيجة مغطاة بشبكة من الزوايا التابعة للمرابطين، فلا عجب في أن يصبح جميع الخماسين أثناء الحكم الفرنسي خدم لدى المستوطنين في سهل متيجة حسبه، ولقد مشهم الذل والمهانة جميعا فكلما توفي رئيس عائلة إلا وتراجعت المرتبة الشرفية لأولاده، كل هذه الأسباب أدت

[1]- لويس رين، المصدر السابق، ص: 297.
[2]- المصدر نفسه، ص- ص: 293- 318.
[3]- المصدر نفسه، ص: 326.
[4]- المصدر نفسه، ص- ص: 319- 339.

إلى أن ينجروا وراء تيار الانتفاضة، أكد المؤلف أن نفس الأوضاع كانت في منطقة يسر، على بعد كيلومترات فقط من عديد القرى ومراكز الاستيطان في سهل متيجة الشرقي، بينما كانت منطقة القبائل برمتها من الجهة الشرقية في حالة تمرد، وفي يوم 18 أفريل بدأت الاعتداءات وأعمال النهب في عدد من المواقع في وقت واحد واستمرت لمدة شهر على التوالي، وفي 3 ماي جاء عدة ألاف من المتمردين لمهاجمة المعسكر فخرجت القوات لصدهم بعنف، وطردتهم الى غاية موقع تخييمهم واستطاعت القوات الفرنسية بذلك تحقيق انتصار على المتمردين[1].

الفصل الخامس عنونه المؤلف بـ "**ذراع الميزان** " تناول فيه المؤلف أن الوضع هادئا إلى حد ما في مستهل شهر أفريل، رغم أن الأهالي فيها كانوا يتسلحون على حسب ما جرت عليه العادة في المناطق الأخرى، إلا أنه ذاع خبر اعلان الجهاد في 9 أفريل حيث قاموا بتخريب مصنع الزيت في بوغني وهو ما جعل الحكومة الفرنسية تحقق انتصار ضد المتمردين[2].

الفصل السادس عنونه المؤلف بـ "**فورناسيونال**": ذكر المؤلف أنه في دائرة "فورناسيونال" كان أتباع الزاوية الرحمانية لهم عدد كبير من الإخوان، إذ أن هذه الناحية من البلاد عرفت كيف تحتفظ منذ زمن على استقلالها، فبالرغم من الطقوس التعبدية التي يفرضها عليهم أنساب الطريقة الرحمانية، إلا أنها لم تضايقهم وأصبحت كل دائرة فورناسيونال من أتباع الطريقة الرحمانية، ومن جهة أخرى كان الشيخ الحداد يعظ الناس ويحثهم على السلم والطاعة، وفي 11 أفريل 1871م جاء سي مُحَمَّد بن الشيخ الحداد الى سوق ايجر، حيث قرأ البيان السياسي الماهر الذي جاء فيه على لسان والده :"بعد ان ابتلانا الله بالضعف ها هو قد حان الوقت لنوحد صفوفنا ونستعد للقتال...[3]"، فلما فرغ من قراءة البيان السياسي وافق الناس بالإجماع على الانخراط في الجهاد، إذ تحرك القوم جماعيا الى قبيلة

[1]- لويس رين، المصدر السابق، ص- ص: 341- 370.

[2]- المصدر نفسه، ص- ص: 371- 385.

[3]- المصدر نفسه، ص: 389.

آيت بو يوسف والتقى بالطرفان في مواجهة يوم 17 أفريل واستمرت المعارك والمواجهات، حقق فيها المتمردون تقدما وتفوق[1].

الفصل السابع عنونه المؤلف بـ **"تيزي وزو"** تناول فيه أنه مثلما انتشرت الدعوة الى الجهاد في المناطق التي سبق ذكرها، كذلك انتشر في هاتين المنطقتين، فبالرغم من أن منطقة تيزي وزو أقل تجانس مقارنة بغيرهم من السكان، ففي المناطق الجبيلة احتفظ القبائل بذكرى استقلالهم في الماضي إلا ان بقية المناطق قاموا بالخضوع لحكم فرنسا من بينهم شخصيات لها كلمة ونفوذ على السكان مثل: السيدة خديجة بنت بلكانون وغيرهم...، وحسب المؤلف فإن الشخص الذي بدأ في تحريض أهالي المنطقة على الانتفاضة منذ 20 أفريل، هو مقدم الزاوية مُحَّد وعلي أوقاضي من بوهينون، وكان لهذا الأخير نفوذ كبير في منطقة بني عيسى الجبلية حيث قال:" كان مُحَّد وعلي أوقاضي داعية متحمسا وذا مقدرة على تجنيد الأتباع وكان خطيبا بليغا علاوة على عن كونه شخصا محبوبا ومحترما لدى سكان المنطقة..."[2] وهذا ما ساعده على ضم العديد من المتمردين الى الجهاد، تواجه الطرفان في القتال واستمر الى غاية انتشار خبر وفاة الباش أغا، فرجع المتمردون وأعلنوا الانسحاب[3].

الفصل الثامن عنونه المؤلف بـ **"دلس"** ذكر مؤلف أنه أرست باخرة يوم 22 أفريل في مرفأ دلس على متنها الدرك الوطني، في الجهة المقابلة كان أبناء القبائل يتوافدون للتموقع في ضواحي ناحية الضيعة وبمجرد أن ظهرت طلائع المتمردين بدأ الدرك بإطلاق النيران الكثيفة، لتقوم السفينة المقبلة لتصب وابلا من القذائف صوب المهاجمين تسببت بخسائر فادحة في صفوف المتمردين[4].

الفصل التاسع عنوانه المؤلف بـ **"باليسترو"** تناول فيه أنه في يوم 19 أفريل، توافد الناس بأعداد كبيرة وبصورة استثنائية سوق آيت خلفون، استجابة لدعوة مقدسي الزاوية، وخلال هذا الاجتماع

[1] – لويس رين، المصدر السابق، ص- ص: 387- 399.
[2] – المصدر نفسه، ص:408.
[3] – المصدر نفسه، ص- ص: 401- 421.
[4] – المصدر نفسه، ص- ص: 423- 440.

ضرب موعد في الليلة نفسها بأن يحتشدوا بمدينة باليسترو ليقوموا بالمهاجمة، وفي يوم 20 أفريل على الساعة السادسة صباحا، حيث ذهب عدد من أطفال المستوطنين لإحضار علف الدواب المكدس على مقربة من القرية رجعوا مسرعين ليخبروا ذويهم بأنهم شاهدوا أكوام التبن تلتهمها النيران، وأنهم سمعوا أزيز الرصاص يصم الأذان، وذلك ما حصل فعلا، فبينما تموقع رئيس البلدية ورئيس الجندرمة في مقر الثكنة من أجل اتخاذ كافة الترتيبات حول برجه، شوهدت راية قبة بابا علي ترتفع وترفرف في السماء لتكون منطلق للمواجهة التي استمرت الى غاية 28 أفريل، حقق فيها المتمردون نتائج جاهزة وخسائر للقوات الفرنسية[1].

الفصل العاشر عنونه المؤلف بـ **"باتنة"** ذكر المؤلف أن رئيس مكتب العرب علم أن هجمات توشك أن تقع في وادي شعبة، فبادر بإيفاد مرسول الى فرقة على مقربة من باتنة يدعوها للدخول على وجه السرعة الى باتنة، إلا أن الوقت كان قد فات فعندما غادرت التشكيلة في حدود منتصف الليل ووصلت الى ... شاهدت وهجا شديدا في ناحية الورشة، ذلك أن مقدم الزاوية مُحَّد الصديق عرض على أبناء قبيلته الاختيار بين الانضمام فورا الى وحدات الجهاد أو بين رؤية منازلهم تحترق في تلك الليلة ذاتها، لذلك انضم كل السكان الى الجهاد ووقعت مواجهة بين الثوار والقوات الفرنسية، في معركة منحدر المناجم أو النبع الروماني في 25 أفريل ومعركة جبل بوعريف في 3 ماي، أفضت الى استسلام القبائل المتمردة[2].

الفصل الحادي عشر عنونه بـ **"موت الباش أغا"** ذكر فيه المؤلف أنه في خضم معركة وادي السوفلات التي كانت يوم 4 ماي، كان الباش أغا ضمن مجموعة من المجاهدين وقد ألح عليه أصحابه بأن يرتدي برنوسا رمادي اللون لكي يصعب على على العساكر الفرنسيين تميزه عن غيره، ولكي لايتمكنوا من تحديد موقعه من خلال ملابسه البيضاء، نزل على ظهر فرسه لأداء الصلاة، وعند الانتهاء بقي جامدا لا يتحرك، وفجأة أصابته رصاصة في جبهته، حيث قال: "... فأخذ يردد

[1]- لويس رين، المصدر السابق، ص- ص: 441- 459.

[2]- المصدر نفسه، ص- ص: 461- 498.

الشهادة ثم سقط ساجدا وجبهته تلامس الأرض..."[1]، وفي المكان الذي توفى فيه وضع نصب تذكاري[2].

3- تقييم الكتاب: يعتبر كتاب "تاريخ انتفاضة 1871م بالجزائر" الذي صدر في عام 1891م من أهم الكتب عن المقاومة من حيث الشمول وتتبع الأحداث وقد اعتبر أن ثورة الحداد وإخوانه في 8 أفريل هي أهم وأخطر حدث في هذه الثورة، لأن إعلان الحداد للجهاد هو الذي دفع قسما كبيرا من سكان جرجرة والبابور وحوض الصومام إليها.

يعترف رين بأن المقاومة كانت عنيفة، فقد جرت عدة معارك الا أن هناك الكثير من المغالطات التاريخية سعيا الى الحط من قيمة هذه الثورة بقيادة مُحَمَّد المقراني

فهذا الكتاب ليس تأليف في تاريخ الجزائر ولا دراسة عسكرية، بل دراسة لتاريخ انتفاضة أهلية كان لها صدى كبير، تطرق المؤلف فيها الى قضايا تهم الفرنسيين فقط، ولكن من زاوية أثارها المباشرة على الأهالي وهنا يظهر البعد الاستشراقي للمؤلف، حيث ركز جل اهتمامه على التعريف بالأهالي دون غيرهم، فأبرز مواقف الأفراد ومساراتهم الشخصية بالاعتماد على نشرة لبعض الوثائق التي لم تكن معروفة أو لم يسبق نشرها من قبل.

لم يتحفظ المؤلف في ذكر الكثير من التفاصيل التوضيحية، كلما بدت له مفيدة لإدراك وتقدير الأسباب الرئيسية أو الدوافع العميقة التي دفعت قادة الأهالي الى التمرد، أورد كذلك لويس رين جملة من التفاصيل الغير معروفة عن والد الباش أغا وعن تمرده سنة 1864 في منطقة الحضنة[3].

[1]- لويس رين، المصدر السابق، ص: 512.

[2]- المصدر نفسه، ص- ص: 499- 513.

[3]- عبد القادر صحراوي، مقاومة المقراني والحداد من خلال كتابات لويس رين في ضوء المجلة الإفريقية، مجلة الحوار المتوسطي، الصادرة عن: جامعة جيلالي يابس سيدي بلعباس، الجزائر، مج7، ع1، 2016م، ص- ص: 274- 276.

إن منهج لويس رين لا يختلف عن الكتاب الفرنسيين العسكريين حيث ذهب الى نفس المنحى من أن القوى الاستعمارية بما فيها فرنسا زعمت إدخال الحضارة الحديثة للجزائر حسب ادعائهم، ثم نجده يعمق دراساته على الحركات الدينية التي ساهمت حسب رأيه في تعبئة الأهالي ضد سياسة الفرنسية وهذا من طرف رجال الدين.

وجب على أي باحث جزائري اعادة النظر في مثل هذه المصادر ومراجعتها، لأنها وضعت المقاومة وزعمائها في اطارها الغير الصحيح[1]، وإذ أن لويس رين كان ذاتيا في كتاباته وظهر جليا في المصطلحات التي اعتمد عليها مثل :متمردون، أصدقاؤنا الذين يريدون بقاء فرنسا بالجزائر.

المبحث الثاني: أهم مؤلفات المستشرقين في المجال الثقافي

اهتم المستشرقون الفرنسيون بالمجال الثقافي في جزائر، لما له من أهمية تخدم الفرنسيين في مشروعهم الاستعماري، حيث كثفوا دراساتهم وابحاثهم في هذا المجال خاصة التراث الجزائري العربي الإسلامي. فقاموا بكتابة مؤلفات في هذا المجال مثل كتاب لويليام وجورج مارسيه تحت عنوان "المعالم الاثرية العربية في تلمسان" وكتاب لشارل فيرو تحت عنوان "تاريخ جيجلي".

أولا: دراسة كتاب المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان LES MONUMENTS ARABES DE TLEMCEN" لوليام وجورج مارسيه.

عُرف المستشرق وليام مارسيه بشغفه الكبير للمعالم والأثار العربية، وهو الأمر الذي جعله يتجول في الجزائر ويدون كل معلومة تتعلق بالتراث والثقافة العربية، لينتهي به المطاف الى تأليف كتاب جول مدينة تلمسان بالتعاون مع أخيه جورج مارسيه.

[1]- عبد القادر الميلق، مقاومة شريف بشوشة من خلال الكتابات الفرنسية: كتاب "لويس رين" الموسوم بتاريخ انتفاضة 1871م في الجزائر انموذجا، مجلة العلوم الانسانية والحضارة، الصادرة عن: جامعة عمار ثليجي الاغواط، الجزائر: مج1، ع1، 2019م، ص- ص:120- 130.

1- تعريف بالكتاب: جاء عنوان الكتاب في نسخته الأصلية:" LES MONUMENTS ARABES DE TLEMCEN" من تأليف وليام مارسيه "William Marçais"[1] وأخيه جورج مارسيه"Georges Marçais"، نشرته دار النشر "LIBRAIRIE FM و"THORIN في باريس تحت رعاية مصلحة معالم الجزائر التاريخية، التابعة لإدارة الاحتلال الفرنسي بالجزائر سنة 1903م، دعم المؤلفان كتابهما بـ 30 لوحة و 82 رسما توضيحيا في النص.

وهناك نسخة جديدة للكتاب بالفرنسية، نشرته دار النشر "ART KENGE Editions" سنة 2011م بالجزائر، وهو بجزئين حيث أن عدد صفحات الجزء الأول 192 صفحة أما عدد صفحات الجزء الثاني 163 صفحة[2].

يحتوي الكتاب على نسخة مترجمة تحت عنوان "المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان" من تقديم وترجمة مراد بلعيد، علي مُحَّد بوريبة، فلة عبد مزيام، نشرته دار الأصالة للنشر والتوزيع بالجزائر سنة 2011م[3]، وعدد صفحاته 499 صفحة.

قام المؤلفان بتقسيم الكتاب كالتالي، في الجزء الأول للكتاب تضمن فيه تمهيد ثم مقدمة وستة فصول مرتبة على الشكل التالي: أسوار تلمسان الحوض الكبير والمشور وأغادير، مئذنة أغادير، المسجد الكبير، حمام الصباغين، مسجد سيدي بلحسن، مسجد أولاد الإمام[4]، أما في الجزء الثاني جاءت تقسيماته تكملة للجزء الأول في تسعة عشر فصلا كانت كالتالي: المنصورة، سيدي بومدين، مسجد "سيدي الحلوي"، مسجد وضريح "سيدي براهيم"، "مسجد المشور"، "مسجد سنوسي"،

[1]- ينظر: تعريف وليام مارسيه في الفصل الثالث للمبحث الثاني، ص: 116.

[2] - William Marçais et Georges Marçais, les monuments Arabes de TLEMCEN. Alger: ART KANGE E'dition, V1, 2011, p: 1.

[3]- وليام وجورج مارسيه، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، المصدر السابق، ص: 1.

[4]- William Marçais et Georges Marçais, V1, op. cit, 2011, p: 192.

مسجد "سيدي لحسن"، مسجد "سيدي يدون"، مسجد "لالة غريبة"، مسجد "لالة الرويا"، مسجد "باب زير"، وآخر فصل الأضرحة، ثم وضع في آخر الكتاب فهارس اللوحات، وفهارس الأشكال[1].

2- محتوى الكتاب: استهل المؤلفان كتابهما بتمهيد عرفا فيه مدينة تلمسان وما حظيت به هذه المدينة من اهتمام كبير، أفضى الى تعدد البحوث والكتابات وعلى رأسها مؤلفات القس بارجس الذي كتبها بعد رحلته الى تلمسان سنة 1846م، حيث دون ويشير إلى أن ملاحظاته أثناء رحلته في كتابه المسمى "تلمسان العاصمة القديمة لمملكة ذات نفس الإسم"، ويشير المؤلفان الى أن أعمال شارل بروسلار لا تقل أهمية عن أعمال بارجس، خاصة أنه مكث بتلمسان سنوات طويلة وشغل فيها منصب نائب الوالي ما بين 1853م و 1862م، فألف ونشر كتاب " النقوش العربية بتلمسان"، كما أعقب المؤلفين أن الرسوم الواردة في الكتاب من صنع أيديهم وقد رسمت سنة 1902م، أما الصور فهي من صنع غسال"M.S.GSELL" والنقيب برتيليون، اللذان وجها لهما الشكر الجزيل لمساعدتهما في اتمام دراستهما حيث قالوا: " أما الصور فبعضها من صنع م.س.غسال والنقيب برتيليون الذي نشكره جزيل الشكر على إيفائنا بهذه الوثائق..." تجدر الاشارة الى أن التمهيد حرر في شهر أكتوبر 1902م[2].

أما المقدمة استهل فيها المؤلفين بتحديد الموقع الجغرافي لتلمسان حيث ذكرا أنها تقع في منتصف منحدر متدفق من جبل، تضم أشجار زيتون والتين، وإن هذه المدينة مصونة من الله بموقع من أفضل المواقع التي يمكن أن يختارها مشيد المدينة، وبفضل كل ما تمتاز به تغنت بها القصائد الشعبية المؤلفة افتخارا بهذه المدينة القديمة، وعمد كُتاب مدارس تلمسان بغية وصف جمالها الى أعمال كافة أساليب البيان، حيث يقول يحي بن خلدون، أن تلمسان "عروس فوق منصة"، وضح المؤلفان الى أن المعالم الأثرية القديمة للمدينة وحلتها العربية الإسلامية، كانت نتيجة تاريخ المدينة الحافل إذ تأسست على

[1]- William Marçais et Georges Marçais, les Monuments Arabes de TLEMCEN, Alger: ARTKANGE Edition, V2, 2001, p: 197.

[2] -William Marçais et Georges Marçais, V1,op. cit, p-p: 1-5.

أرضها العديد من الدويلات الاسلامية بداية من دولة المرابطين ثم دولة الموحدين ثم الدولة الزيانية، لتأتي الهيمنة التركية على تلمسان إذ كانوا آخر أسياد تلمسان قبل الاحتلال الفرنسي[1].

الفصل الأول عنوناه المؤلفان بـ **"أسوار مدينة تلمسان، الحوض الكبير– المشور– أغادير"**، تناول الأخوين مارسيه فيه أن مدينة تلمسان من أشهر وأبرز المدن التي احتوت على منشآت دفاعية قديمة منها الأسوار والجدران الأمامية، فكل الحروب التي كانت تلمسان مسرحا لها، ساهمت في توسعة وسائل الدفاع في الساحة مما زادها تعقيدا، حيث يذكر أهالي المنطقة أن لتلمسان سبعة جدران، وسبعة أسوار، وأن أهاليها كانوا لا ينامون الليل والنهار، وضح المؤلفان في القرن 10م قدم "البكري" قائمة من الأبواب سمحت لهم برسم مخطط لتلمسان يوضح الأسوار والجدران المحيطة بالمدينة، حيث كان للمدينة خمسة مداخل: ثلاثة في الجنوب، وهي، باب الحمام، وباب وهب، وباب الخوخة، وباب واحد في الغرب يحمل اسم باب أبي قرة، وآخر في الشرق هو باب عقبة، ثم ان الجدران الخلفية لتلمسان تحتوي بباطنها على أحراز أو غرف الرماية، كما هو الشأن في أسوار القاهرة الفاطمية، بالإضافة الى احتواء المدينة على أبراج كان دورها كدعامات تعزز الجدران وتحمي نقاط الضعف وتراقب القرى المجاورة[2].

أما الفصل الثاني عنوناه المؤلفان بـ **"مئذنة أغادير"** وضحوا فيه تاريخ المسجد حيث يطلق على المسجد اسم مسجد اغادير وأحيانا اسم الجامع العتيق شيده، ادريس الأول، ثم أشرف ابنه ادريس الثاني على ترميمه وزوده بمنبر، وبقي هذا المسجد الكبير دون مئذنة لمدة أربعة قرون حيث تم بنائها في وقت لاحق، لكن أغادير شهدت انهيارا إبان "الهيمنة التركية" عندما انقطع التوافد على مسجدها وعند اقتحام القوات الفرنسية لتلمسان أصبح الجامع العتيق عبارة عن ركام لم يتبقى منه سوى المئذنة التي يبلغ ارتفاعها 6متر من الحجر الجميل المأخوذ من بنايات ومقابر رومانية وتحمل العديد منها كتابات لاتينية، وتختلف الزخرفة نوعا ما على الواجهات الأربعة للمئذنة كما تحتوي على سلم

[1]- William Marçais et Georges Marçais, V1,op. cit, p-p: 7- 111.

[2] - Ibid, p-p: 113-135.

يتضمن 123 درجة يتمحور حول نواة مركزية، ثم ان هذه المئذنة التقليدية من حيث التخطيط والتركيب والأنيقة من حيث الابعاد، مغطاة في مجملها بطلاء من الجير[1].

وفي الفصل الثالث وضعا الأخوين عنوان "**الجامع الكبير**" درسا فيه تاريخه منطلقين من الكتابة المنقوشة على قبته التي تفيد بتحديد تاريخ تشييد هذه البناية حيث جاءت الكتابة على النحو التالي "...ثم اتمامه على يد الفقيه الأجل القاضي الأوصل أبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن علي أدام الله غرهم فتم في شهر جمادى الأخير عام ثلاثين وخمسمائة هجري"، يشير المؤلفان إلى أن هذا التاريخ يعود للسنتين 1135م، 1138م، إلى عهد علي بن يوسف وهو السلطان ما قبل الأخير للمرابطين، وعلى كل حال فإن بناية هذا الجامع الكبير لم يكن له مئذنة، وأشرف ... بن زيان على تشييد مئذنة الجامع الكبير، كما ان مخطط الجامع الكبير بسيط وتقليدي أما ... خاضع للتأثير البزنطي حيث احتلت الزخرفة الزهرية بالجامع مكانة مرموقة، أما بجوار الجامع توجد أضرحة مباركة تغطي قبور كل من مُحَمَّد بن مرزوق وأبو الحسن بن النجارية[2].

أما الفصل الرابع عنونه المؤلفان بـ "**حمام الصباغين**" ذكرا فيه أنه لا توجد أي وثيقة تحدد عمر هذا المعلم، إلا أن الطراز العتيق الذي يتميز به، يمكن أن يعود الى الفترة الاولى من الفن التلمساني، يقع هذا المعلم في الحي الشمالي الشرقي على حافة شارع ضيق، وحسب الاعتقادات الشعبية يمنح الحمام بركة سماوية لا تقدر، وكثيرا ما كان الولي الصالح سيدي "بلحسن العماري" يتردد عليه.

تغير الحمام بعد تهيئته بشكل مختلف كثيرا عن ترتيبه الأولى، لكن قاما المؤلفان بإعادة تشكيل المخطط العام للبناية كما كان عليه الحمام في أوج رونقه[3].

[1] -William Marçais et Georges Marçais, V1,op. cit, p-p: 136-139.

[2] - Ibid, p-p: 140-161.

[3]- Ibid, p- p: 162- 169.

أما الفصل الخامس وضع المؤلفان عنوان "**مسجد سيدي بلحسن**" ذكرا فيه أن مسجد سيدي بلحسن يحتل مكانة شرف في سلسلة المعالم التلمسانية، احتوى هذا المسجد على نقشين، حيث كتبت الأولى بخط أندلسي جميل على صفيحة من العقيق الأخضر تتضمن على أن المبنى شيد عام 696هـ/1296م، للأمير ابي عامر ابراهيم ابن السلطان أبي يحي يغمراسن بن زيان بعد وفاته، وتحمل الكتابة الأخرى المدونة بالخط الكوفي نفس المعلومة من جهة المحراب، وحسب الأخوين مارسيه فإن تاريخ بناء هذا الجامع يعود الى بدايات السلالة الملكية العبد الوادية وبالضبط في عهد السلطان أبي سعيد عثمان، أما فيما يتعلق بشكله فهو بسيط جدا ويتميز مظهره الخارجي بثلاثة مثقف متوازية

من القرميد تحاذيها المئذنة من الزاوية الجنوبية الشرقية، وفي الداخل، يجزئ صنفان من الاعمدة العقيقة تربطها بوائك حدودية قاعة الصلاة الى ثلاثة أجنحة[1] .

أما الفصل السادس عنونه المؤلفان بـ "**جامع ولاد الإمام**" عرج فيه الأخوين بأنه لا يوجد في الجامع أي نقش يدل على تاريخ تشييده، ولكن يعود تاريخ الانطلاق في بنائه وذلك بالاستعانة الى نصوص تاريخية التي اعتمدا عليها الأخوين مارسيه ، فقد تم تشييد المسجد في عهد الامام أبي حموا الأول، كملحق لأول مدرسة تلمسانية يحفظها التاريخ "المدرسة القديمة"، أي سنة 710هـ، لقد بني المسجد خصيصا لأستاذين أخوين هما: أبو زيد عبد الرحمن، وأبو موسى عيسى حيث كانوا من أخلص المستشارين الموثوق بهم لدى أمراء بني عبد الواد، هذا ما دفع بأبي حموا لكي يبني لهما مدرسة سميت بمدرسة ولاد الإمام، إذ أن والد هذين العالمين كان اماما بمسقط رأسهما، أما شكل الجامع فهو بسيط يشبه مسجد سيدي بلحسن في زخرفته وتفصيله[2].

وفي الجزء الثاني كان تكملة للفصول التي تضمنها الجزء الأول.

[1] - William Marçais et Georges Marçais, V1,op. cit, p-p: 170- 184.

[2] - Ibid, p-p: 185-191.

فكان الفصل السابع بعنوان "**المنصورة**": تناول المؤلفان في هذا الفصل الى تاريخ المدينة، فأشاروا الى أن المدينة تقع على بعد 5 كلم غرب مدينة تلمسان، ولقد عاشت هذا المدينة ستين سنة فقط وذلك خلال الحصار التاريخي الذي واجهته تلمسان في نهاية القرن 13م، وبداية القرن 14م، ففي سنة 698هـ قام السلطان المريني أبو يعقوب على رأس جيوش ضخمة بالاستقرار في سهل كبير يقع بين تلمسان ومضيق اليهود، وقد هدد هذا السلطان عاصمة بني عبد الواد فيما مضى، أما هذه المرة فقرر التغلب عليهم عن طريق الحصار، وقد انحصرت موارد تلمسان فيما تملكه داخل الأسوار، وبالرغم من ذلك كله لم تستسلم المدينة وبقيت صامدة ليمتد الحصار الى ثماني سنوات، ومع قرب فصل الشتاء قرر السلطان المريني تشييد قصر ملكي داخل معسكره وبناء مسجد وهنا أطلق على هذه المدينة التي بنيت فجأة لقب "محلة المنصورة" وبعد ستين سنة تزايد شأن المدينة وازدادت أهميتها حيث احتوت داخل أسوارها حمامات وفنادق وغيرهم، تميز سور المنصورة بأنه جدار من القرميد محيط بالمنصورة، بلغ سمكه 1.5م، في قاعه ثم يضيق كلما علا نحو القمة ليشكل من داخل المدينة ممرا مستمرا للدوريات، كما احتوت المنصورة على بابين واحد في الشمال والآخر في الجنوب، وكان لها بابين آخرين واحد في الشرق والآخر في الغرب في نفس المكان الذي يمر منه الطريق الرابط بين تملسان ومغنية[1].

أما الفصل الثامن عنونه المؤلفان بـ "**سيدي بومدين**": تناول المؤلفان في هذا الفصل كل ما تحتويه منطقة سيدي بومدين من معالم الأثرية موضحين الى أن بلدة " العباد" الصغيرة تقع على السفح الشمالي لجبل مفروش على بعد حوالي 2 كم من جنوب غرب تلمسان وتحتوي هذه البلدة على ثلاثة او أربعة معالم أثرية جد مهمة، غالبا ما يطلق عليها الأوروبيين "سيدي بومدين" المستمد من اسم الشخصية المشهورة سيدي بومدين المدفون بها، وإن هذه التسمية محببة بين اهالي المدينة بمسجد سيدي بومدين إذ احتوى على زخرفة هندسية أجرية مرصعة بصفائح مطلية بالأسمر وبشكل أخضر، كما احتوى المسجد على نوع من الخط الكوفي الذي يطلق عليه "الكوفي الهندسي" كنوع من

[1]- william marçais et georges marçais ,v2 ,op.cit, p-p: 3- 33.

الزخارف التي اعتمدها الفنانون المرينيون كل ما يحتويه المسجد يشهد بأن الفنانين المرينيين قد كانوا على تقنية عالية جدا لما قدموا الى تلمسان[1].

أما الفصل التاسع كان بعنوان "**المساجد**": خصص المؤلفان هذا الفصل لذكر عدة مساجد كانت منتشرة في مدينة تلمسان، وكل مسجد قام المؤلفان بوصفه من داخا وخارج ومن أبرز هذه المساجد العريقة الأثرية التي ذكرها الأخوين مارسيه نذكر ما يلي:

أولا "**جامع سيدي الحلوي**" ذكر المؤلفان أنه أنشأ بعد حوالي أربعة عشر سنة من بناء جامع سيدي بومدين، وبني وفق مخطط مشابه له ويكاد يتطابق مع على نفس الأبعاد، فعند المدخل أمام واجهة الجامع توجد بناية شبيهة بـ "قوس النصر" وترتفع مئذنة على زاوية هذه الواجهة البارزة على الجانب الغربي، كما توجد به كتابة تشير إلى مؤسسه السلطان المريني فارس 1358م[2].

ثانيا "**جامع سيدي براهيم**" أشار المؤلفان الى أنه من الآثار التي قام الزياني أبو حمو موسى الكاني بإصلاحها وإنشائها ويتواجد بجنب الجامع ضريح سيدي براهيم، أما مخطط الجامع فيتطابق مع المخطط التقليدي لمعالم العهد المريني الجميل، كما أن له نفس الترتيبات المعمارية، كما أن جامع سيدي براهيم الذي كان فيما سبق مجرد مصلى ملحق بالمدرسة أصبح مع مرور الوقت من أكبر الجوامع، يحتوي على زخارف شديدة البساطة، أما مئذنته فمنصوبة في الزاوية الشمالية الغربية من المعلم وهي ذات ارتفاع متوسط وفي نفس الوقت قصيرة وسميكة وذات أبعاد قليلة الأناقة[3].

ثالثا "**جامع المشور**" أشار المؤلفان أنه حسب ابن خلدون أن أبو حمو موسى الأول هو من وضع الأساسات الأولى لهذا الجامع الذي كان يملك جزءا من قلعة كثيرا ما هوجمت، إذ كان تابعا لمسكن ملكي قد تعرض بفضل الحروب والثورات لأضرار وإصلاحات عديدة، أما مئذنته فهي من النوع

[1]- william marçais et georges marçais ,v2 ,op.cit, p- p: 34-95.

[2]- Ibid, p-p: 97- 113.

[3]- Ibid, p- p: 114- 124.

الخالص جدا وإن كانت قد تلقت خلال القرن14م، تحسينات معتبرة، كما وتميزت زخارفه بقدر كبير من الاستقامة والمهارة[1].

رابعا "**جامع سيدي سنوسي**" أشار المؤلفان أنه يقع في الطريق المؤدي إلى معسكر، وهو عبارة عن معلم صغير تكمن خصوصيته في قاعة صلاة التي تشغل الطابق الأول، ودرج تحت القبة يسمح بالصعود إلى هذه القاعة الفقيرة والعارية وقد تعرضت لإصلاحات حديثة العهد، قد أنهت وجود أية ميزة أو خاصية لها[2].

خامسا "**جامع سيدي لحسن**" ذكر الأخوين مارسيه أنه يقع خارج تلمسان في الزاوية الشمالية الشرقية من السور الحالي ويجتمع حوله قرية صغيرة، وهو ذكرى تخلد الولي الصالح سيدي لحسن بن مخلوف الراشدي المتوفي سنة(856هـ ، 1453م) وهذا الجامع عبارة الآن عن طلل وآثار[3].

سادسا "**مسجد سيدي يدون**" وصفه المؤلفان بأنه عبارة عن مسجد صغير من العهد التركي يحتوي على مئذنة بسيطة محاذية للواجهة الشمالية، ويستقر ضريح سيدي يدون في الخلف وهو محاط بسياج خشبي منقوش ومزخرف[4].

سابعا "**مسجد لالة غريبة**" ذكر المؤلفان بأنه لا يختلف عن مسجد سيدي يدون في صغره إذ لا يحوي إلا قاعة فقيرة جدا، أما مئذنته فليست إلا برجا مغطى بسقف قرميدي ذي أربعة أرداف، وهي ملتصقة بقاعة الصلاة ومرتفعة فوقها قليلا[5].

ثامنا "**مسجد سيدي البنا**"، ومسجد "**لالة رويا**" ومسجد "**باب الزير**"، أشار المؤلفان بأن كلهم يتربعان على مساحة صغيرة ويحتويان على مئذنة مزينة بالعقيدات البسيطة[1].

[1]- William Marçais et Georges Marçais, V2,op. cit, p-p: 125- 129.
[2]- Ibid, p- p: 130- 131.
[3]- Ibid, p- p: 132- 135.
[4]- Ibid, p: 136.
[5]- Ibid, p: 137.

أما الفصل العاشر عنونه المؤلفان بـ **"الأضرحة"** تناول فيه المؤلفان بأن ظاهرة تقديس الأولياء بدأت منذ مرحلة متقدمة من انتشار الإسلام وقد جعلت لهم شعوب المغرب الإسلامي بشكل خاص مكانة هامة في الحياة الدينية، وأصبحت أضرحة الشخصيات موقرة مع مرور الوقت أماكن مقدسة يتعلق بها تدين الكثير من المسلمين، على الأقل كما يلجأ إلى المساجد، وأغلب النساء في شمال إفريقيا على وجه الخصوص يحترمون هؤلاء الأولياء وتقديسهم، بالإضافة إلى شعائر أخرى كزيارة أضرحتهم وإقامة أعمال شبه التعبدية، كالذبائح وإيقاد الشموع والجاوي، وتزداد كثافة هذه الأضرحة، كلما اتجهنا نحو الغرب، حيث احتوت تلمسان العديد من الأضرحة منها: أضرحة سيدي يعقوب، ضريح سيدي داودي وضريح سيدي سنوسي، وأضرحة عين الحوت[2].

3- تقييم الكتاب: لطالما استفاد الباحثون والدارسون من هذا الكتاب كثيرا، فهو بالإضافة إلى الدراسة الفنية المعمارية التي يقدمها حول المعالم التلمسانية العربية، قد ضم أيضا معلومات متنوعة قيمة، تاريخيّة وسياسية وهندسية ولغوية وثقافية ودينية تعكس الحالة العامة لتلمسان منذ نشأتها إلى غاية تاريخ تأليف الكتاب، فالمؤلفان في كل دراسة لمعلم تاريخي للمدينة يقومان بدراسة شكله الداخلي والخارجي وتاريخ إنشائه وأهم الزخارف والنقوشات التي يحتويها، ولم يكتفوا بهذا فقط بل قاموا بدعم كتابتهم برسم توضيحي ومجموعة من المخططات لوصفه.

وكل من سيقرأ هذا الكتاب سيدرك حجم الجهد الذي قاما به، بحثا وجمعا ودراسة واستنتاجا في سبيل كشف النقاب عن روعة الفن العربي الاسلامي في مدينة تلمسان وكان عليه القوم آنذاك من ذوق رفيع، وإتقان للحرفة، ودراية بالصنعة، رغم أننا لا نعطي الموافقة التامة على كل ما ورد فيه، لاسيما الآراء الاستشراقية غير الدقيقة والمغلوطة غي كثير من الأحيان في حق خصوصية الفن

[1]- William Marçais et Georges Marçais, V2,op. cit, p-p: 138- 141.

[2]- Ibid, p- p: 142-156.

الاسلامي بشقيه المشرقي والمغربي ومثال ذلك استعمال المؤلفان لمصطلح "الهيمنة التركية" والتركيز على المعالم الرومانية ودور الرومان في التأثير على تغير معالم الأثرية وإتباع نقوشاتهم[1].

ثانيا: دراسة كتاب "تاريخ جيجلي" لشارل فيرو

أعجب العديد من المستشرقين بالمدن الجزائرية ومناظرها الخلابة وطبيعتها الجغرافية بالإضافة إلى ما تحتويه كل مدينة من خصائص ومعالم تميزها عن بقية المدن الاخرى دفعهم اعجابهم إلى التجول فيها وكتابة مؤلفات حول كل مدينة ومن أمثلة ذلك ما قام به المستشرق شارل فيرو[2] حيث الف كتاب يصف فيه مدينة جيجل.

1- تعريف الكتاب:إن النسخة الأصلية للكتاب كانت باللغة الفرنسية تحت عنوان: "Histoire Des villes de la provinge de Constantine-Gigelli-" نشر الكتاب في الجزائر (قسنطينة) سنة 1879م من قبل دار النشر (Typographie et likograpihie ART Nolet)[3].

وللكتاب نسخة مترجمة بعنوان "تاريخ جيجلي" من تأليف شارل فيرو وترجمة عبد الحميد سرحان وبلغ عدد صفحات الكتاب الى 244صفحة، نشرت الكتاب دار الرسم للنشر والتوزيع سنة 2013 بالجزائر[4].

لم يضع المؤلف شارل فيرو مقدمة لكتابه بل تطرق مباشرة لوضع عناوين على شكل فصول وهي سبعة كانت مرتبة ترتيبا زمنيا وهي: تاريخ مدن مقاطعة قسنطينة، جيجل، نطاق جيجل، العصور البدائية، الغزو الإسلامي، الهيمنة التركية، الفتح الفرنسي.

[1]- مراد بلعيد وأخرون في ترجمتهم لـ: المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، المصدر السابق، ص- ص: 7- 8.

[2]- ينظر : تعريف شارل فيرو في الفصل الثالث للمبحث الثاني، ص: 126.

[3] -L-charles Féraud, Histoire des villes de la provinge de constantine -Gigelli- constantine (Alger), Typographie et likograpihie L-ARNOLET, 1879, p: 1.

[4]- شارل فيرو، تاريخ جيجلي، تر: عبد الحميد سرحان. الجزائر: دار الخلدونية للنشر والتوزيع ، (ط1)، 2013م، ص: 1.

إن شارل فيرو في كتابته لهذا الكتاب اعتمد على مصادر عربية منها كتاب لابن خلدون وغيره[1].

2- محتوى الكتاب: لم يضع شارل فيرو مقدمة للكتاب بل تطرق مباشرة إلى وضع عناوين تشبه الفصول كانت كالآتي:

الفصل الأول عنونه المؤلف بـ **"تاريخ مدن مقاطعة قسنطينة"**: تطرق فيه المؤلف الى أن قسنطينة تعتبر المركز الرئيسي لمقاطعة جيجلي، حيث أن مكتبتها البلدية مزودة بالمصادر التي تعرف أغلب المدن الجزائرية، كما أن حاجة الناس إلى كتاب سهل المطالعة يجمع في نفس الوقت كل ما يهمهم معرفته عن وطنهم الذي اختروا العيش فيه حيث كانت سببا في تحفيزه لكتابة هذا المؤلف لقوله: " لقد سمعت كثيرا من الناس يشتكون من افتقار الى كتاب في متناول كل فردة سهل المطالعة يجمع في نفس الوقت كل ما تهمهم معرفته عن وطنهم المختار... عن مهمتنا تنحصر حاليا في تجميع وتنسيق الوقائع واحداث..."[2]، منطلقا في تعريفه لهذه المدينة من تسميتها إذ يشير أن الاسم الأصلي لجيجلي هو لإجيلجيلي التي كانت مستعمرة رومانية، ولقد كان بحارة المتوسط يسمونها زيزي أو جيجري. أما الاسم القديم لإجيلجيلي يمكن الافتراض أنه انجرف عم كلمة بربرية" إيغيل" التي تعني الربوة وهذا الاسم ينسجم كثيرا مع مظهر البلد[3].

الفصل الثاني عنونه بـ **"جيجل"**: تطرق فيه الى أن جيجل عرفت منذ أوت 1856م هزات أرضية عنيفة مصحوبة بانجذاب البحر إلى مسافات بعيدة ليمتد على نفسه في الحين، محدثة دمار للمدينة واستمرت الهزة الأرضية أكثر من سنة وكانت تحدث يوميا أحيانا، إلا أن حماس السكان جعلهم يبنون مدينة جديدة بسرعة وبالمشاركة الوحيدة للقائد الأعلى روبيرت وسموا هذه المدينة بجيجل العصرية التي لا تقوى على تخريبها إلا كارثة أو قرون من الزمن، وحسب شارل فيرو هذه الأسباب

[1]- شارل فيرو، المصدر السابق، ص: 224.
[2]- المصدر نفسه، ص- ص: 8- 9.
[3]- المصدر نفسه، ص- ص : 8- 10.

هي التي جعلت جيجل تبدو بمظهرين متميزين جدا: مظهر المدينة العربية القديمة التي تحولت إلى قلعة ومظهر المدينة الفرنسية الجديدة التي تمتد متأنقة على الشاطئ[1].

أشار المؤلف الى أن المدينة العربية كانت تقع على حافة البحر وكانت تحتل شبه جزيرة صخرية في مساحة 42000 متر مربع وعند وصول الفرق العسكرية إلى جيجل في 13ماي 1839م لم يكن باقيا من تحصينات القرون الوسطى القديمة إلى برج مربع ولم يبق من مدينة الرومان إلا الأسس أو بعض من الركام أي لم تكن جيجل إلا مدينة تركية، أشار الى أنه بعد احتلال المدينة أقيم فوق أعلى قمة بها حصن القديس فرديناند وانتفع هذا الحصن من حيازة عسكرية مهمة جدا حيث قال: "بدأ السعي في الاستلاء على الشاطئ الجنوبي الشرقي، على طول المرسى... حيث كانت توجد منابع المياه وبعض القطع من أراضي لفلاحة الجنان وأخيرا توفير هواء الطلق لجنودنا..."[2] وقد بنى على جبل أيوف حصنان آخران: الأول سمي حصن قالبوه وهو اسم الجنرال الذي كان يحكم المقاطعة آنذاك، والثاني سمي بحصن القديس أو جيني تكريما لبنت فالي وللقائد سال صهره الذي حضر غزوة جيجل[3].

أما الفصل الثالث فعنونه المؤلف بـ "**نطاق جيجل**": وأشار الى إن نطاق جيجل يتخذ شكلا رباعيا ذو مساحة تقريبية تقدر ب 35000هكتار حيث أن هذا النطاق المحدد تقريبيا من الجنوب ومن الشرق بسلسلة متوازية تنفصل عن بابور لتبلغ مصب الوادي الكبير أمسا أو الرمال ويمكن اعتبار القسم الأكبر لمدينة جيجل هي جبال وعرة في كل مكان تغطيها غابات متشابكة ومسالك وعرة وسط خنادق، ثم إن غرب جيجل لا يتوفر بالمعنى الدقيق للكلمة على مجرى مائي مهم، فالأودية ضيقة إلى حد بعيد وعلى العكس من ذلك فإن البلد في شرق جيجل مرتوي جدا ، بعدد من المجاري المائية، فالأودية واسعة جدا وخصبة وسهلة العبور، عرج المؤلف الى إن بلد جيجل من

[1]- شارل فيرو، المصدر السابق، ص- ص: 11- 12.

[2]- المصدر نفسه، ص: 13.

[3]- المصدر نفسه، ص- ص: 12- 21.

المحتمل أن تكون بلاد القردة لا زالت القردة تتكاثر بها إلى يومنا هذا حيث يقول في هذا أمر: "إن بلد جيجلي من المحتمل أن يكون هو بلد (Pithecusa de Seylax) وهي كلمات تعني بالإغريقية بلاد القردة...[1]"، كما كانت توجد بها قطط كثيرة متوحشة ونمور وحيوانات أخرى من نوع السنوريات[2].

الفصل الرابع عنونه بـ **"العصور البدائية"**: تناول في هذا الفصل أن جيجل كانت كغيرها من المدن الساحلية من أصل قرطجني، ولابد من أن تكون من أقدم العصور إحدى المحطات التجارية التي أسسها الفينيقيون والتي تبقى شاهدة لنا على هذا هي القبور المحفورة في صخر وهي اضرحة تشبه تماما تلك التي شوهدت قرب قرطجنة طرابلس، حيث جعل القرطاجيون هذه المدينة إحدى مراكزهم التجارية لمواصلة طريقهم إلى إسبانيا وإلى سواحل المحيط الأطلنطي.

ومازالت بعض أطلال الهيمنة الرومانية باقية في الموقع الذي تحتله جيجل رغم أنها ليست كثيرو ولا تمتد بعيدا، ولكن من المحتمل أن تكون قد طمست تملها بسرعة برمال الشاطئ التي تثيرها رياح الشمال الغربية وعليه فإن جيجل كانت تحت السيطرة الرومانية على عهد كلود ضمن موريطانيا القيصرية.

يذكر المؤلف أنه في سنة في سنة 428م جاءت حملة الوندال بقيادة جنسريق لتقلب الأوضاع في الولايات الرومانية وفي هذه الفترة لم يقع إلا حدث واحد فقك، يتعلق بمدرسة جيجل ألا وهو اجتماع مجمع الديني لقرطاج ليتخذوا عقابا قاسيا ضد الكاثوليك جميعهم حيث قال: " ألا وهو اجتماع المجمع الديني لقرطاج، من قبل الملك هنريك ابن وخليفة جنسريق وحتى يجد هذا الأمير مبررا أكثر

[1]- شارل فيرو، المصدر السابق، ص:25.

[2]- المصدر نفسه، ص- ص: 22- 73.

موافقة ليتخذ عقابا قاسيا ضد الكاثوليك جميعهم مع الأريوسيين في سنة 484م..."[1] ومنذ هذا التاريخ توجد حلقة كبيرة مفقودة إلى غاية غزو المسلمين لإفريقيا[2].

الفصل الخامس كان بعنوان "**الغزو الإسلامي**": تناول فيه شارل فيرو بأنه ليست هناك أية وثيقة تبين لنا كيف أصبحت جيجل خلال القرنين الأولين للغزو الإسلامي إلا أنه من المحتمل حسبه أنها قد تعرضت لتأثير ما تحمله السكان الجبليون الذين كانوا يجاورونها في السراء والضراء، هؤلاء الذي ألموا قليلا بقواعد الدين الجديد، الذي يبدو وأن تعاليمه قد جذبتهم، لم يلبثوا أن نبذوها حيث يؤكد ابن خلدون أنهم لم يعتنقوا الاسلام إلا بعد أن ارتدوا اثني عشرة مرة، ولم يثبتوا على الدين الجديد إلا في عهد موسى بن نصير، ويذكروا الجغرافيون العرب، أن مستعمرة جيجل أصبحت حضيرة عربية وكانت دائما موقعا تجاريا ذا أهمية كبيرة[3].

أما الفصل السادس عنونه بـ "**الهيمنة التركية**": أشار فيه شارل فيلرو بأن في بداية القرن 15م، كانت المملكة الحفصية مرتعا للفتن الداخلية الأكثر تعقيدا ما جعل، القبائل العربية والبربرية بقسنطينة تعلن استقلاليتها وفي هذه الفوضى العامة كان الموركسيون المطرودون من اسبانيا، ينشرون الضغينة التي كرسوها ضد المسيحيين لدى مضيفيهم ومنذ ذلك الحين انقطعت العلاقات الودية بين الاوروبيين والمسلمين، أشار شارل فيرو بأنه أصبحت القرصنة ولصوصية القراصنة البربرية لا تطاق حينئذ قررت اسبانيا إرسال حملات إلى وهران وبجاية ومدن أخرى كانت تستعمل ملجأ لقرصان البحر.

وفي الوقت الذي جاء فيه المسيحيون للإقامة بإفريقيا ظهر الإخوة بابا عروج في الجزائر اللذان لم يلبثا أن اسسوا إبالة تحت الحماية التركية، حيث أن أول مدينة دخلوا إليها كانت جيجل حيث يقول: " سنتان من بعد اقترب القرصانان اللذان كان يؤرقهما فتح بجاية، من شواطئ هذه المملكة

[1]- شارل فيرو، المصدر السابق، ص: 79.
[2]- المصدر نفسه، ص- ص: 74- 84.
[3]- المصدر نفسه، ص- ص: 85- 93.

وجاءا للإرساء بمعكسر صخري غرب جيجل ...، وابتنوا هناك قصرا..."[1] انضم إليهم سكان جيجل وكذلك كل المسلمين الأرياف بلغ عددهم حوالي أكثر من عشرين ألف قبيلة بقيادة مرابطيهم، وعليه أصبحت جيجل قاعدة عمليات القراصنة الأتراك ومستودع غنائمهم ومنها انطلقوا في تحرير المدن المجاورة ونشر النفوذ التركي[2].

أما الفصل السابع عنونه المؤلف بـ **"الفتح الفرنسي"**: ذكر أنه في جانفي 1839م كانت سفينة فرنسية ربانها بران، الذاهبة من الجزائر بشحنة من القمح لحساب الإدارة، قد ارتطمت بالشاطئ على مستوى وادي جنجان على مسافة قليلة من جيجل، وقد أغارت القبائل القاطنة بجوار الموقع على المنكوبين البالغ عددهم تسعة وأسرتهم ورفضت الإفراج عنهم إن لم تعط فدية، وقد كتب قائد بجاية المطلع عن هذه الكارثة البحرية إلى الجنرال جالبوه بقسنطينة قائد المقاطعة آنذاك الذي سارع إلى التفاوض لإطلاق سراح المنكوبين ونجحوا في ذلك بمساعدة من الأخوين بوربون، ونتيجة لذلك أعطى الجنرال جالبوه أوامر قيادة الحملة التي تذهب لمهاجمة جيجل بحرا لرئيس قيادة الأركان دي سال (De Salles) أما خو فيقوم بالعملية من البر، وقد وصلت السفن الذاهبة من سكيكدة يوم 12ماي أمام جيجل ودخلوا المدينة التي فر جزء من سكانها حيث لم يعد أي دفاع يواجهونه حيث قال: " واتخذ جندنا سريعا من غير اشتعال بالمدينة التي فر جزء من سكانها – لم يعد أي دفاع – على قمة التلال المجاورة موقعا كان يضمن الاستيلاء على المدينة والمرسى..."[3] واستولوا على جيجل من دون مقاومة تذكر ومن دون إطلاق نار[4].

3- تقييم الكتاب: يعد كتاب "تاريخ جيجلي" لشارل فيرو، أقدم كتاب يخصص لجيجل وقد أصبح المصدر الذي يستقي منه المعلومات كل باحث عن تاريخ جيجل، خاصة الكتاب الذين

[1]- شارل فيرو، المصدر السابق، ص: 96.
[2]- المصدر نفسه، ص- ص:94- 175.
[3]- المصدر نفسه، ص: 178.
[4]- المصدر نفسه، ص- ص: 176- 221.

يكتبون بالفرنسية، وهو كتاب تختلط فيه الخرافة بالواقع والأسطورة بالحقيقة والخيال بالعلم، إذ يحتوي على أحكام جاهزة ومبالغات كثيرة وافتراضات قد تحتمل الصواب أو الخطأ.

وبالرغم من أنه لم يذكر فيه شيئا أكثر مما ذكر عن جيجل لدى المؤرخين القدامى والرحالة العرب والرومان والإغريق، إلا أن القارئ يجد نفسه أمام عمل كتابي قد تناول هذه الناحية بنوع من التفصيل لم يسبقه إليه أحد بنوع من المنهجية والانتقائية في اختيار الأحداث وترتيبها وإبرازها مع إهمال وطمس البعض الآخر منها، ومثال ذلك أنه قام بتسليط الضوء أكثر على الفترة الرومانية، في حين أهمل الفترة الإسلامية العثمانية للمنطقة حيث أبرز فقد ما يمجد لتاريخ الرومان بغية تشجيع المستوطنين للقدوم الى المنطقة.

لقد كان المؤلف شارل فيرو ذاتيا في كتابته، إذ أن هذا الكتاب رغم أنه كتب عنا ولكنه لم يوجه إلينا، بل وجهه لغيرنا وبالأخص للفرنسيين المعمرين، فهو من الكتب التي درستنا وفهمتنا قصد التحكم فينا والتعامل معنا، لذلك لا ننتظر من المؤلف الحيادية أو الموضوعية خاصة وأنه كان يقوم بمهمة لصالح بلده، ولا نأمل منه أن يقول الحقيقة.

من المهم أن يطلع القراء على هذا الكتاب، ليس لأنه يقدم أفكارا ومعلومات جديدة عن المنطقة، ولكن لأنه يقدم هذه الأفكار، وهذه المعلومات بانتقائية محكمة، وبكيفية لا تخلو من الانسجام مع منطق الاحتلال، ومع تبريراته لهذا الاحتلال قصد التأثير والاقناع سواء للقارئ الفرنسي أو الجزائري.

إن المتأمل في هذا الكتاب يدرك أن صاحبه ألفه للفرنسيين الوافدين على الجزائر دون الأهالي، كما لا تجد ذكرا واضحا للأشخاص الذين قاوموا الاستعمار في هذه المعارك، ورغم ذلك فإنه من الواجب أن نعرف ما كتب عنا، مهما كانت هذه الكتابات، غير أن هذه الكتابات ينبغي أن تقرأ قراءة واعية متأنية ممعنة النظر في كل ما قيل ليحصل التمييز بين متهو حق وما هو باطل[1].

[1]- عبد الحميد سرحان في ترجمةلـ: تاريخ جيجلي، المصدر السابق، ص- ص: 3- 6.

المبحث الثالث: أهم مؤلفات المستشرقون في المجال الديني

لقد كان الاهتمام الأول للاستشراق منذ ظهوره هو المجال الديني، حيث من المعروف أن معظم المستشرقين الفرنسيين أعطوا عناية كبيرة في نشر كتب التراث الإسلامي عامّة، وخاصة تاريخ القرآن الكريم فقد لقى عناية خاصة من قبل المستشرقين، فوظفوا بذلك خلفياتهم الثقافية وتدريبهم البحثي في تقديم مؤلفات عن الحضارة الإسلامية والتعرف على خباياها لتحقيق أغراض الحرب الاستعمارية والتنصيرية.

أولا: دراسة كتاب "الفرق الإسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي حتى اليوم" لألفرد بل:

1- التعريف بالكتاب: صدرت النسخة الأصلية للكتاب في باريس سنة 1938م، لدى الناشر جينير في 441صفحة، ويحتوي الكتاب على ثلاثة أجزاء.

للكتاب نسخة مترجمة بعنوان "الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم" من تأليف ألفرد بل[1]، قام بترجمته عبد الرحمان البدوي، وبلغت عدد صفحات الكتاب 462ص، نشر الكتاب بدار الغرب الإسلامي ببيروت (لبنان) ورقم طبعة هذا الكتاب هي الثالثة صدرت سنة 1987م[2]، وسنتطرق لدراسة الجزء الأول.

أمّا محتويات الكتاب: الجزء الأول كان بعنوان **"البربر قبل الإسلام والبربر بعد الإسلام حتى القرن الحادي عشر"** قام المؤلف بتقسيمه إلى خمس فصول، تناول المؤلف في الفصل الأول أهم المراجع التي تتحدث عن جغرافيا الطبيعة وشعوب وديانة البربر، قبل البدء في تعريفهم، والفصل الثاني عنونه بالفتح العربي وقيام الإسلام السنيّ في شمال إفريقيا واحتوى على أسباب نجاح الغزاة العرب في الشمال الافريقي والفتح واستقرار المذهب السنيّ، أما الفصل الثالث فعنونه بالقرن التاسع الميلادي

[1]- ينظر: تعريف ألفرد بل في الفصل الثالث للمبحث الثالث، ص: 128.

[2]- الفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، المصدر السابق، ص: 1.

قرن الأغالبة، تكوين العقيدة والشريعة (النقليون والعقليون- المدارس السنيّة) والفصل الرابع تحدث فيه الكاتب عن الفرق الإسلامية في الشمال الافريقي وذكر اثنان الخوارج أو الخارجيّة والشيعة أو الفاطميّة، والفصل الخامس عنونه بمحاولات رد العقل السياسيّة الدينيّة للبربر، بدع مصمودة في القرنين الثاني والرابع للهجرة[1].

2- محتوى الكتاب: لم يضع المؤلف ألفرد بل مقدمة لكتابه بل تطرق مباشرة لوضع عناوين على شكل فصول.

عنون المؤلف الجزء الأول من الكتاب بـ "**البربر قبل الإسلام والبربر بعد الإسلام حتى القرن الحادي عشر**": عرّف المؤلف بشمال إفريقية Berbérie حيث قال "...أنها هي المنطقة المربعة الشكل من الأراضي المرتفعة الواقعة بين البحر الأبيض المتوسط في الشمال، والصحراء الكبرى في الجنوب وخليجي سرت شرقا والمحيط الأطلسي غربا"، مع ذكر سكانها القدماء والذين هم البربر وذكر أنها بلاد منعزلة عن العالم و تتّصف بعدّة ميزات، فكان طقسها يتغير حسب الفصول، ومدى تأثّر جوّها في الأراضي الزراعيّة، وافتقارها إلى الوحدة الجغرافية، أما سكانها البربر فهم يختلفون من قبيلة إلى أخرى حسب دراسات الجماجم الهياكل البشرية الباقية من عصر ما قبل التاريخ، فهناك بربر القبائل وجبال الأوراس المعروفين بقاماتهم المتوسطة والقصيرة وجماجمهم طويلة، وأهل ميزاب ذوي القامات القصيرة الغليظة والجماجم العريضة، وهناك أيضا بربر الشقر ذوي العيون الصافية، وكانت حياتهم قائمة على الصيد والزراعة، وكانوا يتواصلون بلغة الليبيين أي لغة البربر حاليا، وبالرغم من تعدّد قبائلهم وأنسابهم المستقلة عن بعضهم البعض إلا أنهم كانوا يتعاونون أحيانا في الهجوم والدفاع تحت قيادة قائد حربي، وتميزوا ببنيتهم الاجتماعية كما كانت عند الكثير من المجتمعات الإنسانية البدائية هي الأسرة ثم مجموع الأسر ذوات القرابة[2].

[1]- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، المصدر السابق، ص- ص: 455- 456.

[2]- المصدر نفسه، ص- ص: 38- 54.

أمّا عن ديانتهم فذكر ألفرد بل بانّها تختلف عبر الزمن، لقوله: "ففي فجر التاريخ، وقبل ميلاد المسيح بعدة قرون، كان البربر مستقريّن ورحلا يتعايشون على الزراعة وتربية الحيوان"، ولهذا كانت ديانتهم ديانة زرّاع ورعاة قبل كل شيء، وبعدها أولوا أهمية بالغة للينابيع دائمة الجريان والأرواح التي تولدها وتسكنها، كما امتزج العين مع السحر بشكل وثيق حيث كانوا يقومون ببعض الطقوس السحريّة أو شعائر عبادة الحيوان، وقد وجد القرطاجيّون الأوّلون عند البربر إلها محليّا هو الإله آمون، وهو إله كيش، كما قام البربر باتخاذ آلهة العصر القديم البوني الروماني بعد تصوّرهم على نحو يتفق مع تصورهم الغامض بطبعه، وكانوا يعطون أهميّة كبيرة للطقوس والشعائر ولا يهتمون بطبيعة الإله وصفاته[1].

والفصل الثاني فقد عنونه بـ **"الفتح العربي وقيام الإسلام السنيّ في شمال افريقيا"**، عرض ألفرد بل في هذا الفصل أن النبي ﷺ سعى إلى جمع الأمة المسلمة في دين واحد هو الإسلام، وبعد وفاته تابع خلفاءه بعده مهمته لقول ألفرد بل "ولما قبض ترك لخلفائه مهمة رعاية الدولة الإسلامية الفتية، وضم شعوب جديدة الى الإسلام، وزيادة رقعتها ببلاد جديدة"، وكانت أهم الأسباب التي ساعدت الغزاة العرب التي كانت جماعات بدوية وفقيرة في نجاحهم، هو تنظيمها الجيد والضعف السياسي والحربي والاجتماعي الذي أصاب الدول المجاورة للجزيرة العربية، والظروف المحليّة في بلاد الشمال الإفريقي ساعدتهم أيضا في غزواتهم، وفي منتصف القرن الثامن ميلادي 32هـ/ 750م انتقلت الخلافة الإسلاميّة السنيّة من الأموية إلى العباسية، وقد أثّر هذا كثيرا على الإسلام وحضارتها[2].

وعند القيام دولة الأدارسة، حيث كان إدريس بن عبدالله في رأي العديد من المؤرخون المسلمون على أن له دور كبير في جعل كل سكان المغرب الأقصى مسلمين بعد أن كانوا معظمهم وثنيين ويهودا ونصارى، وتتابع بعدهم الولاة الأغالبة من سنة 800حتى909م، حيث صرح ألفرد بل في ذلك:" كان الأغالبة في القيروان والأدارسة في فاس يتابعون نشر الدعوة الإسلامية والمذهب

[1]- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، المصدر السابق: ص- ص: 55- 68.

[2]- المصدر نفسه، ص- ص: 75- 85.

السنيّ.."، وقد كان عقبة بن نافع داعية متحمسا للإسلام في المغرب بالإضافة إلى كونه قائدا جريئا وله أعمال كثيرة من أجل نشر الدعوة الإسلامية في المغرب كتأسيسه لمدينة القيروان ومسجدها، وكان قيام المسلمون العرب بالفتح الإسلامي فقط من أجل استقرار المذهب السنيّ، وقد أشار ألفرد بيل إلى عدم تصديق كل الروايات الإسلامية المذكورة عن فتح المغرب حيث يرى أنهم "..قد دفعتهم الحماسة إلى تمجيد طلائع الحضارة الإسلامية في الشمال الافريقي لذا قاموا بتصديق أساطير مبالغ فيها جدا عن الحماسة الإسلامية والفضائل الخارقة لكبار قواد الفتح العربي للمغرب"[1].

الفصل الثالث عنونه بـ **"القرن التاسع الميلادي قرن الأغالبة– تكوين العقيدة والشريعة النقليون والعقليون المدارس السنيّة"** حيث قال المؤلف: "...إن من المهم أن نعرف كيف قام العلماء والفقهاء في القيروان وأفريقية بوضع الضوابط السنية لعقيدة والشريعة... "، فالشمال الإفريقي في القرن التاسع ميلادي كانوا يتبعون المذهب المالكي، وقد ظهرت في تلك الفترة علم الكلام، مما أدى إلى نزاعات بين جماعتين كبيرتين: العقليّون أي المعتزلة حيث كانوا يستخدمون العقل في دراسة وفهم الأمور المتعلقة بالدين، وبين جماعة النقليون أي أصحاب الحديث، فنظرا إلى سوء استخدامهم للأحاديث كانوا لا يأخذون إلا بما ورد به النقل، والقرآن كان مصدرهم الأول وفسروه تفسيرا حرفيّا، وأعطى لنا الكاتب ألفرد بل أهم الأسباب التي تنازعت بينها هاتين الطائفتين وهي: هل ما يفعله الإنسان من خير أو شر، قد قدره الله مقدّما؟ أو أن للإنسان حريّة الفعل بإرادته؟ ما طبيعة الله وصفاته؟ هل هي أقانيم قائمة به؟ هل القرآن مخلوق، خلقه الله في وقت معين؟ أو هو قديم قدم الله وبالتالي غير مخلوق ومنبعث من الذات؟ [2]

واعتمدوا على مصادر التشريع الإسلامي أي القرآن والحديث، فتأثر المتكلمون بالعلوم والمناهج اليونانية والبيزنطية وكانت أهم مراكز الدراسات الفقهيّة، وكذلك الكلامية في الحجاز وخصوصا في

[1]- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، المصدر السابق، ص- ص: 90- 106.
[2]- المصدر نفسه، ص- ص: 113- 128.

المدينة، والشام والعراق في الكوفة والبصرة وبغداد، وبالنسبة إلى النقليّون المتشدّدين كان استعمال الرأي محدودا، لأنّهم كانوا يرون أنّ الشريعة مندرجة في الأصول.

وقد انتقل مذهب مالك إلى إفريقيّة (تونس) في عهد الولاة الأغالبة الأوائل ووجد نصيرا عظيما في شخص سحنون العظيم وبفضل هذا العالم كان انتصار مذهب مالك في المغرب مؤكدّ إلى حد كبير، ثم ظهر المذهب الحنفي وكان مؤسسه أبو حنيفة وقد ظهرت خلافات بين المذهبين إضافة مع مرور الوقت ظهرت مذاهب أخرى: ومن هنا اتّخذ العالم الإسلامي السنيّ فقه المذاهب الأربعة الذي يحمل كل منها إسم مؤسّسُه.

المذهب الحنفي وقد اتّبعه الترك والمسلمون في آسيا الوسطى وفي الهند، والمذهب الشافعي وهو متبع في مصر وجنوب الجزيرة العربيّة، وإندونيسيا وإفريقيا الشرقية، والمذهب المالكي هو متّبع في مصر العليا (الصعيد)، والمغرب، وإفريقيا الغربيّة والسودان، وأخيرا المذهب الحنبلي كان له أتباع كثر حتى القرن الرابع عشر ميلادي في كل من العراق ومصر والشام وفلسطين ولكنّه اليوم اقتصر على بلاد العرب السعوديّة[1].

الفصل الرابع عنوه بـ **"الفرق الإسلامية: الخوارج والشيعة"**: في هذا الفصل عرّف ألفرد بل كل من حركة الخوارج والشّيعة، حيث قال: "ولدت حركة الخوارج في الشرق، شأنها شأن الإسلام السني الذي تحت لوائه فتح العرب الشمال الإفريقي، وكذلك فرقة الشيعة التي سنتحدث عنها بعد حين..."، وقد بين ألفرد أسباب نجاح هذه الفرق في المغرب، وبدأ بمذهب الخوارج التي ظهرت في الشرق بزعامة البربر والمشارقة وكان أساس هذا المذهب سياسي، وكانت هناك اختلافات حول من يكون خليفة للنبيّ ﷺ بعد وفاته، وحصل في الأخير أن تم انتخاب أبي بكر الصدّيق من الجماعة الإسلامية، ولكن فريق التقاة رأوا أن عليا بن أبي طالب هو الأحق بالخلافة، لأنه ابن عم الرسول وزوج بنته فاطمة، لكن الأمر لم يتم على هذا النحو، فالأغلبية امتثلوا الى خلافة ابي بكر الصديق لما

[1]- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، المصدر السابق، ص- ص: 129- 134.

يمثله من فضائل ومزايا، وباستفتاء مماثل تولى عمر بن الخطاب الخلافة بعد وفاة أبي بكر، ثم عثمان بن عفان بعد مقتل عمر، لكن نبذوا خلافته لأنهم في نظرهم ارتكب بدعا موبقة، فالخليفة عند الخوارج لا يلقب بالإمام ويجب أن يكون الراعي الأمين والحارس المخلص للشريعة، وأن يكون مثلا أعلى للتقوى وأن يسهر بالاتفاق مع علماء الخوارج على تطبيق أحكام الشريعة كما وردت في القرآن الكريم وسنّة الرسول، وكان مذهب الخوارج في العقائد قريبا جدا لمذهب المعتزلة، حيث كانوا يرون من ارتكب ذنبا سواء من الناحية المادية أو الأخلاقية عدوا وعذابه أبدي (إلا إذا تاب وكفّر عن ذنبه)، وقد انتشر مذهب الخوارج في العهد الأموي وأيضا في العصر العباسي بالمشرق، وقام الخوارج رجال ونساء، بمهارات وقاموا بتضحيات لمعاناتهم من اضطهادات الفرق الإسلاميّة الأخرى وفضلوا مواجهة الموت وعدم التراجع عن آرائهم، وكانوا يموتون وهم يتلون آيات من القرآن الكريم ويسبحون بحمد الله، وحتى اليوم لاتزال الحياة الاجتماعية والأسرية للخوارج في نواحي ميزاب في الجزائر نموذجا كما يتبعه الخوارج في التزامهم بمقتضيات المذهب[1].

وفي القرن الرابع هجري انتصر الشيعة أو الفاطميون في الشرق على الخوارج حيث ذكر المؤلف في قوله: "...هذه الفرقة نشأت هي الأخرى لأسباب سياسية في المشرق هي اختيار الخلافة " وكان التشييع قد تطور في المشرق مما أدى إلى قيام فرق عديدة مختلفة، وكانت الإمامة عند الشيعة لا تتعلق كما هي الحال عند السنة بزعيم دنيوي للأمة الإسلامية، بلى بإمام روحي معصوم، هاد مهتد بالحق الإلهي، أي يعتقدون أن آخر أئمتهم هو المهدي المنتظر وهو اعتقاد له أساس عند أهل السنة، واستأثر ألفرد بل برأي جولد تسيهر: حيث لاحظ هذا الأخير إن النموذج الأول للأئمة المستورين يوحد في اعتقاد اليهود والنصارى في النبيّ إيليا، وأنه رفع إلى السماء وسيعود إلى الأرض قبل نهاية العالم ليقيم فيها النظام والشرع الديني، وكانت أهم فرق الشيعة هي فرق الامامية، أو ما يسمونهم الاثنا عشرية، وفرق الشيعة التي أوغلت في التأويل الرمزي للقرآن، وكانوا يرفضون الأخذ بتشريعات الخلفاء

[1]- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، المصدر السابق، ص- ص: 140- 150.

الثلاثة حيث كانوا ينكرونهم ولا يقرون إلا بسنة النبيّ وما جاء به علي بن أبي طالب، ونجد الكثير من الفرق أقل تسامحا من أهل السنة، ويرجع أصلهم إلى عهد الأغالبة حكام القيروان وإفريقيّة[1].

والفصل الخامس والأخير كان بعنوان **"محاولات رد الفعل السياسية الدينية للبربر بدع مصمودة في القرنين الثاني والرابع للهجرة"**: ذكر ألفرد بل في قوله:" في القرن الرابع الهجري انتصر الشيعة الفاطميون في الشرق..." على الخوارجة في حيث عمدوا إلى ردود فعل مختلفة، وقامت بثورات ولم يستطع الحكام السنيون القضاء على ثورات الخوارج إلا في سنة 780م، وابتداء من هذا التاريخ ركدت ريح الخوارج من البربر إلى إفريقية وتداعت بدعتهم إلى الاضمحلال. ومع عصور مختلفة تولدّت ديانتين مختلفتين: ديانة برغواطة مؤسسها صالح بن طريف في قبيلة برغوطة، حيث ادعى النبوة، وادعى أنه تلقى من الله قرآنا باللغة البربرية مؤلفا من ثمانين سورة، وادعى أيضا أن ابنه الياس هو المهدي المنتظر واشتهرت هذه الديانة واضطرت جميع القبيلة لاعتناقه قسرا إن لم يكن طوعا، والإله فيها كان يسمى باكش وقام بعدة تعديلات بالغاءه الأذان والإقامة وغيرها، وكان أتباع صالح يعدونه شخصا مقدسا، شبه إلهي وكل ما يصدر عنه مبارك. لذا عمد الحكام المسلمين في المغرب والأندلس إلى محاربتهم بوصفهم يدينون بمذاهب مبتدعة ملحدة ومع ذلك لم يستطيعوا التغلب عليهم، ولم يتغلب عليهم سوى المرابطون في النصف الثاني من القرن الخامس هجري، ثم أجهز الموحدون في القرن السادس هجري على ما تبقى منهم[2].

أضاف ألفرد بل على ما ذكره سابقا أنه تولدت ديانة جديدة تسمى ديانة غمارة وهي ديانة حميم ظهرت في نواحي تطوان لدى مجسكة، حيث كان حاميم يتمتع بمكانة رفيعة بين قومه مما جعلهم يتبعونه، وكانت قبيلته غارقة في الجهل والبعد عن الشرائع والانتباذ عن مواطن الخير وقد استدل الكاتب بآراء ابن خلدون والبكري في ذلك، وقد عرفت تلك القرية بالسحرة مثل الساحر ابن كسية حيث كانوا يسمعونه ولا يعصونه طرفة عين خوفا منه، وقد وضع حاميم قرآنا باللغة البربرية كما فعل

[1]- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، المصدر السابق، ص- ص: 151- 166.

[2]- المصدر نفسه، ص- ص: 168- 179.

صالح بن طريف، وعمد الى عدة تعديلات كالصلاة مثلا أبقى على صلاة الصبح وصلاة المغرب فقط أما عن الصوم فأسقط عن صوم سبعة وعشرين يوما من رمضان وأبقى فرض صوم الثلاثة أيام الاخيرة فقط.

وغيرها ومن التعديلات المخالفة للإسلام، فقد وصفه مؤلفون السنة أن ديانة حاميم ماهي إلا كفر وافتراء وصاحبها دجال، ووصفه ميسرة الصفرى بأنه حقير، ولم يتابع حاميم رسالته طويلا اذ قتل في معركة وقعت سنة (927-923م) بحسب ما أورده البكري[1].

3- **تقييم الكتاب**: يعتبر هذا الكتاب ذا أهمية بالغة بفضل ما يحتويه من معطيات ومعلومات، حيث أن المؤلف ألفرد بل يعتبر من الباحثين الذين عكفوا على دراسة الشمال الافريقي، وذلك بحكم إقامته الطويلة فيه، وجده المستمر على البحث في مختلف مرافق حياته وتاريخه، ودراسة الإسلام والفرق الإسلامية بوجه عام في المغرب العربي، فبالرغم من افتقاره إلى الوثائق والنصوص، فضّل المؤلف أن يدرسه لا بحسب الفترات التاريخية، بل بحسب تيارات مذهب السنة ومذاهب الإسلامية الأخرى[2].

وهذا الكتاب في جوهره استند أساسا على دراسة انتشار العقيدة الإسلامية في الشمال الإفريقي خاصة البربر ووقع على الوضع العام الذي آلت إليه النزاعات والصراعات وتعدد الاتجاهات خلال القرون الأولى التي تلت الهجرة النبوية، ومن الأمور المميزة لهذه الفرق الإسلامية التي ذكرها ألفرد بل، بأنها ارتبطت دائما و استندت إلى دول سياسة قوية.

كان الكاتب ذاتيا في كتاباته، فقد تجنب الصواب في كثير من الأحيان وتقدم بالمغالطات بخلفية لم تكن للبربر والمسلمين، وذلك من خلال عدة كلمات ذكرها مثل " أنها منعزلة عن بقية العالم... تنبذ بعض الجماعات البربرية المسلمة الشريعة الإسلامية...وتحتفظ بقانونها العرفي القديم، وغالبية البربر

[1]- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، المصدر السابق، ص- ص: 180- 195.

[2]- عبد الرحمان البدوي في ترجمته لـ: الفرق الإسلامية في شمال الإفريقي، المصدر السابق، ص: 6.

قد اعتمدوا على معتقدات قديمة والأعراف السحرية الدينية..."،[1] حيث يرى أنهم يعطون أهمية كبيرة للطقوس والشعائر ولا يهتمون بطبيعة الإله وصفاته، وبذلك تظهر أبعاده الإستعمارية في نظرية الصراع القبلي بين البربر والعرب، وكان تركيزه بصفة خاصة بالبربر في سيطرته على الحياة الإجتماعية، وكان يعكس ما توصل إليه المؤرخون الفرنسيون الاستعماريون للمغرب العربي.

كما واستدل الفرد بل بلائحة من المصادر والمراجع فعمد الى وضع مقدمة توجيهية قصيرة لكل مكون من هذه البيبليوغرافيا قبل البدء في الموضوع وبذلك تميز الكتاب بغزارة المادة العلمية بالرغم من ندرتها في هذا المجال وهذا الأمر موفق في نظرنا لأنه يرسل القارئ نحو التلقي السليم، فإلى جانب البيانات الموجزة الواردة في مطلع كل فصل، فاقتصر أيضا على ايراد المصادر الأعم لوثائق المؤلفين الأوروبيين عن الإسلام في شمال افريقية بل وفي المشرق، وميز بين الكتب المكتوبة بالعربية والتي كتبها مسلمون، وبين الكتب التي وضعها مؤلفون أوروبيون وكان الترتيب أبجدي عربي بالنسبة الى مؤلفين مسلمين ،وترتيب أبجدي أوروبي بالنسبة الى مؤلفين بلغات أوروبية [2].

ثانيا: دراسة كتاب "الحضارة العربية في إسبانيا" لمؤلفه ليفي بروفنسال:

1- التعريف بالكتاب: نشرت الطبعة الأصلية للكتاب في باريس سنة 1938م.

وللكتاب نسخة مترجمة بعنوان "الحضارة العربية في إسبانيا"، للمؤلف ليفي بروفنسال[3] وقام بترجمته الدكتور طاهر أحمد المكي، والكتاب من الحجم المتوسط، واحتوى على 226 ص، ونشر هذا الكتاب في دار المعارف في القاهرة لكورنيش النيل، والكتاب هو عبارة عن مصدر وقد كان له ثلاث طبعات: الطبعة الأولى كانت في: محرم 1399هـ/ديسمبر 1979م، والطبعة الثانية: شعبان

[1]- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، المصدر السابق ص:42:

[2]- عبد الرحمان البدوي في ترجمته لـ: الفرق الإسلامية في شمال الإفريقي ، المصدر السابق، ص:10 .

[3]- ينظر: تعريف ليفي بروفنسال في الفصل الثالث للمبحث الثالث، ص: 132.

1405هـ/مايو 1985م، وسنتطرق لدراسة الطبعة الثالثة التي كانت في رجب 1414هـ/يناير 1994م.

أما الطباعة الأصلية للكتاب فقد كانت في باريس عام 1948م[1].

ومن محتويات الكتاب: قسمه المؤلف الى ثلاثة فصول، عنون الفصل الأول بالغرب الإسلامي والحضارة العربية الإسبانية، والفصل الثاني عنونه بالمشرق الإسلامي والحضارة العربية الإسبانية، أما الفصل الأخير عنونه بإسبانيا المسيحية والحضارة العربية الإسبانية[2].

أما الملاحق، فقد تحدث فيها عن المذهب المالكي في الأندلس، وقام في الأخير بإعطاء تواريخ هامة ذات صلة بالتاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي والأثري.

2- محتوى الكتاب: لم يضع المؤلف مقدمة لكتابه بل تطرق مباشرة لوضع عناوين على شكل فصول.

الفصل الأول عنونه ليفي بروفنسال بـ **"الغرب الإسلامي والحضارة العربية الإسلامية"**: تحدث المؤلف بروفنسال عن الغرب الإسلامي بقوله: "...ما هو الا مجموعة جغرافية، بالغة التناسق فيما بينها..." وقد كان الناس قبل وحتى اليوم يطلقون على اسم المغرب الذي يبدو منذ الوهلة الأولى مماثل لقولنا الغرب الإسلامي، يعني بلاد البربر وإسبانيا في الأيام الأولى، انكمش معناه سريعا فلم بعد يشمل غير غرب شمال افريقيا، ولم تعد تونس الحالية أو إفريقية وشبه جزيرة ايبيريا تدخل في نطاق هذا المفهوم، فبلاد المغرب والغرب الإسلامي هما كيان منفصل ولهما نظام خاص وأمراء مستقلون، وأحيانا تنشب العداوة بين هؤلاء الأمراء، ولم يستطع الإسلام جعلهم متحدين، لكن بالرغم من ذلك إلا أن هناك تشابه عميق بين جنوب إسبانيا وشمال إفريقيا الذي يفصل بينهما جبل طارق، سواء في تكوينها للأراضي كالسلاسل الجبلية التي تغوص آخر ثناياها في البحر المتوسط، ونجد في كل الجانبين

[1]- ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، المصدر السابق، ص: 9.

[2]- المصدر نفسه، ص: 221.

المزروعات والخضروات والبساتين وكذا الفواكه، ويزداد تشابههما أكثر في وديانهم، حيث وديان الأندلس الغنية لها ما يقابلها في سهول المغرب الخضراء، ووجد الشبه بينهما أيضا في جوانب حياتهم اليومية[1].

صرح ليفي بروفنسال بقوله: "...ولم يكن تاريخ إسبانيا الإسلامية حتى نهاية القرن الثامن ميلادي أقل غموضا من تاريخ بلاد في البربر في المغرب..."، فبسبب الاضطرابات السياسية حول نظام الحكم، عكف العديد من العرب المسلمين الى الارتحال عن المشرق ومن بينهم الأمير من البيت المرواني نفسه الذي رحل يبحث عن حظه في أقصى طرف من العالم الإسلامي غربا، وكان المغرب حينئذ جميلا ومرغوبا، وكذلك عبد الرحمان بن معاوية الذي لاحظ أن المجال في شمال إفريقيا غير ممهد له، فتوجه لإسبانيا للاستلاء عليها وأقام دولة الأمويين، وغيرهم من العرب الساخطين والمتذمرين، والكبار ذوي المراتب السابقة، وممن فقدو امتيازاتهم، وكل هؤلاء جذبهم الغرب اليه.

فسعى بذلك أمراء قرطبة بكل جدهم لنشر السلام وإعادة النظام والأمن لدولتهم، كما وقد ذكر بروفنسال لمحة عن الوضع السياسي حيث أخذ يتبدل منذ السنوات الأولى من القرن العاشر ميلادي في التغيير لمدة سنوات حتى جاء الأمير عبد الرحمان الناصر حاكم للأمويين فعرفت آنذاك أوج ازدهار في الحكم الأموي، وفترة استقرار سياسي وسلام داخلي، ولم يكن يحترم رمز الخلافة الذي كان يتبعه أسلافه، كما وقد كان قد أعلن استقلاله السياسيين وصدارته الروحية، في مواجهة بقية العالم الإسلامي، وكان الحكم الثاني أو المستنصر ابن عبد الرحمان الناصر، وكانت مدة خلافته قصيرة وفي فترة حكمه بلغت قوة إسبانيا العربية ذروة توهجها في العالم الغربي. وبعد وفاته بدأت حركة الاسترداد المسيحية تتقدم ببطئ، كما وسقطت طليطلة في يد المسحيين، وكان لهذا الخبر كوقع الصاعقة في المحافل الأدبية التي تحلقت حول عروش أمراء الطوائف وكان هذا نذير شؤم أرعب الأمراء المسلمين، فاضطر الأندلس أن يذهب الى المغرب متسولا لطلب العون، حيث رأى انه هو المنفذ الوحيد للذين

[1]- ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، المصدر السابق، ص- ص: 9- 20.

يتضرعون له، وفعلا قبل يوسف بن تاشفين أمير موريطانيا مساعدة المسلمين في محنتهم وقد نجح في هزيمتهم في موقعه زلاقة، ولكن حركة الاسترداد لم تيأس واستمرت في وضع الخطط لبسط المسيحية[1].

وبدأ الناس في الأيام النائية تقتنع أن هذين البلدين قريبين أحدهما من الآخر كل القرب فبرغم من التوتر السياسي بينهما إلا أنهما حافظا على التقاليد الحضارية السليمة، وبالرغم أن إسبانيا الإسلامية قد تحولت الى مجرد تابع سياسي للمغرب، ولكن رغم ذلك طبعت المغرب بثقافتها وعبقريتها[2].

الفصل الثاني فكان بعنوان **"المشرق الإسلامي والحضارة العربية الإسبانية"** في هذا الفصل خص المؤلف لنا العلاقة بين المشرق الإسلامي والحضارة العربية الإسبانية، حيث قال: " اتخذ الأندلس، وقد امتدت وديانه الضاحكة، واستطالت قممه الجرداء القاحلة، في أقصى الغرب من العالم الإسلامي، ...منذ اللحظة التي ضمه فيها العرب إلى أملاكه" وربطوا علاقة ثقافية مع عاصمة الخلافة الأموية والعباسية، وكان المشارقة أول من خص إسبانيا الإسلامية بأبحاث جغرافية، وأورد ابن حوقل معلومات دقيقة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إسبانيا الإسلامية، مما يعطي وصفه لها قيمة كبيرة، ونجد في كتابه قائمة لابأس بها بالمنتوجات العديدة التي كان يصدرها الأندلس لا إلى المغرب فحسب وإنما إلى مصر أيضا[3].

كما وظهرت تقاليد سورية التي تأصلت في إسبانيا والتي كانت قبل ذلك في شبه جزيرة ايبيريا واستمر نشاطها وراء قرطبة أيضا، وكان مؤسس المملكة العربيّة في إسبانيا عبد الرحمن قد اهتم ببناء الدولة وإطاراتها الاجتماعية، على نفس الصورة السورية خلال الحكم الأموي هناك في دمشق، وجاء العرب المشرق إلى إسبانيا واندمجوا مع أشكال الحياة فيها، وقد وجد التقليد المشرقي في إسبانيا دعما وعمقا منذ أن تولى عبد الرحمن الأمارة ثقافيّا، وامتزج بذلك المشرق العباسي بطريقة غير مباشرة في ثقافة إسبانيا العربية دون أن يهدف إلى محو التقاليد السورية على أرضها، وحققت إسبانيا الإسلامية

[1]- ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، المصدر السابق، ص- ص: 21- 45.
[2]- المصدر نفسه، ص- ص: 21- 47.
[3]- المصدر نفسه، ص- ص: 51- 53.

بتأثير من المشرق وحدتها السياسية والدينية واختارت المذهب الملكي لتسيير على هذه، وولد هذا المذهب فقهاء كبار مثل عبد المالك بن حبيب ومُحَمَّد العقبي وغيرهم.

ثم جاء دور عبد الرحمن الثاني كامتداد لوالده الحاكم الأول وكانت فترته فترة السلام نسبي في إسبانيا وجاء بحركة الإصلاح الحقيقية، وقد اهتم بالعلماء والفنون، وكان محبا للقراءة وكان له الفضل في تنظيم قرطبة على النظام العباسي، وقد ترك المشرق والحضارة العامية أثر واضح في مجتمع المدن الأندلسية، وقد استدل المؤلف بروفنسال برأي المؤرخ العظيم أحمد الرازي عن الأهمية البالغة الذي لعبه الشرق الإسلامي في تكوين الثقافة الأندلسية خلال القرن التاسع ميلادي[1].

قال بروفنسال في هذا الصدد: "...جاءت اللحظة التي نتصدى فيها لأفكار أكثر شمولا، فندرس الآن الخطوط العريضة التي جعلت الغرب الإسباني يرتبط على امتداد كل العصر الوسيط بالتقاليد الثقافية التي استقرت في الشرق العربي..." حيث سجلت عدد من المؤلفات، وبلغ علم القراءات في إسبانيا قممه، كما ازدهر فقه اللغة العربية، واشتهرت شبه الجزيرة الايبيرية بأسماء لاتزال مألوفة في أسماع المشارق كابن عبد ربه مولى الأمويين في قرطبة، بالإضافة إلى انتشار الشعر العربي أيضا، وهذا يدل على مدى أثر ارتواء في اهتمامات المشرق والكلاسيكية العربية بالثقافة على مدى العصور[2].

الفصل الثالث عنونه المؤلف بـ **"إسبانيا المسيحيّة والحضارة العربية الإسبانية"**: صرح ليفي بروفنسال في قوله:" أن غارة الإسلام المفاجئة، وغير المتوقعة في مطلع القرن الثامن ميلادي على اقتصاد العالم اللاتيني أدت الى نتيجة فاجعة..."، وأدى إلى ظهور تداخلات متبادلة بين الإسلام والمسيحيّة في شبه جزيرة ايبيريا في العصر الوسيط، فالأندلس لم تهاجم جيرانها حتما، وإنما كان هناك فترات من الهدنة والتي امتدت طويلا وذلك يعكس روحه المتسامح فيما يتصل برعاية المسيحيّين، وقد احترموا الدين الرسمي القديم لدولة قوط، حتى بعد أن دخل المسيحيين إلى الإسلام أفواجا، إضافة إلى

[1]- ليفي بروفسال، الحضارة العربية في إسبانيا، المصدر السابق، ص- ص: 54- 76.

[2]- المصدر نفسه، ص- ص: 77- 94.

إقامتهم علاقات زوجية فيما بينهم، وظلت كل من قرطبة وبيزنطة يتبادلان العديد من السفارات الدبلوماسية، وظهرت العديد من التأثيرات من إسبانيا المسيحيّة وإسبانيا العربية، وكان أهم أثر في لهجات الأندلس الجارية، حيث اضطروا إلى تعلمها لكي يتحدثوا بها عندما تضطرهم الظروف، كاللهجة الرومانثية وهي متفرعة عن اللغة اللاتينية الايبيرية، حيث كان هناك نسبة عالية بين المسلمين في الأندلس تتكلم لغتين وتستخدم العربية والرومانثية في سهولة، وقد اتسع الإشعاع الحضاري الذي مارسته إسبانيا العربية على إسبانيا المسيحيّة والبلاد المجاورة لها[1].

وواصل بذلك إشعاع الحضارة الأندلسية في الأراضي المسيحيّة وواصل تأثيره حتى القرن الخامس عشر ميلادي، فتأثر بها الكثيرون مثل فرناندو الثالث وابنه الفونسو العاشر، الملقب بالعالم، أما فرنسا التي بالرغم من أنها كانت في عزلة عميقة خلال العصور الوسطى بسبب وضعها الجغرافي إلا أن هذا لم يحل، دون معاناتها في بعض النواحي من تأثير حضارة الإسلام في الأندلس على بعض الممالك المسيحية في شمال إسبانيا، إضافة إلى ظهور التأثير الفني والتأثير بالأدب العربي لإسبانيا المسيحية على إسبانيا العربية.

حاول المؤلف في ذلك وضع الحضارة العربية الإسبانية في مكانها الصحيح، وإبراز شخصيتها وقوتها شيئا فشيئا حتى خارج حدودها الإسلامية، وعمد المؤلف في الأخير إلى طرح عدة أسئلة تساؤل فيها عن ما يلي: ما نصيب الحضارة العربية في إسبانيا؟ وهل ما خلفه الأندلس من آثار نافع أم ضار؟ وهل يمكن أن ترد هذا الاستنزاف الذي حدث لقواها قبل الأوان إلى الإسلام الإسباني؟ وحاول الإجابة على كل من الأسئلة المطروحة[2].

[1]- ليفي بروفسال، الحضارة العربية في إسبانيا، المصدر السابق، ص- ص: 97- 117.

[2]- المصدر نفسه، ص- ص: 117- 137.

د- تقييم الكتاب: يعد هذا الكتاب مرجعا هاما لكل باحثي التاريخ بصورة خاصة وكذا الآثار والجغرافيا ومعظم تخصصات العلوم الإنسانية على نحو عام ارتكز فيه ليفي بروفنسال على حضارة العرب في الأندلس، وقام بمقارنة الحضارة الإسبانية الإسلامية مع كل من المشرق الإسلامي والغرب الإسلامي والذي أوجد التشابه الكبير بينهم.

فهذا الكتاب ما هو إلا عن ثلاث محاضرات التي قام بها بروفنسال عند قدومه الى القاهرة وجمع هذه المحاضرات في كتاب واحد الذي احتوى على ميزات كثيرة، تساعد الباحث أو القارئ، فقد وقف عمره على حضارة الأندلس والمغرب في مختلف جوانبها، مما ساعده في ذلك هو أن المغرب الكبير في تلك الفترة كان واقعا بأكمله تحت الاستعمار الفرنسي، مما سهل عليه الحصول على وثائق ومخطوطات ساعدته في كتاباته.

كما وقام المؤلف بوضع قائمة من الهوامش والتعليقات بعد كل فصل يكتبه، ويعد هذا الكتاب من أهم الموضوعات التاريخية الهامة والتي تشغل اهتمام المؤرخين وباحثي التاريخ من مختلف الاتجاهات الفكرية.

ومن خلال كتاباته نرى الكاتب ذاتيا من خلال المنهج المتبع الذي اتبعه والآراء الذي جاء بها، بحيث يرى في منظوره ان الغرب الإسلامي أقرب ما يكون الى أوروبا المسيحية، فقد كتب في ضوء فهمه وذوقه وتكوينه المزاجي، ولصالح بلادهم وثقافتهم أولا وأخيرا، و أظهرت كتاباته أبعاده السياسية في كتابة المستشرقون الفرنسيون و ذلك ليوفر للفرنسيين مكان القوة والضعف عند المغربيين [1].

تعددت وتنوعت كتابات المستشرقين الفرنسين في الجزائر، والتي طالت مختلف المجالات الحياة الا ان اهتماماتهم كان بدرجات متفاوتة وحسب ما يخدم اغراضهم واهدافهم الاستشراقية فكان للكتب التراثية التاريخية نصيب من اهتمام المستشرقين ثم تأتي بعدها كتب التراجم وكتب الرحالات لأنها تعد خارطة طريق تمكنهم من الغوص في عمق الجزائر الى أبعد حد ممكن خاصة في منطقة الصحراء، دون

[1]- محمد طاهر أحمد مكي في ترجمته لـ: لكتاب الحضارة العربية في إسبانيا، المصدر السابق، ص: 4- 5.

أن يهملوا كتب الدين وبعد أن درسوا كل الكتب وعرفوا كل ما يهمهم عن الجزائر وسكانها، بدأوا في تأليف كتب حول الجزائر لغايات تخدمهم وتخدم المعمرين الفرنسيين في الجزائر وامتازت كتاباتهم بالذاتية وتغيير في معلومات أو تجاوزها. إلا القلة من المستشرقين من ترك ذاتيته في مؤلفاته

الخاتمة

الخاتمة:

الاستشراق ما هو إلا دراسات قام بها الغرب لاكتشاف حضارة الأمم الشرقية بصفة عامة وحضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة، وقد ارتبط الاستشراق بشخصيات غربية، فاقتصر منذ ظهوره الى دراسة الشرق كله، وفهم كل من آدابه ولغاته وتقاليده، وبسط السيطرة عليها .

اتسم الاستشراق بمعالمه البارزة وأهدافه ووسائله المستعملة للنيل من الإسلام وأهله، من خلال دراساته الاستشراقية ونشرها في الشرق والغرب بلغاتها الأصلية أو ترجمتها إلى شتى اللغات ليسهل فهمها وتعم فائدتها، ولا يمكن حصر أهداف ودوافع الاستشراق لتعدّدها ولعل أهمها هي اعتمادهم على النزعة الدينية للتشكيك في الإسلام والتقليل من قيمة الفقه الإسلامي واعتباره مستندا من الفقه الروماني، وهناك الهدف العلمي بدافع للاطلاع على حضارات الأمم وثقافاتها ولغاتها، إضافة إلى رغبة الغرب في تنشيط تجارتها مع الشرق الإسلامي واتسع الاستشراق باتساع رقعة الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي.

عرف الاستشراق بمراحلها الثلاثة التي بدأت منذ البوادر الأولى للعلاقات السياسية بين الشرق والغرب واحتدم الصراع الحضاري بينهما، لينتقل بعد ذلك الى تعرف الغرب على الإسلام ونقدهم اياه على نحو منفرد وأعمال ترجمة القرآن، والدفاع الكنسي والحروب الصليبية، ونقل الحضارة الإسلامية الى الغرب بدوافع حاقدة.

وبرز الاستشراق الفرنسي الذي لعب دورا مهما، وبذأ منذ بادئ الامر بإنشاء علاقة مع فرنسا والعالم الإسلامي، حيث تعد المدرسة الفرنسية الاستشراقية من أهم المدارس الأوروبية، وهي أكثر توسعا، وتعددت أهدافها ونواياها وتميزت بعدة خصائص تميزها وأهم خاصية كانت تميزها هي محاولتها معرفة كل ما يتعلق بالشرق وبحثت فيه من خلال ارسال مستشرقين هدفهم تسجيل كل شيء عن البلدان المراد استعمارها، وقد تجلت المؤسسات العلمية الخاصة بالاستشراق الفرنسي مثل

كراسي اللغات الشرقية والمكتبات والمعاهد...، وذلك من أجل الاهتمام أكثر بمجال البحث والتطبيق في مختلف التخصصات التي تحتاجها فرنسا.

وقد لعب الاستعمار الفرنسي دورا في بناء الإديولوجية الاستعمارية ومهّد لها سبيل استعمار الشرق عسكريا وسياسيا وفكريا، كما وقد اعتمد الاستعمار الفرنسي على الاستشراق لدراسة نفسيات الشعوب وعادتهم وتقاليدهم لإحكام قبضتهم عليهم، وبذلك نشأت رابطة رسمية بين مؤسسة الاستشراق ومؤسسة الاستعمار.

وتعتبر الجزائر من أهم اهتمامات الاستشراق الفرنسي حيث كان المستشرقون الفرنسيون على صلة بالجزائر قبل الحملة الاستعمارية، إذ كان سحر الشرق قد أبهر الغرب، لكن الحملة الاستعمارية على الجزائر كانت الفرصة التي فتحت الباب على مصراعيه لهؤلاء لتوطيد هذه الصلة، وكان معظم المستشرقين الفرنسيين مترجمين عسكريين وارتبطت أهدافهم بالتوسع الاستعماري.

بدأ الاستشراق الفرنسي في الجزائر منذ الاحتلال سنة 1830م الى الانشاء المدارس العليا سنة 1879م، ليبدأ مرحلته الثانية من سنة 1879م الى الاحتفال المئوي بالاحتلال الفرنسي سنة 1930م، لينتقل بعد ذلك الى استقلال التام سنة 1962م، وأهم ما عرف به الاستشراق الفرنسي هو السعي لإخضاع الجزائريين والتعرف على مختلف جوانب حياتهم.

لقد ساهم المستشرقون الفرنسيون في خدمة المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر من خلال التغلغل وسط المجتمع الجزائري والتحكم فيه والسيطرة عليه، فاتجه الى الفرد والجماعة والأخلاق وكل ما يخص بالحياة الاجتماعية في الجزائر، وذلك من أجل انتاج مجتمع على الطريقة الغربية، تحت عنوان الادماج الجزائري الفرنسي، فعمدت الى نشر سلوكات غربية داخله، وجعلت السموم تنتشر فيه كإفساد التعليم والعادات والتقاليد وغيرهم، والعمل على طمس هوية الشعب الجزائري وتفكيك وحدته، كما اتجهوا الى الغزو الفكري، من خلال إقحام مصطلحات غربية على المجتمع الجزائري وفكره وتاريخه، وهي مصطلحات مستمدة في المقام الأول من تاريخ المجتمع الفرنسي وتطوره، كما أنهم

اهتموا بدراسة المرأة المسلمة داخل الأسرة وخارجها، فعمدوا الى تشويه مكانتها في المجتمع، واتهموها بأنها أسيرة الرجل ولا تتمتع بأي حقوق وواجبات وذلك من أجل زعزعة مكانتها نظرا لتأثيرها الكبير على الأسرة خصوصا وعلى المجتمع الإسلامي عموما.

كما وقد اهتمت الحركة الاستشرافية بالجانب الثقافي كثيرا، من خلال قيامهم بدراسات حول ثقافتهم وتراثهم من أجل محاربتهم بها، وكان لدراسة اللغة العربية النصيب الاكبر من الدراسات الاستشراقية من قبل المستشرقين الفرنسين في الجزائر، وكان للمستشرق لويس برنييه النصيب الأكبر هو الآخر في هذا المجال، فسياسته التعليمية شملت عدة أثار على الحياة الثقافية وذلك من خلال محاربة اللغة العربية، وتغليب الدارجة على الفصحى والتشكيك في الهوية الجزائرية.

وقد اهتم الفرنسيين عموما باللغة العربية والمستشرقين منهم خصوصا، وما حاجتهم لتعلم اللغة العربية إلا بسبب ظروف استثنائية، كالتواصل مع أبناء البلد، وكانوا يهدفون الى أن تكون العربية مفتاحا لهم للولوج الى الجزائر وسكانها، والتعرف عليهم وعلى عاداتهم وتقاليدهم بالتخاطب المباشر معهم، ومع ذلك لم يتعلم المستشرقون الفرنسيون كلهم هذه اللغة، إذ كانت هناك وسائط أخرى يوظفونها في دراساتهم الاستشراقية كالترجمة أو الاعتماد على مؤلفات أسلافهم، وبالرغم من دراساتهم الهامة في اللغة العربية إلا أنهم لم يحافظوا على الشخصية الجزائرية فأغلبهم كان في خدمة الادارة الاستعمارية.

تلازمت حركة الاستشراق الفرنسي مع أساليب السياسية الاستعمارية التي انتهجتها فرنسا لفرض سيطرتها التامة والكاملة على الجزائريين، وسعت الى غزوها ثقافيا بدلا من عسكريا لأنه يمثل قيامه وتراثه وكل مخزونه المعنوي ولأنهم وجدوا في تمسكهم بالهوية الثقافية العربية الاسلامية حصنا منيعا ضد أي تأثير خارجي يريد النيل من تلك الهوية، ومن هنا بدأ التخطيط لتنفيذ استراتيجية لمحاربة مقوماته الثقافية.

اهتم الاستشراق بالتراث، وذلك لمعرفة ماهية الشعوب لأنه هو المترجم الفعلي لحضارة الأمم من فكر ولغات وعادات وتقاليد، فاستحوذت على أهم المصادر التي تحتوي على تاريخ الجزائر وتراثه، ألا وهي المخطوطات التي وزعت على المساجد والزوايا، كمصادرتهم للعديد من المخطوطات في منطقة القبائل أثناء الحملات التفتيشية، إضافة الى نهب الكتب النادرة والثمينة وعمدوا الى نسخها وإقامة فهرس مخطوط، وكان الهدف من إثراء التراث الثقافي يخدم الأغراض السياسية أكثر مما يخدم أهدافه العلمية.

إن الهدف الرئيسي للاستشراق هو محاربة الإسلام وتشويش على دعوته وتشكيك في مصادره، فصبغت معظم الدراسات الاستشراقية في الجزائر في صبغة واحدة تدور بكاملها في علاقة الاهالي في الدين الإسلامي، وتعاون الاستشراق الفرنسي والاستعمار واندفعوا الى شن حملة واسعة لتشويه الإسلام ووصفه بشتى أوصاف وتفضيل المسيحية عليه، فعمدت في ذلك الى تحويل مساجد الى ثكنات واسطبلات ومحاربة الأوقاف وشيوخ الزوايا لاعتباره مرجعية المجتمع.

عمد الاستشراق الى تضليل ابناء المسلمين الذين يتتلمذون عندهم، واقناعهم بآرائهم الفاسدة من أجل ادخالهم الى النصرانية أو رد المسلمين على دينهم، فالمستشرق هنا يعتبر الوجه الأخر لعملية التنصير، لكونه أحد الأهداف الأساسية للاستشراق من خلال الخوض في عملية ترجمة القرآن الكريم، عمد لافيجري بوضع خطط محكمة من أجل تنصير الأطفال بل وكل المسلمين، سعيا في ذلك الى ادماج الجزائر بفرنسا، وتثبيت الوجود الفرنسي داخل الجزائر .

كان الراهب دي فو كو من أهم المهتمين بتنصير المسلمين الجزائريين، وشجع على تحويل الجزائريين الى الكاثوليك، ورغم كل هذا فقد ظلت روح الإسلام عند الجزائريين قد غلبت كل هذا الحملات التنصيرية .

سعى المستشرقون الى محاربة القرآن الكريم لاعتباره المصدر الأساسي للدين الإسلامي، وذلك بالتشكيك في أمرين، الجانب الإلهي في القرآن، والتشكيك في الروايات المتعلقة بجمعه، وذلك حتى

ينصرف المسلمون عن الالتقاء على هدف واحد يجمعم ويكون مصدر قوتهم، اضافة الى التشكيك في صحة رسالة النبي ﷺ، من أجل محاربة السنة واسقاطها، حتى يفقد المسلمون الصورة الحقيقية لأحكام الإسلام.

وواصلوا عملهم على تشويه الثقافة العربية وغرس المبادئ الغربية في نفوس المسلمين وإضعاف الأمم الإسلامية، وتحقيرها لإفساد أبناء المسلمين والعمل على توجيههم لخدمة مصالحهم، فقد كانت جل دراستهم مرتكزة على العقيدة الإسلامية والقرآن الكريم والسنة النبوية.

كما وخلف الاستشراق عددا من الرواد اختلفوا في اهتماماتهم في مختلف النواحي، فمنهم من اهتم بالثقافة الشرقية وعمد الى دراستها وتعلم لغات ولهجات الشرق، من أجل التواصل مع سكانها، والهدف الخفي وراء اهتمامهم الكبير بالجانب الثقافي هو من أجل نشر الثقافة الغربية بدل الشرقية، وهناك من اهتم بدراسة المجتمع الجزائري، والتعرف عليه من خلال الاهتمام بالعادات والتقاليد خاصة بعد الاحتلال الفرنسي للبلاد، ولعل ابرز اهتمام المستشرقون هو معرفة طبيعة الإسلام، فقدموا عدة دراسات إسلامية، وذلك من اجل البحث عن نقاط الضعف وابرازها، لكي يسهل عليهم محاربته، وخلفوا من خلال هذه الابحاث عددا من الكتب التي ألقوا فيها دراساتهم الكاملة عن الشرق وذلك من حيث وجهة نظرهم الغريبة.

الملاحق

الملحق رقم (01): صورة سلفستر دي ساسي[1] Silvestre de sacy (1838–1758)

[1]– موقع عريق موسوعة عربية عالمية https://areq.net/ بتاريخ 27 أفريل 2022م(تاريخ الدخول 16:03–تاريخ الخروج 16:10).

الملحق رقم(02):صورة جاك أوغست شاربونو[1] Jacques Auguste cherbnneau (1813 – 1882م)

[1]- موقع https://www.nosorigines.qc.ca بتاريخ 27 أفريل 2020م (تاريخ الدخول 16:13–تاريخ الخروج 16:18).

الملحق رقم(03): أوكتاف هوداس[1] octave houdas (1840– 1912م)

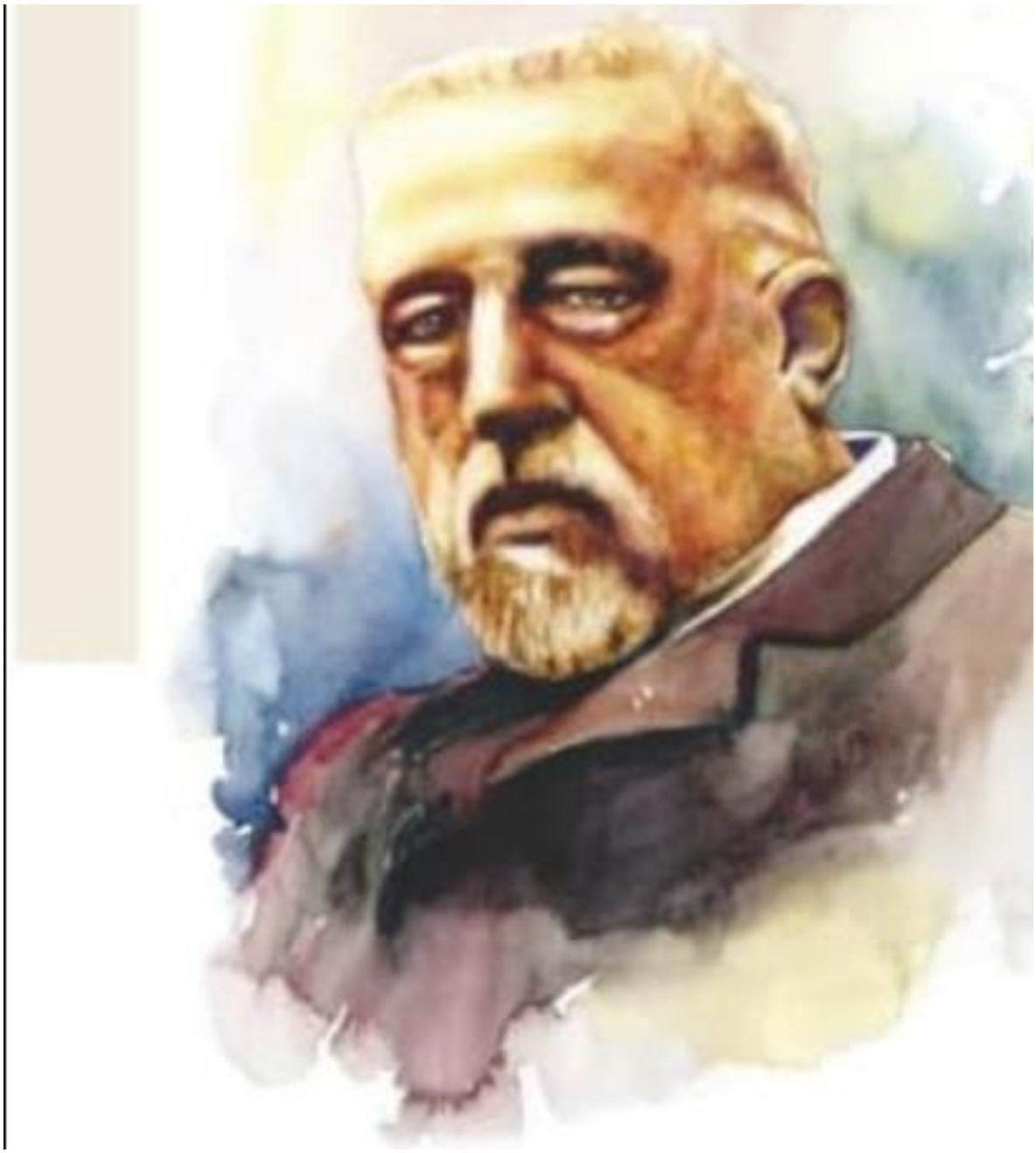

[1]–عبد الستار الجامعي، أوكتاف هوداس. الدار البيضاء: المركز الثقافي للكتاب، 2020، ص:1

الملحق رقم(04): صورة لويس ماسينيون [1] Louis Massignon (1883– 1962)

[1]– موقع مكتبة نور https://www.noor-book.com/ بتاريخ 27 أفريل 2022م(تاريخ الدخول 16:22-تاريخ الخروج 16:29).

الملحق رقم(05): صورة إدموند دوتي[1] Edmond Douttè (1867 – 1926)

[1]– رشيد إدريسي، إدموند دوتي. الدار البيضاء: المركز الثقافي للكتاب، 2020، ص:1.

الملحق رقم(06): صورة روني باصيه[1] René Basset (1855 – 1924م)

[1]- موقع المعرفة https://m.marefa.org / بتاريخ 27 أفريل 2022م(تاريخ الدخول 20:20-تاريخ الخروج 20:28).

الملحق رقم(07): صورة لويس رين[1] Louis rinn (1838-1905م)

[1]- موقع ويكيبيديا https://arz.wikipedia.org/ بتاريخ 27 أفريل 2022م(تاريخ الدخول 20:35-تاريخ الخروج 20:40).

رقم الملحق(08): صورة وليام مارسيه [1] William Marçais(1874-1956م)

[1]- موقع الموسوعة البريطانية https://www.britannica.com/ بتاريخ 2 ماي 2022م (تاريخ الدخول 09:11-تاريخ الخروج 09:15).

رقم الملحق(09): صورة جورج مارسيه[1] George marcais (1876–1962م)

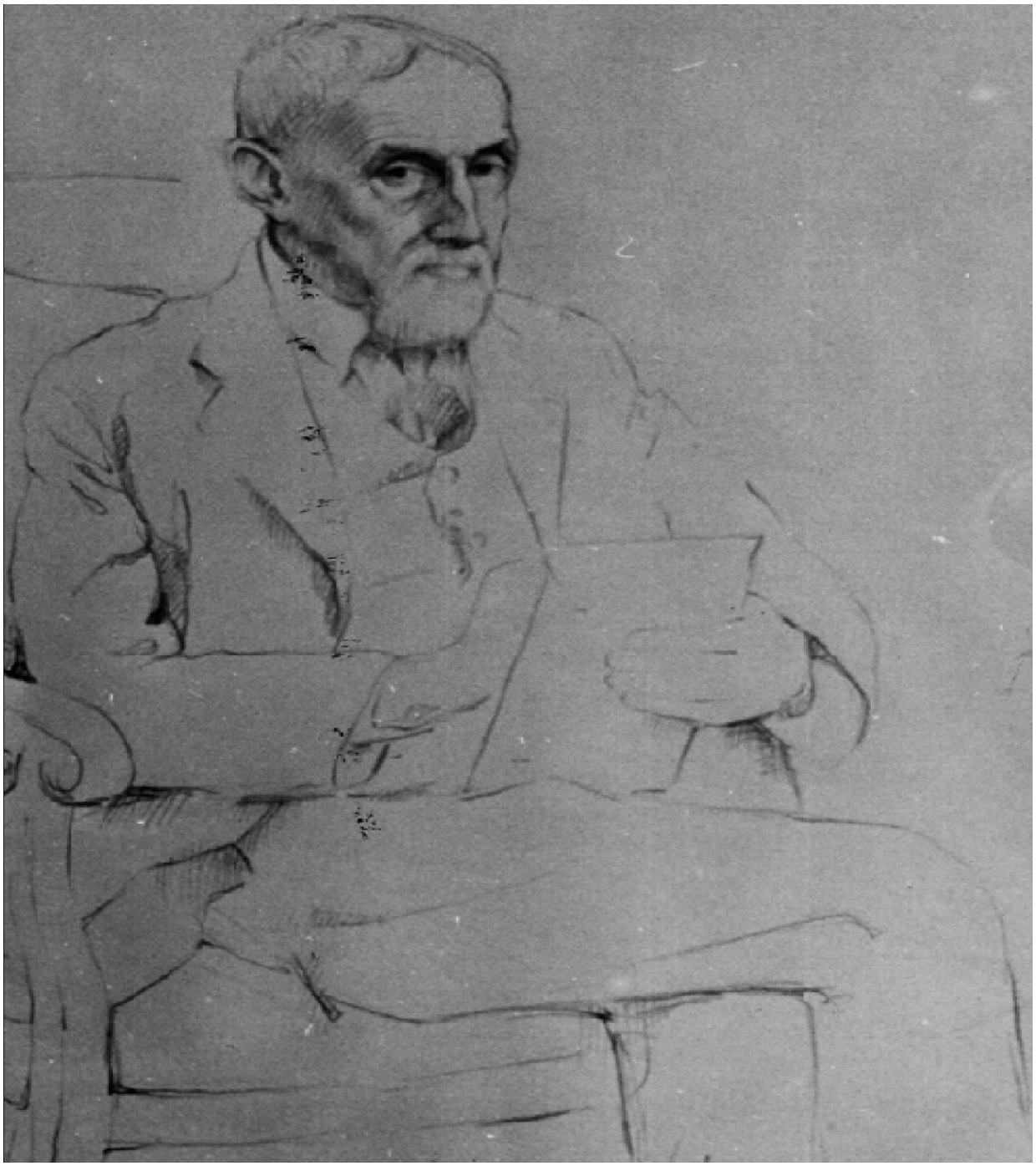

[1] – موقع ويكيبيديا https://arz.wikipedia.org/ بتاريخ 2 ماي 2022م (تاريخ الدخول 10:08–تاريخ الخروج 10:17).

الملحق رقم (10): صورة ليون جوتييه Lèon Gauthier[1] (1862–1949م)

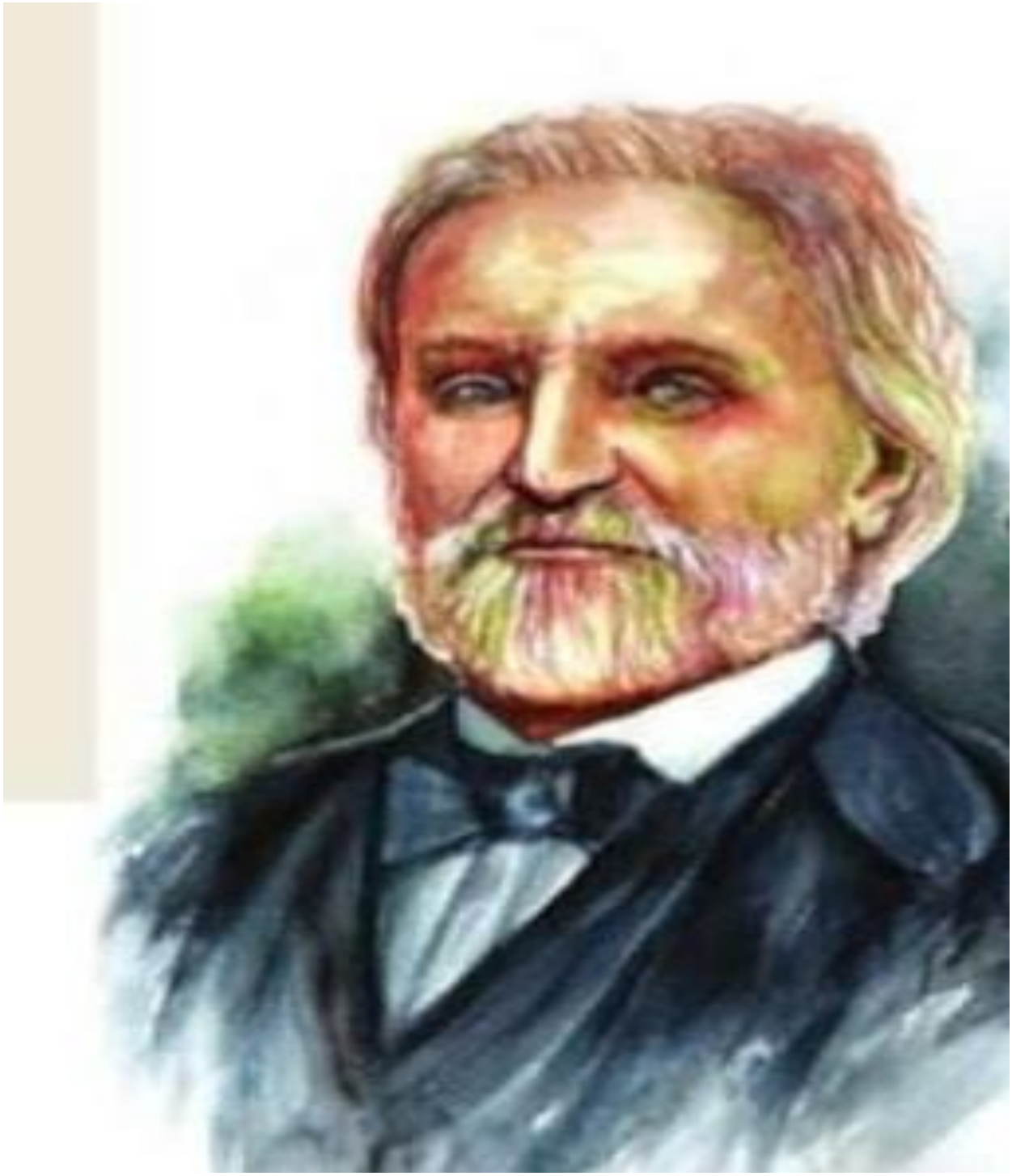

[1]– أنور حمد الزناتي ، ليون جوتييه. الدار البيضاء: المركز الثقاف للكتاب، 2020،ص:1.

الملحق رقم(11): صورة شارل فيرو[1] Charles Féraud (1829-1888م)

[1]- موقع مكتبة طريق العلم https://books4arab.me/ بتاريخ 2 ماي 2022م (تاريخ الدخول 10:20-تاريخ الخروج 10:27).

رقم الملحق(12): صورة ألفرد بل[1] Alfred Bel (1873–1945م)

[1]– موقع أرنتروبوس https://www.aranthropos.com/ **بتاريخ 2 ماي 2022م (تاريخ الدخول 14:08– تاريخ الخروج 14:13).**

الملحق رقم(13): صورة ليفي بروفنسال[1] Lévi provençale (1894–1956م)

[1]– موقع https://foulabook.com بتاريخ 2 ماي 2022م (تاريخ الدخول 14:20–تاريخ الخروج 14:25).

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش

(أولا)- المصـــــــادر والمـــــــــــراجـــــــع بالـــــغة العـــــــربـــية:

(أ)- المـصــادر:

1- ابن الأثير الكامل في التاريخ، الرياض، بيت الأفكار الدولية، مج2.

2- إدموند دوتي، الصلحاء مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر، تر: مُحَّد ناجي بن عمر، المملكة المغربية، افريقيا الشرق، 2014م.

3- باسيه روني، أبحاث في دين الأمازيغ، تر: حمو بوشخار، الرباط ، دفاتر وجهة نظر، (ط1)، 2012م.

4- بروفنسال ليفي، مؤرخو الشرفاء، تر: عبد القادر خالدي، الرباط، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1977م.

5- بروفنسال ليفي، الحضارة العربية في إسبانيا، تر: الطاهر أحمد مكي، القاهرة، دار المعارف، (ط3)، 1994م.

6- بل ألفرد، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر: عبد الرحمن بدوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، (ط3)، 1987م.

7- آل خليفة مُحَّد العيد، ديوان، الجزائر، دار الهدى، 2010م.

8- الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت، دار العلم للملايين، (ط7)، ج2، 1986م.

9- الزواوي أبو يعلى، جماعة المسلمين، مطبعة الإرادة، 1947م.

10- رين لويس، تاريخ إنتفاضة سنة 1871م في الجزائر، تر: مسعود حاج مسعود، الجزائر، دار الرائد للكتاب، 2013م.

11- فوك يوهان، تاريخ حركة الاستشراق للدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، تر: عمر لطفي العالم، بيروت، دار المدار الإسلامي، (ط2)، 2001م.

12- فيرو شارل، تاريخ جيجلي، تر: عبد الحميد سرحان، الجزائر، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، (ط1)، 2013م.

13-كورتلمون جول جرفيه، رحلتي الى مكة المكرمة في عام 1894م، تر: أحمد إيبش، أبوظبي، دار الكتب الوطنية، (ط1)، 2013م.

14-كازانوفا بول، مُحَمَّد ونهاية العالم، تر: إبراهيم عوض، القاهرة، مكتبة الشيخ أحمد منشية الصدر، 2018م.

15- ابن المنظور ابو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم، لسان العرب، لبنان، دار صادر، (ط1)، مج 4.

16- مارسيه وليام وجورج، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، تر: مراد بلعيد وآخرون، الجزائر، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، (ط1)، 2011م.

(ب)- المـراجع:

17- بن إبراهيم الطيب، الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه في الجزائر، منشورات المجلس الإسلامي الاصلاحي.

18- الإبراهيمي أحمد طالب، آثار الامام مُحَمَّد البشير الإبراهيمي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، (ط1)، ج3، 1997م.

19- أحمد حسن مُحَمَّد خليفة، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (ط1)، 1997م.

20- إدريسي رشيد، إدموند دوتي، الدار البيضاء، المركز الثقافي للكتاب، (ط1)، 2020م.

21- إدوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، تر: مُحَمَّد العناني، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، (ط1)،2006م.

22- إسماعيل علي مُحَمَّد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل مدخل علمي لدراسة الاستشراق، دار الكلمة للنشر والتوزيع، (ط3)، 2000م.

23- بقطاش خديجة، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830_1871م، الجزائر، منشورات دحلب، 2013م.

24- بلاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصر 1830_1989م، الجزائر، دار المعرفة، ج1، 2010م.

25- بلحنيش ميلود، الدكتور مُحَمَّد بن أبي شنب والاستشراق سلسلة محاضرات الملتقى الدولي، المدية، منشورات الثقافة، 2015م.

26- البنداق مُحَمَّد صالح، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، بيروت، منشورات دار الأفاق الجديدة، (ط2)، 1983م.

27- بني عامر مُحَمَّد امين مُحَمَّد حسن، المستشرقون والقرآن الكريم، الأردن، دار الأمل للنشر والتوزيع، (ط1)، 2004م.

28- تاج مُحَمَّد قدور، الاستشراق ماهيته فلسفته ومناهجه، الجزائر، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، (ط1)، 2014م.

29- التميمي عبد المالك خلف، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي، الكويت، عالم المعرفة، 1983م.

30- الجامعي عبد الستار، أوكتاف هوداس، الدار البيضاء، المركز الثقافي للكتاب، 2020م.

31- الجبري عبد المتعال مُحَمَّد، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، القاهرة، مكتبة وهبة، (ط1)، 1995م.

32- الجليند مُحَمَّد السيد، الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1999م.

33- الحاج ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، بيروت، دار المدار الاسلامي، (ط1)، ج1، 2002م.

34- حسين عقيلة، المرأة المسلمة والفكر الاستشراقي، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، (ط1)، 2004م.

35- حمدان نذير، الرسول في كتابات المستشرقين، جدة، دار المنارة، (ط2)، 1986م.

36- حمدان نذير، مستشرقون سياسيون جامعيون مجمعيون، السعودية، مكتبة الصديق للنشر والتوزيع، (ط1)، 1988م.

37- حمدان عبد الحميد صالح، طبقات المستشرقين، مكتبة مدبولي.

38- حمداوي جميل، أسس علم الاجتماع، شبكة الألولة، (ط1)، 2015م.

39- آل حميد سعد، أثر المستشرقين على أبناء المسلمين، قسم الثقافة الاسلامية.

40- الحناشي بلقاسم، الحركات التبشيرية في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر م، تونس، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، 1989م.

41- الحياني خليف، الاستشراق والاستغراب(السلطة – المعرفة – السرد – التأويل – المرجعيات)، دار غيداء، (ط1)، 2013م.

42- خريوش عبد الرؤوف، دور المستشرقين في نقل الثقافة العربية الى الغرب.

43- الخطيب عمر عودة، لمحات في الثقافة الإسلامية، بيروت، مؤسسة الرسالة، (ط3)، 1979م.

44- درويش أحمد، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م.

45- ديب عبد العظيم، المستشرقون والتراث، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، (ط3)، 1992م.

46- رضوان عمر بن إبراهيم، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره دراسة ونقد، الرياض، دار طيبة لنشر والتوزيع، (ط1)، ج1، 1992م

47- زقزوق محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، القاهرة، دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع، (ط2)، 1989م.

48- الزماني مُحَمَّد حسن، الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين، تر: مُحَمَّد نور الدين عبد المنعم، القاهرة، المركز القومي للترجمة، (ط1)، 2010م.

49- الزناتي أنور محمود، زيارة جديدة للاستشراق، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، (ط1)، 2006م.

50- الزناتي أنور محمود، ليون جوتييه، دار البيضاء، المركز الثقافي للكتاب للنشر والتوزيع، (ط1)، 2020م.

51- الزيادي مُحَمَّد فتح الله، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، (ط1)، 1983م.

52- الزيادي مُحَمَّد فتح الله، الاستشراق أهدافه ووسائله، دار قتيبة للتوزيع، (ط1)، 1998م.

53- زيتون مُحَمَّد مُحَمَّد، المسلمون في المغرب والأندلس، دار الكتب، 1990م.

54- ساردار ضياء الدين، الاستشراق صورة الشرق والآداب والمعاريف الغربية، تر: فخري صالح، الإمارات، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، (ط1)، 2012م.

55- السايح أحمد عبد الرحيم، الاستشراق ومنهج نقده، مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان، 2015م.

56- السايح أحمد عبد الرحيم، الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، (ط1)، 1996م.

57- السباعي مصطفى، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، دار الوراق للنشر والتوزيع.

58- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزائر، دار البصائر، ج1، 2007م.

59- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، (ط1)،ج4، 1996م.

60- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1998م.

61- سعد الله أبو القاسم، في الجدل الثقافي، الجزائر، عالم المعرفة، 2011م.

62- سعفان حسن شحاتة، علم الإنسان الانثروبولوجيا، بيروت، منشورات مكتبة عرفان.

63- سلامة سلمان عبد المالك، أضواء على التبشير والمبشرين، مصر، مطبعة الأمانة، (ط1)، 1994.

64- سمايلوفيتش أحمد، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، القاهرة، دار الفكر العربي.

65- الشايب لخضر، نبوة مُحَمَّد في الفكر الاستشراقي المعاصر، مكتبة عبيكان.

66- الشرقاوي مُحَمَّد عبد الله، الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر دراسات تحليلية تقويمية، القاهرة، كلية دار العلوم.

67- صبرة عفاف، المستشرقون ومشكلات الحضارة، القاهرة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، 1985م.

68- العالم عمر لطفي، المستشرقون والقرآن دراسة نقدية لمناهج المستشرقين، المملكة المغربية، مركز دراسات العالم الإسلامي، (ط1)، 1991م.

69- العاني عبد القهار داوود عبد الله، الاستشراق والدراسات الإسلامية، عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، (ط1)، 2001م.

70- عجناك بشي يمينة، صورة المرأة في الخطاب الشعري الجزائري الحديث(من الاحتلال الى الاستقلال)، الأردن، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2017م.

71- العقيقي نجيب، القاهرة، دار المعارف بمصر، (ط3)، ج1، 1964م.

72- عمايرة إسماعيل أحمد، بحوث في الاستشراق واللغة، عمان، دار البشير، (ط1)، 1996م.

73- عمراوي احميدة، آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري (1830-1954م)، الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، 2007م.

74- عميرة عبد الرحمن، الاسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق، بيروت، دار الجيل، (ط1)، 1999م.

75- عوض ابراهيم، المستشرقون والقرآن دراسة لترجمات نفر من المستشرقين للقرآن وآرائهم فيه، القاهرة، دار القاهرة، (ط1)، 2003م.

76- الغزالي مُحَمَّد، الغزو الثقافي يمتد الى فراغنا، القاهرة، دار الشروق.

77- فؤاد عبد المنعم، من افتراءات المستشرقين العقدية في الإسلام، الرياض، مكتبة العبيكان، (ط1)، 2001م.

78- فركوس صالح، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 1830-1925م، الجزائر، مديرية النشر لجامعة قالمة، 2010م.

79- فروخ عمر ومصطفى خالدي، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، 1953م.

80- فوزي عمر فاروق، الاستشراق والتاريخ الإسلامي القرون الإسلامية الأولى، لبنان، الأهلية لنشر والتوزيع، (ط1)، 1998م.

81- الفيومي مُحَمَّد ابراهيم، الاستشراق رسالة استعمار تطور الصراع الغربي مع الإسلامي، القاهرة، دار الفكر العربي، 1993م.

82- قطب مُحَمَّد علي، عبد الرحمن الغافقي شهيد بلاد الشهداء، دمشق، المكتب الإسلامي، (ط1)، 1981م.

83- بن قينة عمر، المشكلة الثقافية في الجزائر التفاعلات والنتائج، الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، (ط1)، 2000م.

84- كحلوت عبد العزيز، التنصير والاستعمار في افريقيا السوداء، طرابلس، منشورات الكلية الدعوة الإسلامية، (ط2)، 1992م.

85- لوكمان زكاري، تاريخ الاستشراق وسياساته الصراع على تفسير الشرق الأوسط، القاهرة، دار الشروق، (ط1)، 2007م.

86- لونيسي ابراهيم، بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر ابان الاحتلال الفرنسي، الجزائر، دار الهومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2013م.

87- مُحَمَّد سيد مُحَمَّد، الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر، القاهرة، دار الفكر العربي، (ط1)، 1994م.

88- محمود أحمد فؤاد، أضواء على الثقافة الإسلامية، المملكة العربية السعودية، إشبيليا للنشر والتوزيع والدعاية وإعلان، (ط1)، 2000م.

89- مطبقاني مازن صلاح حامد، المغرب العربي بين الاستعمار والاستشراق، الجزائر، دار بني مزغنة المحمدية، 2015م.

90- معاليقي منذر، الاستشراق في الميزان، بيروت، المكتب الإسلامي، (ط1)، 1997م.

91- معريش مُحَمَّد العربي، الاستشراق الفرنسي في المغرب والمشرق من خلال المجلة الآسيوية (1822-1872)، تونس، دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 2009م.

92- مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، (ط2)، 1987م.

93- مقداد محمود، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، الكويت، عالم المعرفة، 1992م.

94- الميداني عبد الرحمن حسن حنبكة، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير- الاستشراق- الاستعمار دراسة وتحليل وتوجيه، دمشق، دار القلم، (ط8)، 2000م.

95- النبهان مُحَمَّد فاروق، الاستشراق تعريفه مدارسه أثاره، الرباط، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 2012م.

96- نجا هدى فاطمة، المستشرقون والمرأة المسلمة، لبنان، دار الايمان، 1993م.

97- نصري أحمد، آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم – دراسة نقدية –، المملكة المغربية، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، (ط1)، 2009م.

98- النملة علي بن إبراهيم الحمد، مصادر الاستشراق والمستشرقون ومصدريتهم بيروت، بيسان لنشر والتوزيع وإعلام، (ط2)، 2011م.

99- النملة علي بن إبراهيم الحمد، المستشرقون ونشر التراث دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر، الرياض، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، (ط1)، 2003م.

100- النملة علي بن إبراهيم الحمد، المستشرقون والقرآن الكريم في المراجع العربية، بيروت، دار بيسان لنشر والتوزيع وإعلام، (ط1)، 2010م.

101- النملة علي بن إبراهيم الحمد، الشرق والغرب منطلقات العلاقات ومهدداتها، بيروت، دار بيسان لنشر والتوزيع وإعلام، (ط3)، 2010م.

102- الوكيلي يونس، ادموند دوتي رائد أنثروبولوجيا الدين الكلونيالية بالمغرب، المملكة المغربية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.

(ج)– الدوريات:

103– أعراب عبد الحميد، مخطوطات شمال الصحراء والاستشراق الفرنسي في الجزائر، المجلة المغاربية للمخطوطات، الصادرة عن: مخبر المخطوطات جامعة الجزائر2، الجزائر، مج1، ع1، 2004م.

104– أوغماز آيت سمير، طقوس الاستمطار إبان الجفاف في الجزائر نماذج من مطلع القرن20، مجلة الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، البحرين، ع41، 11ربيع 2018م.

105– باعثمان صلاح بن سالم، منهج المستشرقين في دراسة القضايا القرآنية، حولية حول أصول الدين، الصادرة عن: جامعة الأزهر كلية الأصول الدين والدعوة الإسلامية بلمنوفية، ع36، 2017م.

106– بابا جمال الدين، الاستشراق الفرنسي والتكلمات اللهجة الجزائرية، مجلة الإنسان والمجتمع، الصادرة عن: جامعة أبي بكر بلقايد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تلمسان، مج7، ع13، 2017م.

107– بنيرد حاج، جهود المستشرقين الفرنسيين في دراسة اللهجات الجزائرية مقاربة اثنوغرافية، مجلة الدراسات الاستشراقية، ع22، 2020م.

108– بودربالة مسعود، الاستشراق الفرنسي وتوظيفه الانتروغرافي في الإحتلال الجزائري، مجلة الفكر المتوسطي، الصادرة عن: جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، مج6، ع1، 2016م.

109– بوزيدي نعيمة، الاستشراق الفرنسي وترجمته للقرآن، مجلة دراسات لسانية، الصادرة عن: كلية الأداب واللغات، قسم اللغة العربية، جامعة البليدة، مج4، ع2، 2020م.

110– جعيجع مُحَمَّد، دور الاستشراق في استعمار فرنسا للجزائر، مجلة المعيار الصادرة عن: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، كلية أصول الدين، الجزائر، مج5، ع10، 2005م.

111- جغلولي يوسف وتالي جمال، الاستشراق في الجزائر بين الأطروحات والوسائل (دراسة نقدية لبعض الأعمال الاستشراقية الفرنسية)، مجلة الحقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، الصادرة عن: جامعة زيان عاشور بالجلفة، مج2، ع6، 2017م.

112- حنون عبد المجيد، الجزائر والاستشراق، مجلة التواصل الأدبي، الصادرة عن: جامعة باجي المختار، عنابة، مج10، ع2، 2021م.

113- خالدي مُحَمَّد، المستشرقين وأثرهم الفكري والفني في الجزائر، مجلة الأثر، الصادرة عن: كلية الآداب واللغات بجامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ع13، 2012م.

114- خليفي عبد القادر، سياسة التنصير في الجزائر، مجلة المصادر، الصادرة عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، مج6، ع1، 2004م.

115- دحماني سليمان، المستشرق الفرنسي ألفرد بل مؤرخا وأنثربولوجيا لدين الإسلامي في شمال إفريقيا، مجلة أنثروبولوجيا الأديان، الصادرة عن: مخبر انثروبولوجية الأديان ومقارنتها جامعة تلمسان، مج17، ع2، 2021م.

116- سيد أحمد عبد اللطيف مُحَمَّد، الغزو الفكري والثقافي للأمة الإسلامية التحدي والاستجابة، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، الصادرة عن: جامعة الأزهر، مج4، ع2، 2019م.

117- سيد علي أحمد مسعود، الاستشراق الانثروبولوجي الفرنسي بالجزائر وارتباطاته بالتنصير، مجلة قضايا تاريخية، الصادرة عن: مخبر الدراسات التاريخية المعاصرة بالمدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، مج1، ع2، 2016م.

118- صحراوي عبد القادر، مقاومة المقراني والحداد من خلال كتابات لويس رين في ضوء المجلة الإفريقية، مجلة الحوار الأطلسي، الصادرة عن: جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، الجزائر، مج7، ع1 ، 2016م.

119- طويل حياة، التنصير في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي 1830-1962، مجلة القرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، الصادرة عن: مخبر الدراسات الفكرية والحضارية جامعة تلمسان، مج4، ع1، 2017م.

120- عقون مُحَّد العربي، الاثنوغرافيا الاستعمارية شارل فيرو نموذجا، مجلة الانسانيات، الصادرة عن: مركز البحوث في انثروبولوجية الاجتماعية والثقافية وهران، مج9، ع28، 2005م.

121- العياشي عبد الله، المخطوطات الجزائرية في عيون العرب والمستشرقين، مجلة الرفوف لمخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا، الصادرة عن: جامعة أدرار، الجزائر، ع6، 2015م.

122- العياشي عبد الله، المدرسة الاستشراقية الفرنسية وجهودها في دراسة وحفظ المخطوط العربي، مجلة الرفوف، الصادرة عن: جامعة أدرار، الجزائر، ع6، مارس2015م.

123- غانم إسلام عبد الله، مناهج دراسة التراث عند المستشرقين المنهج التاريخي المنهج الوصفي والمنهج الأنثروبولوجي نموذجا، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، الصادرة عن: مخبر الدراسات الاجتماعية نفسية وأنثروبولوجية في المركز الجامعي أحمد زبانة الجزائر، مج 4، ع2، 2018م

124- بن قسيمة رشيد، المدرسة الاستشراقية الفرنسية وجهودها في جمع المخطوطات العربية وتحقيقها وترجمتها إبان فترة احتلال الجزائر، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، بوسعادة، مج10، ع2، 2021م.

125- قميحة جابر، آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، مجلة دعوة الحق، مكة المكرمة، ع116.

126- موساوي مجدوب، الزوايا والطرق الصوفية بالصحراء الجزائرية عند لويس رين، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، الصادرة عن: جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، مج3، ع1، 2020م.

127- ميلق عبد القادر، مقاومة الشريف بوشوشة من خلال الكتابات الفرنسية كتاب "لويس رين" الموسوم بتاريخ انتفاضة 1871 في الجزائر أنموذجا، مجلة العلوم الانسانية والحضارة، الصادرة عن: جامعة عمار ثليجي الاغواط، الجزائر، مج1، ع1، 2019م.

128- هلايلي حنيفي، المستشرقون الفرنسيون وإعادة بعث مخطوطات الجزائر وتنظيمها(1830-1962)، المجلة التاريخية المغاربية، تونس، ع154-155، 2014م.

129- وادي أحمد، السياسة الاستعمارية الفرنسية وانعكاساتها على ثقافة المجتمع والأمن الهوياتي في الجزائر، مجلة الناقد للدراسات السياسية، الصادرة عن: جامعة مُحَمَّد خيضر بسكرة، الجزائر، مج2، ع1، 2018م.

130- بن يحيى بركان، الاستشراق الفرنسي ونشاطاته في الجزائر الجانب الاجتماعي أنموذج، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، الصادرة عن: جامعة حمة لخضر، الوادي، الجزائر، مج4، ع3، 2016.

(د)- المعاجم والقواميس و الموسوعات

131- بدوي عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، بيروت، دار العلم للملايين، (ط3)، 1993م.

132- الجندي أنور، الموسوعة الإسلامية العربية-فصحى لغة القرآن-، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ج10، 1982م.

133- بن صحراوي كمال، معجم المقاومة الجزائرية منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى منتصف قرن19م، الجزائر، منشورات ألفا للوثائق، (ط1)، 2020م.

134- الفيروز أبادي مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب، قاموس المحيط، القاهرة، دار الحديث، مج1، 2008م.

135- مختار أحمد عمر، معجم اللغة المعاصرة، عالم الكتب، (ط1)، مج1، 2008م.

136- يحي مراد، معجم أسماء المستشرقين.

137- الموسوعة العربية الميسرة، بيروت، المكتبة العصرية،(ط3)، مج1، 2009م.

(هـ)- الأطـروحـات والـرسـائـل الـجـامـعـيـة:

138- الأشرف صالح حمد حسن، الاستشراق مفهومه وآثاره، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، جامعة الامام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، المملكة العربية السعودية، 1438م.

139- السويسي محسن بن علي بن صالح، مؤتمرات المستشرقين العالمية نشأتها تكوينها أهدافها، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة الامام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ج1، ~~1419~~هـ.م.

(و)- المـواقع الإلـكـتـرونـيـة:

140- موقع عريق موسوعة عربية عالمية **https://areq.net/**

141- موقع **https://www.nosorigines.qc ca**

142- موقع مكتبة نور **https://www.noor-book.com/**

143- موقع المعرفة **https://m.marefa.org /**

144- موقع ويكيبيديا **https://arz.wikipedia.org/**

145- موقع موسوعة بريطانية **https://www.britannica.com/**

146- موقع مكتبة طريق العلم https://books4arab.me/

147- موقع أرنتروبوس https://www.aranthropos.com/

148- موقع https://foulabook.com

(ثانيا) – المصـــــــــادر والمـــــراجـــع باللـــــغـــــة الأجـــنـبـيـة:

(أ)– المـــــــصـــــادر:

149 - Basset René, Loqmân Berbére avec quatre clossaires et une étude sur la légende de loqmân, Paris ,Ernest loroux Èditeurs, 1890.

150 - Basset René, Contes Pobulaires Berbéres recuellis traduits et annotés, Paris, Ernest Leroux E'ditur,1887.

151 - Basset René, Ètude sur la zenatia de l'ouarsenis et de Maghrep central, Paris, Erenest l'eroux Editeurs,1895.

152 - Brensndier.L.J, Cours pratique et théorique de langue arabe, Alger, typographie et lithojraphie adolphe jourdan, deuxiéme édition,1915.

153 - doutté Edmond, Les Marabouts notes sur L'Islâm maghribin. Paris, ERNEST Leroux éditeur

154 - Edouard Montet , Le coran, Paris, St – Garmain tous droits rèservès , 1925.

155 - Facon Narcisse, le livre d'or de l'algérie, Paris, librairie Algérienne et coloniale, T:1, 1889.

156 - Feraud charles.L , Histoire des villes de la provinge de constantine-Gigelle-,Alger, Typographie et lithographie L-ARNOLET, 1879.

157 - Jules Maistre, Mœurs et coutumes Kabyles, Montpellire, imprimerie de la manufacture de la charité, 1905.

158- Marçais william et Marçais georges, les monumants Arabes de Tlemcen, Alger ,ART KANGE edition, 2011.

159 - Rinn Louis, Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie, ~~Alge~~ , ART KANGE edition,v1, 2013.

160 - Rinn Louis, Histoire de L'insurrection de 1871en Algérie, Alger, Librairie Adolphe Jourdan,1891.

161 – Tsourikoff Zénaïde, l'enseignement des filles en Afrique du nord, Paris,editions A-PEDONE, 1935.

162 - Valensi lucette, le Maghreb du centre sa palace dans l'école sociologique française , in connaissance du Maghreb. Paris, edition du C N R S, 1984.

(ب)- المـــــــــراجـــــــــع:

163 - Bouchéne Abderrahmane et d'autre, Histoire de l'Algérie à la période coloniale, Alger, E'ditions la découverte et e'ditions barzaqh,2012.

164 - Henri didier, Académie inscriptions et belles lettres comptes rendus des srances de l'année 1945. Paris, libraire – e'diteur.

165 -Edward Said, orientalism, New York, vitage books, 1979.

166 - Emerinée Cirel et d'autres,bulletin hispanique, annales de la faculté des lettre de bordeux, Amstrdam, swets et zeitlinger w.v, T50, 1970.

167 – J. alazard et d'autres, Histoire et historiens de l'Algèrie, librairie félix alcan, Paris.

168 - Messaoudi Aliane, les arabisants et la France coloniale,Lyon, ENS editions, 2015.

169 -Rossini Conti Carlo, staria d'etiopia, v1, Milano, officiana d'art grafica, 1928.

(ج)– القـــــــوامـــــــيـــــــس:

170 - Grande la rousse de la langue Française,Paris, librairie la roussse, 1976.

171 - Lexis la rousse de la langue Française, Paris, librarie VUEV, 2002.

172 - Le petit la rousse Illustre-Atlas-, Paris, drapeux du monde, 2007.

(د) – الدوريـــــــــــــات:

173 - Basset René, Recherches sur la religion des berbéres, Revue de l'histoire des religions, Paris, № 28, 1910.

174 - G,cirol , E Mèrimée et d'autres , Bulletin hispanique , Annales de la faculté des lettres de Bordeux , T 50 , Swets et Zeitlinger n.v , Amstridam , 1970

175 - Ouatmani Settar, Lucture critique de l'œuvre de Louis Rinn sur l'insurrection de 1871 en Algérie, oussour AL-Jadida, № 7-8, 2013.

فهرس المحتويات

- شكر وتقدير

- إهداء

- قائمة المختصرات

- مقدمة..... أ

المدخل: لمحة تاريخية عن الاستشراق

أولا: ماهية الاستشراق.....10

(1)- مفهوم الاستشراق.....10

(2)- أهداف الاستشراق 13

(3)- وسائل الاستشراق.....16

ثانيا: المراحل التاريخية للاستشراق.....19

(1)- مرحلة النشأة والتكوين.....19

(2)- مرحلة الإنطلاق.....22

(3)- مرحلة التقدم.....24

الفصل الأول: الاستشراق الفرنسي ودوره في الجزائر

المبحث الأول: السياق التاريخي للاستشراق الفرنسي.....29

(أولا)- نشأة الاستشراق الفرنسي.....30

(ثانيا)- خصائص الاستشراق الفرنسي.....34

(ثالثا)- مظاهر نشاط الاستشراق الفرنسي.....36

(رابعا)- الاستشراق والاستعمار.....43

المبحث الثاني: نشاط الاستشراق الفرنسي في الجزائر.....46

(أولا)- بداية الاستشراق الفرنسي في الجزائر.....47

(ثانيا)- مراحل الاستشراق الفرنسي في الجزائر.....50

(ثالثا)- خصائص الاستشراق الفرنسي في الجزائر.....56

(رابعا)- أبرز المستشرقين الأوائل في الجزائر.....57

الفصل الثاني: مجالات اهتمام الاستشراق الفرنسي في الجزائر منذ 1880م

المبحث الأول: المستشرقون واهتماماتهم بالجانب الاجتماعي منذ1880م.....64

(أولا)- استهداف المستشرقون للمجتمع الجزائري.....65

(ثانيا)- استهداف المرأة والأسرة الجزائرية.....68

(ثالثا)- التفرقة بين العرب والأمازيغ.....72

المبحث الثاني: المستشرقون واهتماماتهم بالجانب الثقافي منذ1880م.....76

(أولا)- المستشرقون وتعلم اللغة العربية ومحاربتها.....76

(ثانيا)- الغزو الثقافي.....81

(ثالثا)- المستشرقون واهتمامهم بالتراث الجزائري.....84

المبحث الثالث: المستشرقون واهتماماتهم بالجانب الديني منذ1880م.....88

(أولا)- المستشرقون ومحاربة الإسلام.....88

(ثانيا)- المستشرقون والقرآن الكريم.....92

(ثالثا)- الاستشراق والتنصير.....97

الفصل الثالث: أهم المستشرقون الفرنسيون ومجالات اهتماماتهم منذ 1880م

المبحث الأول: أهم المستشرقون في المجال الاجتماعي منذ1880م.....103

(أولا)- ادموند دوتي.....104

(ثانيا)- روني باصيه.....107

(ثالثا)- لويس رين.....112

المبحث الثاني: أهم المستشرقون في المجال الثقافي منذ1880م.....116

(أولا)- وليام مارسيه.....116

(ثانيا)- ليون جوتييه.....120

(ثالثا)- شارل فيرو.....126

المبحث الثالث: أهم المستشرقون في المجال الديني منذ1880م.....128

(أولا)- ألفرد بل.....128

(ثانيا)- ليفي بروفنصال.....132

(ثالثا)-كازانوفا.....136

الفصل الرابع: أهم مؤلفات المستشرقون الفرنسيون في الجزائر منذ1880م

المبحث الأول: أهم مؤلفات المستشرقين في المجال الاجتماعي.....140

(أولا)- دراسة كتاب "الصلحاء مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن19 م" لإدموند دوتي.....141

(ثانيا)- دراسة كتاب "تاريخ إنتفاضة سنة 1871م في الجزائر" للويس رين.....147

المبحث الثاني: أهم مؤلفات المستشرقين في المجال الثقافي.....159

(أولا)- دراسة كتاب "المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان" لوليام مارسيه.....159

(ثانيا)- دراسة كتاب "تاريخ جيجلي" لشارل فيرو.....169

المبحث الثالث: أهم مؤلفات المستشرقين في المجال الديني.....176

(أولا)- دراسة كتاب "الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم" لألفرد بل.....176

(ثانيا)- دراسة كتاب "الحضارة العربية في إسبانيا" لليفي بروفنسال.....184

الخاتمة.....193

الملاحق.....199

قائمة المصادر والمراجع.....213

فهرس المحتويات.....233

الملـــخـص:

يعد الاستشراق تيارا فكريا في الدراسات المختلفة عن بلاد الشرق والتي شملت مختلف جوانبه كحضاراته، وآدابه، ولغاته، وثقافته، وقد مثل الاستشراق الفرنسي نقطة ارتكاز رئيسية في مختلف العلاقات بين الشرق والغرب، خاصة المرحلة الثانية من الاستشراق الفرنسي حيث شهدت هذه الحقبة التاريخية علاقة متينة بين الاستشراق والاستعمار الفرنسي، اللذان شكلا معا كيان واحد، وكانت الجزائر محطة هامة لهم حيث لعبوا بجميع الأوتار من أجل الاستيطان فيها مدة طويلة، وذلك من خلال تكليف مستشرقين الى معرفة الحياة العربية الإسلامية بمختلف نواحيها في الجزائر، فدرسوا اللغة العربية ولهجاتها واهتموا بالعادات والتقاليد وأعطوا أهمية أكبر للدين الإسلامي فقط من أجل معرفة نقاط ضعفها ومحاربتها بها، ولم يعرف بلد أحر من الشرق أو الغرب ما عرفته الجزائر من أساليب الاستشراق.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، الاستشراق الفرنسي، الجزائر.

Summary:

Orientalism is an intellectual stream in different studies of the East which encompassed various aspects of his civilizations, literature, languages and culture, and French Orientalism represented a major anchor point in various East-West relations. In particular, during the second phase of French orientation, this historical era witnessed a strong relationship between colonialism and French orientation Algeria, which together formed one entity, and was an important stop for them so that they played with all the strings for long settlement, By entrusting its orientators with knowledge of the various aspects of Arab-Islamic life in Algeria They studied Arabic and its dialects, paid attention to customs and traditions, and gave greater importance to the Islamic religion only in order to know and fight against its weaknesses; Another country from the East or the West did not know .what Algeria had known about Orientalism.

Keywords: Orientalism - French Orientalism – Algeria.